د. طه الدسوقي حبيشي

مسيلمة في مسجد توسان

الظهور الجديد وراء المحيطات

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الناشر

مكتبة رشوان

عين شمس شارع عبد الغني السيد

مطبعة الفجر الجديد
٣٨ شارع الكبارى - منشية ناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

قـــرآن كريم

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

[ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى
إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله
ولو ترى إذ الظالمون في غمـــرات الموت والملائكة باسطوا
ايديهم اخـــرجوا انفسكم اليـــوم تجزون عذاب الهون
بما كنتـــم تقولون على الله غير الحق وكنتـــم عن آياته
تستكبرون] .

صدق الله العظيم
سورة الأنعام (٩٣)

حديث نبـــوى شريف

وعن ابى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تقوم الســـاعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله)) .

[صحيح مسلم فى كتاب الفتن باب لا تقوم الســـاعة حتى يمر الرجل بقبر الرجـــل فيتمنى أن يكون الميت لما يرى من البلاء ١٨/٤٥،٤٦ ط/المطبعة المصرية



تمهيـــد

بســم الله الرحمن الرحيــم

الحمد لله نحمده على كل حال ، ونخضع اليــه فى كل أمر أو مقال ، والصلاة والسلام على اشرف الخلق سيد الرسل وخاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى آله واصحابه الذين قدروا الله حق قدره ، وآمنــوا بخاتم النبوة ، فكانوا هم الفائزين ، ومن تبعهــم على هذا الدرب باحسان الى يوم الدين .

اما بعــد :

ففى هذه الأيام ترامى الى مسامعى والى مسامع غيرى نبــأ كثيرا ما انتظرناه ، وحين كان هذا النبــأ او محتواه فى طى الكتمان كنا فى حيرة من مقدماته ، لانها ليست من قبيل المقدمات البرهانية التى تحمل عناصر النتائج التى تترتب عليها . وانما هى من قبيل المقدمات التآمرية التى تحاك فى الظلام كى تمهد الأرض الى نتيجة يطويها اصحابها طيا ، ولا يظهرونها الا حينما يرون الجو مناسبا لاظهارها ، ومثل هذا اللون من المقدمات الى النتائج التآمرية لا يحمل العناصر التى تكون نتائجه بوضوح تام ، وانما هى كما قلنا قد انحصرت وظائفها فى تمهيد الأرض ، وتهيىء الجو .

والنبأ الذى ترامى الى مسامعنا وكثيرا ما انتظرناه هو نبأ ادعاء امام مسجد توسان بأمريكا انه نبى يوحى اليه ، بل انه خاتم الأنبياء والمرسلين .

وقبل هذا النبأ قد انقضت عشرات السنين فى التمهيد اليه ، وتهيىء الجو لاستقباله ، وما ذلك الا لانه نبأ شاذ يشترط فى المؤمنين به أن يكونوا

شذوذا ، وليس من السهل او من الميسور ان تصنع شبكات التآمر فى يوم وليلة عالما من الشذاذ الذين يتلقون بالتصديق نبأ شاذا لانســـان مغرق فى الشذوذ .

ويزداد الامر صعوبة أمام شبكات التـــآمر حين تكون هذه الدعوة الشـــاذة تهدف الى النيل من الاسلام وقضـــاياه الواضحة ، خاصة وان الدين الاســـلامى هو أوضح الديانات الآن على الاطلاق ، وهو الـــدين الذى خاطب العقل والفطرة بقضـــاياه ، فتجاوب معه العقل والوجدان ، وهو الدين الذى يحمل هذا الوعد الأكيد بين نصوصـــه وثنايا اخباره : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد »**(١) .

يزداد الأمر صعوبة أمام شبكات التـــآمر حين تكون المؤامرة على الاسلام واهله **« يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون »**(٢) .

والحق والحق اقول ان هذا النبأ الذى ترامى الى مسامعنا حين كان وراء الأستار لا تظهر الا مقدماته التى لا تدل عليه ، كنت كغيرى من الحائرين ادرك المؤامرة وخيوطها ، ولكن لا أدرى القاع الذى سيرتطم به محمد رشاد خليفة على وجه التحديد ، ولا ادرى على وجه الدقة الشجرة الخبيثة التى سيحط عليها بعد تحليقه الطويل فى سماء التـــآمر ، ولا ادرى على وجه اليقين اى نوع من الارتكاس سوف يغمر هذا الانسان الذى هيأ نفسه منذ البداية للبـــاس كل رداء ، ما دام هذا الرداء سيزعزع مواقف المسلمين ، ويشككهم فى عقائدهم .

---

(١) فصلت : آية ٥٣ .
(٢) التوبة : آية ٣٢ .

ما كان لى علم بهذا ولا ذاك لأن العلم به درب من الاطلاع على الغيب ، اذ نتائجه لا تؤدى اليه على وجه الدقة .

وكنت كأى انسان غيـــور استعجل الاطلاع على المستور ، وأتابع باهتمام ما يصدر عن مسجد توسان مخافة أن ينقضى الأجل من غير أن أقف على حقيقة نبأ خبيث ، أزكمت مقدماته الأنوف ، وأدارت الرؤوس لفرط خروجها عن المعقول ، واشعرت العقلاء بنوع من الغثيان يصيبهم ، ويصيب امثالهم حين تقرع آذانهم انباء تثير مثل هذا النوع من الغثيان .

واعترف اننى كنت فى غاية السرور حين ابتدرنى طلاب ينتظروننى الى محاضرة القيها على مســـامعهم فى بعض قاعات الدرس لبعض الكليـــات ، ابتدرنى هؤلاء بنبأ مقتضب قالوا ، تمخض الجمـــل فقلت مندهشا ، وماذا وضع ؟ قالوا : ادعى النبوة ، قلت وأين وضع الجمل ؟ قالوا : فى مســـجد توســـان .

سررت لهذا النبأ غاية السرور ، وقلت فى نفسى اذا كان الله قد قال لنبيه ((**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**))(١) فانه أيضا قد قال عن رسالته ، ومصدر تشريعها الأول : ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**))(٢) .

تذكرت هذا كله ، ودار فى نفسى هذا كله ، وسررت لهذا النبأ ، كمـــا سررت بهذا التذكر ، وقلت لأبنائى الحمد لله مات الأفاق الأثيم لأنه بدعواه هذه قد عرض نفسه لأبسط المعايير التى يدركها الخاصـــة والعامة ، وهم حينئذ لابد أن يلفظون .

والسؤال القديم الجديد : لماذا هذا التآمر المحموم على الدين الاسلامى، والدين الاسلامى وحده ؟ !

---

(١) البقرة : آية ١٣٧ .
(٢) الحجر : آية ٩ .

ولماذا هذا التنوع فى الهجوم على الدين الاسلامى ، والدين الاسلامى وحده ؟ !

ولماذا هذا الحقد المرير على الدين الاســلامى ، والدين الاســلامى وحــده ؟ !

ان الجواب واضح لا سترة به ، انه هو الدين الوحيد الذى احتفظ الى الآن ، وسوف يحتفظ الى أن تقوم الساعة بكلام الله كما هو ، وبلغته الأصلية كما هى ، وبشرف الأمة التى أنزل عليها الدين ، وبشرف النبى الخاتم الذى أنزل عليه القرآن ((**وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون**))(١) .

يهاجم الدين الاسلامى ، وتحاك المؤامرات ضده ، ويحقد عليه لأنه الدين الوحيد الذى يعالج الانسان جسما وروحا ، فردا وجماعة ، عقــلا وسلوكا .

يهاجم الدين الاسلامى ، ويعتدى عليه ، وتحاك المؤامرات ضــده ، ويحقد عليه لأنه هو الدين الذى يتحدى البشرية كلها فى كل عصر على القمة ، فاذا ما نبغت البشرية فى عصر من العصور فى شىء تحداها الاسلام فيه ، وقد نبغت الانسانية اليوم فى التشريع ، وتحدت على القمة فيه ، ودخل الاسلام الى ساحة التحدى ، فاندحر كل نظام أمامه ، وبقى التشريع الاســلامى على القمة وحده ، حين ردمت كل شرعة ماكرة على القاعدة هناك عنــد السفح الهابط .

هذا النبأ قد أثلج صدرى لأنه لحظة النهاية لمفترى على الله ، تقول عليه الأقاويل ، وان الله ليمهل للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته .

فهل يعتبر هذا المتنبى صادق أم كذاب ؟ وهل ختمت الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أم ما يزال باب النبوة والرسالة مفتوحا ؟

سؤالان يثيران قضيتين أرجو أن يتمكن الباحث من معالجتهما فى هذه الســطور .

والله وحده هو المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٤٤ .

القسم الاول

مع المتنبي

القمـــة تحت الأضـــواء

اننا لن نغوص فى عمق التاريخ ، ولن نستقرىء الماضى البعيد بحثا عن الأشباه والنظائر ، وانما سيقتصر حديثنا هنا عن قمة التآمر لنتتبعها وهى يدفع بها تحت الأضواء .

والأضواء التى نعنيها هنا ليست هى الأضـــواء الكاشفة ، وانما هى الأضواء التى يشتد « لمعانها » كى تؤثر على الأبصار حتى لا ترى ، وتأخذ بالألباب حتى لا تعقل .

وحين تكون الأضواء شديدة اللمعان مصحوبة بأصـــوات شـــديدة الضجيج ، فان الأضواء والأصوات على هذا النحو يحدثان أثرا على الأعين والمسامع وأثرا على القلوب .

أما أثرهما على الأعين والمسامع فهو ظاهر ، ذلك أن الأضـــواء حين يشتد لمعانها تؤثر على المقل فتعشيها ، ولا تتمكن من الاحاطة بالمرئى احاطة كاملة ، بل هى على الأحرى لا تكاد تراه .

والصوت حين يرتفع الصوت وتصل الى مرحلة عالية من الضجيج تؤثر ذبذباته الشديدة على الأذن والعصب السمعى ، فلا تتمكن الأذن بما لها من مكونات أن تنقل الى المخ نقلا صحيحا ما تفيده الأصوات العالية ، والضجة الشديدة من معلومات أو اشارات .

والأضواء العالية والأصوات الشديدة معا يجعلان الرائى والسامع فى حالة من الانبهار والاندهاش ، معها يتوقف العقل ، ويســـبح الخيال ، ومعها تتعطل البصيرة ويرقى الوهم الى أقصى ما يتمكن اليه من الرقى ، وما يستطيع ان يصل اليه من مراحل التوهم ومراقيه .

فى حالات الضوء الشديد والصوت العالى تتعطل لحين البصائر والابصـــار .

وارباب التآمر يعرفون ذلك ، وهم يمتلكون اسباب الأضواء الكاشفة فى المعطلة ، كما يمتلكون فى الوقت نفسه الطبول فى أجهزة الاعلام الصاخب ، فيترعون عليها بقوة حين يريدون أن يترعوا عليها .

تلك هى الأضواء على ما نعنيه ، وهذه هى الأصوات العالية على ما نريدها .

اما القمة التى قصدنا اليها حين قلنا : أننا سنتحدث عن القمة تحت الضوء ، انما هى القمة المتمركزة فى محمد رشاد خليفة .

ولقد سبق لنا أن تحدثنا عن محمد رشاد خليفة مرارا فى كتب لنا صدرت قبل ذلك(١) ، وكان الحديث عنه أيام أن كان يدعى أنه يعمل من اجل الاسلام وذويه ، وانه بأموال اليهودية العالمية وتوجيهاتهم يدفع بالاسلام والمسلمين خطوة نحو هدفهم المرسوم ، وانه سوف يقوم فى وجه الأزهر والأزهريين الذين يقدمون للأمة ما يثبت أن سيدنا محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وانه قد جاء بالكتاب من رب العالمين ، والسنة على لسانه وحى يوحى .

تعرضنا لرشاد خليفة كثيرا فى هذه الحقبة من تاريخه ، والقينا عليه ضوءا نظن الآن بعد تلاحق الأحداث أنه لن يصبح كافيا ، ولم يعد مقنعا لابراز محمد رشاد خليفة فى صورته الحقيقية ، وصورته الحقيقية كما سيظهر لنا أنه بعد أن فرط فى كرامته وتنازل عن شخصية قد أصبح دمية يحركها من وراءها ؟ من غير أن يكون لها ارادة فى حركة او سكون .

---

(١) راجع البهائية وسائل وغايات ، الاسلام واستمرار المؤامرة — ١ (الدفاع عن السنة) كلاهما للمؤلف .

وفى اطار المتغيرات الجديدة ، والظروف التى طرأت لابد لنا ان نتناول رشاد خليفة من جديد لنضعه فى ثوبه الحقيقى ، وفى اطاره الواقعى أمام القارىء ، ونحن ننتظر منه ما يدافع به عن نفسه ان كان يظن أننا نتجنى عليه ، ولن يجد الى ذلك سبيلا ، وننتظر منه أن يعرض نفسه فى صورة غير ما نعرضـــــه فيها مدعومة بالادلة ، مؤيدة بما يجعل القارىء يثق بها ، ولن يتمكن من ذلك لأن الأضواء قد هدأت ، والذين يضربون على الطبول قد كلت سواعدهم ، والذين اخذتهم الدهشة من جميع اقطارهم قد رجعوا الى عقولهم وبصائرهم ، وذهبت عنهم الدهشة ، فنظروا الى قمة التآمر فلم يجـــدوا الا خائنا لأمته ودينه يجلس وحده على قمة مهتزة ، توشك عن قريب أن تلقى به فى هاوية لم يعرف لها قرار .

وقد تنبأ هو نفسه بهذا المصير قبل أن يدعى النبوة بقليل ، حين جرؤ على أن يعيب فى النبى وفى سنته ، من خلال كتاب له لن يجرؤ على تعميمه حيث قال : [... **وكشف البحث المستمر الدائب عن حقيقة مذهلة ، وهى ان الحديث والسنة ، بما لهما من شعبية هائلة ومكانة عالية ، لا علاقة لهما بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم وان التمسك والالتزام بهما ، يمثل عصيانا صارخا لله ولخاتم النبيين (القرآن : ٦/١١٢ ، ٢٥/٣١) .**

وهذا الاكتشاف يتناقض مع معتقدات الجماهير المسلمة فى كل مكان ، وبناء على ذلك فان شعبيتى ، بل وشعبية الاعجاز القرآنى العددى ، عرضة لان تصل الى درجة تهديد حياتى وسمعتى](١) .

---

(١) رشاد خليفة — القرآن والحديث والاسلام — مقدمة ، وانظـــر الاسلام واستمرار المؤامرة — ص ٥٦ — للمؤلف جـ ١ — ط شركة سعيد رأفت للطباعة ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .

اننا نريد فى ضوء المتغيرات الجديدة أن نتحدث عن محمد رشاد خليفة لنضعه فى ثوبه الجديد .

فمن هو محمد رشاد خليفة ؟

انه شخصية مصرية مغمورة مثله مثل آلاف المصريين المغمورين ، بل مثله مثل الملايين من سكان هذه المعمورة الذين لم يتوقف التاريخ عند واحد منهم بشخصه . ان شخصية محمد رشـــاد خليفة ، كانت من الشخصيات المغمورة لم تفتح عليها عين لتملأها ، ولم يقرع اسمها اذن تتأثر به أو تميزه من بين سائر الأسماء ، انه لم تفتح عليه عين ولم تصغ له اذن ولكنه لأمانة التاريخ قد فتحت عليه منذ شبابه المبكر عين صناعية هى كاميرا فى يد خونة الاسلام ، ترقب حركته كما ترقب حركة غيره ثم يميز خونة الاسلام من بين المقربين من توفرت فيه شروط معينة للخدمة معهم وهذه الشروط تعتبر فى الحقيقة هى ميزان الشعرة الدقيـــق الذى يقيس اليه وبه خونة الاســـلام فريستهم ليميزوا من بينها من يكون مستعداً بطبعه للعمل معهم .

ومن بين هذه الشروط التى تعد بمثابة ميزان الشعرة الدقيق ، أنهم يريدون أن يكون الذى سيتعامل معهم قليـــل الانتماء أولا : لدينه ومعتقده وثانيا : لوطنه مهبط رأسه ومدرج طفولته .

ومن هذه الشروط التى تدخل فى تكوين ميزان الشعرة الدقيق أنه يشترط فيمن يتعامل معهم أن يكون فاقد الشخصية قليل التمســـك بالمبادىء عديم الالتزام بالشرف أو الكرامة ، يرجع عن قول الصواب اذا أريد منه أن يرجع عن قول الصواب ، ويتنصل من الوعد اذا أريد منه أن يخلف الوعد ، ويكذب ويفجر الى حد البهتان اذا أريد منه أن يكذب ويفجر الى حد البهتان ، ويلعن ويفحش فى القول ويقذع فى الهجاء اذا طلب اليه أن يفعل ذلك .

ان ميزان الشعرة الدقيق يتطلب فيمن يتعامل مع خونة الاسلام أن يكون فاقد الصلاحية لاتخاذ القرار فى كل موقف يتطلب من المرء أن يتخذ قرارا، انه على الجملة يتطلب فيـــه أن يكون فاقد الانســـانية فاقد الرجولة ، اذ الرجولة فى معناها الحقيقى ليست الا قرارا فى موقف والتزاما فى عهد ، وصدقا فى قول وعمل (**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**)(١) (**فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصـــلاة وايتـــاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيـــه القلوب والأبصـــار**)(٢) .

كان رشاد خليفة طفلا مغمورا مثله مثل ملايين الأطفال من المغمورين ثم كان فتى مغمورا مثله مثل ملايين الفتيان من المغمورين ثم طالبا فى جامعة عين شمس مغمورا مثله مثل الآلاف من طلبة الجامعة المغمورين ، لم تفتح عليه فى هذه المراحل كلها عين ولم تصغ له أذن ولكنه قد فتحت عليه عين صناعية نقلت الى خونة الاسلام ما فيه من رداءة الطبع وسوء الاســـتعداد وخسة الخلائق والخصال فروقب وهدهد وأصبح عند المراقبين من أعاظم الشخصيات التى يمكن استغلالها الاستغلال الأمثل .

وحصل على بكالوريوس الزراعة من كلية الزراعة جامعة عين شمس وحدث بعدها أمر لم يكن فى الحسبان ولكنه أمر يدل فى الحقيقة على خليقة من خلائق ربان الشر فى سفينة الاضلال والضلال .

ان هؤلاء يتعاملون مع فريستهم تعاملا عجيبا انهم يحاولون ان استطاعوا

---

(١) الأحزاب : ٢٣ .
(٢) النور : ٣٦ ، ٣٧ .

أن يقذفوا بفريستهم فى ضائقة مادية ويصورون أمامهم الآمال والأحلام التى تحتاج الى الكثير من المال والعظيم من وسائل الحياة وأسباب المعايش . وتقع الفريسة بين الآمال العريضة والواقع الضيق فى أزمة تجعلها تضيق بالحياة وبالأحياء وتجعلها تشعر وكأن الأرض قد ضاقت عليها بما رحبت وأن آمالها توشك أن تتبدد ، وفى اللحظة المناسبة من اعتمالات النفس وصراعات الوجدان ، يلوح القوم بواسطة عملاء لهم وأذناب لهذه الفريسة بفرصة عمل لم تكن فى الحسبان ، وبأبواب تفتح على الدنيا بكل مصاريعها(١) .

تلك خليقة من خلائق القوم نذكرها ونحن نتحدث عن هذه المرحلة من مراحل محمد رشاد خليفة حيث أنها تتمثل فيها وتظهر فى أكمل درجاتها وأوضح ظهورها .

حصل محمد رشاد خليفة على بكالوريوس الزراعة من كلية الزراعة جامعة عين شمس والقت به الجامعة الى معترك الحياة ، وكانت الأيدى الخفية قد رسمت له الآمال العريضة أيام أن كان طالبا يتلقى العلم ، ويتلقن التوجيهات ويتجرع مقدمات المصير .

وحين القت به الجامعة الى معترك الحياة ، وقع بين فكى الرحى ، وصراع النفس ، وتمزق الوجدان ، ان له آمالا يريد أن يحققها وله قمة هيئت له فى أحلام اليقظة يريد أن يصعد اليها وهو فى الوقت نفسه لا يؤمن بالسلم ولا بالترقى عليه وانما يريد القمة من غير أن يرقى بتؤدة اليها ، ويريد الآمال من غير ان يأخذ فى الأسباب الى تحقيقها ولم لا ؟ أو ليست هذه هى الأحلام التى هيئت اليه بطريقة مصنوعة أيام أن كان طالبا ؟؟ أو ليست هذه هى الخيالات التى تمر أمامه الآن وهو يسبح فيها بغير انقطاع ؟؟ .

---

(١) راجع هذه الطباع وتلك الخلائق فى كتاب القاديانية ومصيرها فى التاريخ أ.د. طه الدسوقى حبيشى فى الفصل الثانى من الباب الثانى .

ولكنه يعود الى نفسه والى الواقع ، فيجد ان القمة بعيدة ولا سبيل اليها يعرفه ، وتحقيق الاحلام فجأة أمر صعب وتحول الظروف الواقعية بينه وبين ان يحقق احلامه او يصل الى أهدافه .

ان هذا كله وكثير غيره أوقعه فى التمزق والحيرة ، وسار به الى مشارف اليأس ومهاوى الافلاس ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه ، ونظر فجأة واذا بأحضان غريبة باهتة اللون ، مطموسة المعالم ، يلفها الظلام من كل جانب ، يحتضن رشاد خليفة الفتى الحائر أو المهندس الضال ، لقد شعر ببردها الكاذب وهى تحتضنه ، وفتح عينيه قدر ما وسعه أن يفتح عينيه فلم ير شيئا ، انه فقط يشعر بضغطة اليد التى امتدت اليه ولمست الكف التى هبطت عليه ، وبرد الانامل التى تداعب شفتيه ، وذبذبة الأصوات التى تلمس اذنيه قائلة : لا تحزن ولا تغضب ، وما رايك فى عمل نوفره لك مقابل راتب ضخم فى هيئة الأمم المتحدة ، لا ، انك لن تكون سياسيا وانما ستكون خبير تغذية او ليس هذا تخصصك ومجال دراستك ، قم يا رجل وتخلص من غبار اليأس فان وراءك رجال .

وتلك بداية لها ما بعدها(١) .

على اية حال فقد بدأ محمد رشاد خليفة بعد البكالوريوس عمله الجديد، وكان عمله الجديد خبيرا بمنطقة التنمية الصناعية العالمية التابعة للأمم المتحدة ، وهذه الوظيفة الجديدة قد اشارت اليها بزهو الشركة صاحبة

---

(١) درجت الماسونية بعملها السرى على ان تبدأ مع عميلها بأن تموه عليه وتعطيه أملا بأنه لا يقوم الا بشىء يتناسب مع الكرامة والعادات والتقاليد والدين ثم يحدث بعد ذلك ما يحدث . راجع الفكرة بتفاصيلها فى كتاب البهائية وسائل وغايات ا.د. طه الدسوقى حبيشى ط ١٩٨٥م .

الأمتياز والتى تولت طبع ونشر محاضرته حول الاعجاز العددى للقرآن والتى نسبت اليه وقد ألقاها فى مسجد توسان بأمريكا .

واننا لنعجب غاية العجب فرشاد خليفة — وهو خبير بالأمم المتحدة — مغمور بعيد عن الأضواء كعشرات المئات من العاملين بالأمم المتحدة ولم يقدر لهم شىء من الذيوع أو قسط من الانتشار .

وهكذا ظل رشاد خليفة من المغمورين حتى بعد أن تسلم وظيفته الجديدة فى الأمم المتحدة ولكنه مغمور ليس كسائر المغمورين ، انه وهو مغمور كان يلقن بهدوء ما ينبغى أن يقوم به فيما يستقبل من أيام وما يأتى من أزمان .

المهمة الجديدة فى مسجد توسان :

فى توسان بدأ رشاد خليفة فى الظهور مع وظيفته الجديدة ، وليس من الضرورى أن يكون الانسان عظيما لكى يكون من المشاهير ، وليس من المحتوم أن يكون الانسان كريم النفس كى يعلو نجمه ، وليس من الواجب أن يكون الانسان كريم الصفات والخلال كى يحتل مكان الصدارة بين الأمم والشعوب .

واننا لنعرف رجالا يعجز العد عن احصائهم ، ويعجز الفكر عن الاحاطة بهم لكثرة عددهم ، قد ظهروا وانتشروا ، وليس هناك من سبب لهذا الظهور وذلك الانتشار الا خسة النفس وهبوط الشخصية والتفريط فى قوامة عرض أو التقصير فى الحفاظ على كرامة .

ذهب محمد رشاد خليفة ليكون أمام مسجد عظيم لمهمة أعظم ، والمسجد العظيم هو مسجد توسان ، والمهمة الأعظم هى رعاية مصالح المسلمين الدينية فى العالم كله ، انه اذا قد جاء ليجدد للأمة دينها ، ولم يكن مشهورا وهو طالب بأنه رجل تدين أو شاب حريص ، ولم يكن يظهر بمظهر القارىء الجيد فى الكتاب والسنة ، وهما الأصلان اللذان يلجأ اليهما المسلم حين يريد

ان يتعرف على قضية فقهية أو مسألة عقدية أو حكم من الأحكام التى تضبط السلوك والأقوال .

ولم يكن مشهورا وهو فى الجامعة أو قبلها أنه مشغول بقراءة تاريخ الرعيل الأول أو التعرف على مناهجهم وسلوكهم ، وكيفية تعاملهم مع الله والعباد ، والرعيل الأول هو المجتمع المثال الذى تحول على يديه الاسلام الى واقع عملى ينبض بالحركة والحياة .

لم يكن رشاد خليفة مشهورا بشىء من ذلك ولا قريبا منه .

ثم انصرف رشاد خليفة بكليته الى القراءة فى علوم الزراعة وما يتصل بها من قريب او بعيد كبعض علوم التغذية وبعض المعارف التى لها صـــلة بالحيوانات الداجن منها والمتوحش ، وحين ذهب الى الأمم المتحدة ليعمل فى بعض منظماتها على نحو ما ذكرنا ، ازادت به الشقة عن الاسلام وأصوله اتساعا واغرق او كان من الواجب عليه أن يغرق فى استيعاب أصول عمله وقواعد مهنته الجديدة .

وعلى أية حال فانه لا يمكن أن يخطر على البال مهما كان البال سقيما ، او يطرأ على الفكر مهما أبعد الفكر فى الشطط أن رشاد خليفة من الشخصيات التى استوعبت الديانات كلها حتى أصبحت ضليعة فى هذا المجال ثم استوعبت الاسلام حتى اصبحت من الأعلام البارزة فى الاســـلام ووقفت على أخطـــاء المسلمين واسبابها . وما يقبل عثرتهم حتى أصبحت مؤهلة لتولى تلك المهمة الجديدة واستقبال هذا العمل الفريد .

لم يكن يخطر على بال احد أن محمد رشاد خليفة قد أصـــبح مؤهلا لاصلاح صلاته ووضوءه فضلا عن أن يكون مؤهـــلا ليجدد لهـــذه الأمة أمر دينهـــا .

ومهما يكن من أمر فقد نقل دكتور محمد رشاد خليفة من الأمم المتحدة الى مسجد توسان ليكون اماما لهذا المسجد من غير أن يكون مؤهلا لهـــذه الوظيفـــة .

* * *

شـــهرة واضـــواء

موقف رشاد خليفة من القرآن :

وظل محمد رشاد خليفة اماما لمسجد توسان فترة من الزمن لم يعلم به أحد ، حتى فاجأتنا نشرة عجيبة ابتدرها الاعلام فى كل اقطار الدنيا ، مكتوبة ومسموعة ، من غير تفريق بين دين ودين .

لقد اجتمع الاعلاميون على اختلاف دياناتهم على قلب رجل واحد ، وراء ما تحمله هذه النشرة التى تلخص محاضرة وصفت بأنها تدور حول اكتشاف خطير ، ظل سرا مستورا لم يعلم به أحد من الناس حتى ولا النبى صلى الله عليه وسلم ، وصحابته المقربون .

ونحن حين نتأمل هذا الاكتشاف الخطير نجده يركز على أمرين :

الأمر الأول : ان الاكتشاف قد اثبت ولأول مرة أن القرآن الكريم هو معجزة رب العالمين ، بطريقة واقعية ملموسة ومحسوسة ، ترفض جميع الطرق السابقة عليها ، والتى حاولت أن تتحدث عن وجه الاعجاز من غير جدوى .

اذ من الأقدمين من حاول أن يثبت ان الاعجاز فى القرآن الكريم يعود الى لفظه وصياغته ، ومنهم من حاول أن يثبت أن الاعجاز فى القرآن الكريم يرجع الى ما فيه من تنبؤات واخبار بالغيب ، ومنهم من وهم فقال : ان القرآن

الكريم معجز لما فيه من اخبار علمى ، واثبات حقائق فى الكون يحتاج من يثبتها الى وسائط وآلات(١) .

ويرى صاحب هذا الاختراع الجديد أن هذه جميعا اجتهادات شخصية ، ان صح منها شيء ، فانما يصح بطريق الصدفة ، والصدفة وحدها .

أما اختراعه هو فانه قد قام على حقائق الكمبيوتر الثابتة من غير أن يكون للبشر دخل فيها (كذا) .

وعبارات محمد رشاد خليفة واضحة الدلالة فيما نشره على الدنيا وسط الضجيج العالى والأضواء الساطعة انه يقول فى صدر ما قال :

[نقدم للعالم ،ولأول مرة فى تاريخ القرآن الكريم دليلا ماديا ملموسا لا يقبل الشك او الجدال على ان القرآن الكريم لا يمكن ان يكون من قول البشر ، وانه حقا وصدقا رسالة الخالق سبحانه وتعالى الى جميع الخلق ، وانه قد حفظ على مدى العصور والأجيال من اى تحريف ... ...

طوال القرون الأربعة عشر الماضية ظهرت المؤلفات والكتب والمقالات العديدة عن الاعجاز القرآنى تناولت الاعجاز اللغوى والاعجاز العلمى ، والاعجاز التنبؤى بل والاعجاز الموسيقى الا ان جميع اوجه الاعجاز التى ظهرت حتى الآن كانت بدون استثناء مبنية على آراء شخصية قابلة للتفسير والتأويل ، وتميزت جميعها بالتحيز العاطفى الذى طمس عظمة هذه الأوجه المختلفة من الاعجاز رغم انها بالطبع حقائق واقعية .. وكانت النتيجة الطبيعية لكون هذه الدراسات تفسيرية واجتهادات بشرية ان رفضها غير المسلمين كبرهان كاف على اصالة القرآن الكريم لأنه من عند الله عز وجل .

---

(١) سبق أن أفردنا فصلا لبيان وجه اعجاز القرآن الكريم ، ودلالته على ختم النبوة وعالمية الرسالة فى كتابنا نظرية النبوة فى الاسلام فليراجعه من اراد .

اما « المعجزة » القرآنية التى نقدمها هنا والتى سميت معجزة القرآن الكريم فانها تقدم للعالم لأول مرة معجزة مادية ملموسة فى القرآن الكريم لا تقبل الشك او الجدال وليست عرضة للتفسير او التاويل او التضـــارب فى الآراء] .

وينهى محمد رشاد خليفة حديثه عن وجه الاعجاز فى القرآن الكريم بما بدأ به كلامه اولا : فيقول : **[يتبين لنا ان هذا النظام الحسابى يقدم للعالم أجمع ولأول مرة فى تاريخ القرآن الكريم الدليل المادى الملموس الخالى من العواطف والتفسيرات والتاويلات والتخمينات على ان القرآن الكريم لا يمكن ان يكون من قول البشر ، وان كل كلمة بل كل حرف من حروف القرآن قد وضع طبقا لتصميم حسابى محكم يفوق طاقات الانس والجن] .**

ولعل القارىء يتفق معى على أن هذه المحاولة قد راجت فى زمانها رواجا مطلقـــا .

اولا : لأنها تشير الى آلة من الآلات لم تكن قد انتشرت فى زمانها ، ولم يكن الناس يعرفونها ، ولا يدركون طبيعة عملها مما أضفى عليهـــا نوعا من السحر الخلاب ، بحيث يكفى لتصديق اى فرية أن تنسب الى عمل هـــذه الآلة ، ويقال : انها ناتج من نتائجها .

وثانيا : أن الاعلام قد تعمد بواسطة الضـــوء العالى والصوت المرتفع أن يسحر اعين الناس ، ويذهب بالبابهم فى نوع من الزهو بدينهم ان كانوا مسلمين ، حتى تتم الطعنة لهم وهم مخدرون فكريا وعصبيا .

وفى هذا الجو طار صيت رشاد خليفة .

نحن وهذا الاتجاه :

ونحن نتأمل هذا الاتجاه فنجد انه مخالف مخالفة تامة لحقيقة المعجزة ومعنى الاعجاز ، ونجد أن صاحبنا يتعمد هذا كله ويقصد اليـــه فى شكل من المغالطة أو التدليس .

انه مخالف للمعجزة وللاعجاز ، لأن المعجزة فعل الله عز وجل ، مخالف للعادة ، يظهره الله على يد مدعى النبوة علامة على صدقه ، تماما كأن يرسل انسان انسانا آخر الى بيته ليحضر له شيئا من أهله ، فيعطيه علامة أو أمارة تشهد بصدقه ، والشرط فى هذه العلامة أو تلك الأمارة أن يكون الانســـان المكلف باحضار شىء ما لا يكون عالما بهذه العلامة أو تلك الأمارة ، ولا يتأتى له أن يكون عالما بها الا من طريق اخبار من أرسله بها ، فاذا ما ذهب بها الرسول الى بيت المرسل ، وطلب منهم أن يعطوه شيئا ما قائلا لهم : وعلامة صدقى القصة أو الحادثة التى حدثت فى بيتكم ، انه حين يفعل ذلك ، يصدقونه ولا يرتابون فى أمره ، لا لأنه فعل شيئا يطيقه ، ولكن لأنه قال شيئا لا يعلم حقيقته الا مرسله .

وحين يكون الحديث عن الله ورسله وعباده الذين يرسل الله اليهم هؤلاء الرسل ، تكون المعجزة على أيديهم على نحو هذا المثال الذى ذكرناه ، أن الرسول يدعى أنه من عند الله ، ثم يظهر الله على يديه آية وعلامة تكون أمارة صدقه ، شريطة أن تكون بمنزلة قول الحق صدق عبدى فيما يبلغه عنى .

وبعد أن اتضحت المسألة على هذا النحو ، نعود الى ما ذكرناه سلفا فنقرر أن ما ذكره محمد رشاد خليفة من الكشف الخطير ، والاختراع المذهل ان صح فانه لا يكون من قبيل المعجزة أو الاعجاز ، ذلك أن الجهاز المعتمد عليه فى هذا الاختراع تتم برمجته من قبل البشر الأذكياء منهم وغير الأذكياء ،

لأن البرمجة صناعة لا تحتاج الى ذكى ولا الى ذكاء ، وانما تحتاج الى ايد ماهرة مدربة لها نوع حذق فى مثل هذه البرمجة .

والحاسب الآلى فى النهاية لا ينطق الا بما برمج له ، ولا يقول شــيئا الا على الطريقة التى رسمت له ، فوظيفته أولا واخيرا انما تتوقف على البرمجة التى يقدمها اليه المبرمجون مهما كانت درجة الذكاء عندهم ، وعليه فان هذا الاختراع انما هو من فعل البشر ، والمعجزة فى حقيقتها ليست الا نوع فعل من أفعال الله الخارقة للعادات .

وليست هذه هى الملاحظة الوحيدة التى يمكن لى ولغيرى أن يلاحظ أمثالها على كلام رشاد خليفة ، وانما بالامكان أن نتأمل ما ذكره صاحب هذا الاختراع وبالامكان أن نجد فيه نوعا من الافتراء وضربا من التحكم سواء كان فى قسمة الأشياء على العدد تسعة عشر أو ضربها فيه أو مســاواتها له ، وفى كل الأحيان ، فان هذه العملية بتمامها لا تخرج عن كونها لعبة صبيان ، فأنا مثلا أستطيع أن أكتب رقما لمنزلى ، أو تكتبه هيئة التنظيم فى المدينة التى اسكن فيها ، وبعد كتابة هذا الرقم وتسجيله أستطيع أن أدعى أن بيتى مقدس ، والرقم الذى يحمله هو رقم مقدس ، كما يفعل رشاد خليفة بالضبط ، فالبيوت التى تقع فى الشمال من منزلى تقبل القسمة على الرقم الذى يحمله منزلى وكذا المنازل التى تقع فى الجنوب منه ، والمنازل التى تقع على الشرق عددها يساوى نفس الرقم الذى يحمله منزلى ، وقل مثل ذلك فى عدد الأفراد الذين يسكنون فى هذه المنازل ، وعدد الحيوانات الداجنة وعدد المارة الذين يمرون أمام منزلى كل يوم ... الخ .

أو ليس لى على مذهب رشاد خليفة ان أدعى أن بيتى بيت معجز وان الرقم الذى يحمله رقم مقدس ؟ !

دعونا من لعب الصبيان الى مواقع الجد فى القول والعمل .

وقبل أن نترك مواقع الصبيان الى مواقع الجد فى القول والعمل ، نشير الى ملاحظة هامة ، وهى أن المبرمجين للآلة الحاسبة الكومبيوتر فى أكذوبة رشاد خليفة حين يعمدون الى شىء يتصدون احصاءه فى القرآن ويجدون أنه لا يقبل القسمة على العدد تسعة عشر أو يضرب فيه يزيدون عليه — زورا — القدر الذى يجعله يصلح لذلك(١) .

وهم لا يتورعون من هذا الكذب ولا يخجلون من هذا البهتان .

اننا نتأمل هذا الاتجـــاه بشىء من التؤدة والأناة ونتـــأمل معه تاريخ الديانات المعاصرة ، فنجد عجبا من العجب ، اننا نجد رشاد خليفة يحاكى سلوك بعضها ، ويحتذى به حذو القذة بالقذة .

اننا نتأمل حديث رشاد خليفة عن معجزة القرآن ، ونتأمل حديث البهائيين عن القرآن المعجزة ، فلا نجد فرقا يذكر .

ان البهائيين حين يتحدثون عن القرآن المعجز يرفضون فى غاية الحزم ، أن يكون القرآن معجزا بصياغته ، ويرفضون بعصبية تصل الى حد التشنج اى وجه من وجوه الاعجاز التى ذكرها القدماء ، وأوضحوا للناس أن القرآن معجز فيها ، وابتكروا للقرآن وجه اعجاز لا تعرفه الأمة ، هو قريب الشبه لما ذكره صاحبنا ، الا ان البهائيين كانوا فى مقولتهم أصرح وأوضح ، انهم يقولون : ان القرآن معجز حين أخبر عن ظهور الباب أو البهاء ، واخباره عن هذا الظهور الجديد يتأتى حين ننظر الى الحروف المقطعة فى القرآن ، ونحول كل حرف الى عدد بطريقة بهلوانية على سنة أبجد هوز أو على اسلوب عد ابى جاد ، وهى طريقة يعرفها اليهود ويعجبون بها ويجدون فيها وسيلة مضللة بل خادعة للدهماء الذين لا يعقلون ، وهم بهـــذه الطريقة قالوا ان القرآن معجز لانه أخبر عن الظهور الجديد فى البابية والبهائية .

---

(١) قراءة فى وثائق البهائية ا.د. عائشة عبد الرحمن .

وليس للقرآن وجه اعجاز سوى هذا الوجه[1] .

اننا نتأمل ما قاله محمد رشاد خليفة فى وجه الاعجاز فى القرآن ونتأمل معه ما قاله البهائيون فى الموضوع نفسه ، فلا نجد من الفروق الا فرقا واحدا لا يتصل بالأصول ، ولا يصل بالوسائل الى الأهداف ، وانما الفرق فى أن رشاد خليفة آثر الا يصرح بالنتيجة وقد صرح بها البهائيون من قبله فكلاهما يرى أن معجزة القرآن فى العدد ، واستنتج البهائيون أن القرآن بما فيه من عدد قد أخبر عن وقت الظهور الجديد وازدرى المسلمون بل والعقلاء من غير المسلمين منهم هذا الحديث .

أما حديث رشاد خليفة فقد حاول أن يعتمد على التمويه فشارك البهائيين فى حصر وجه الاعجاز فى العدد ، ولكنه آثر الصمت وتقاعس عن الاستنتاج مما ذكره من مقدمات النتيجة التى تؤدى اليها المقدمات .

وكاتب هذه السطور حين يرى رشاد خليفة وقد وقف مع البهائيين فى خندق واحد لا يساوره شك فى أن كليهما يعملان لحساب جهة واحدة .

الأمر الثانى : تحدثنا عن الأمر الأول من الأمرين اللذين هما موضع الملاحظة التى لاحظناها على كلام رشاد خليفة ، وحاولنا أن نناقش الأمر الأول مناقشة موضوعية وسريعة على نحو ما رأينا .

والآن وقد جاء دور الأمر الثانى وخلاصته أن محمد رشاد خليفة فى اكتشافه الخطير قد رأى أن وجه اعجاز القرآن الكريم لم يقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا صحابتـه ، ولا التابعون وتابعوهم الى أن جاء عصر الكمبيوتر ، وقال فيـه ما قال ، وأوضحه بغاية الجلاء ، ونهاية الوضوح .

---

(١) راجع الفكرة بتفاصيلها ومراجعها فى كتاب البهائية وسائل وغايات للمؤلف ص ١٣٥ وما بعدها .

يقول محمد رشاد خليفة فى نشرته السالفة الذكر حول اعجاز القرآن

[كشفت العقول الالكترونية عن وجود نظام حسابى مذهل فى القرآن الكريم شـــاء الله سبحانه وتعالى أن يظل سرا خافيا لمدة ١٤٠٠ سنة لكى يتم اكتشاف العقول الالكترونية القادرة على كشف هذا النظام الحسابى المعجز ولكى يتبين للبشرية كافة ان القرآن الكريم ليس فقط كتاب سماوى أصيل من الخالق عز وجل ، بل انه ايضا قد وصلنا سالما من اى تحريف أو تحوير او زيادة او نقصان] .

ثم يكرر نفس المعنى فيقول : **[وقد شـــاء المولى سبحانه وتعالى أن يبقى هذا النظام الحسابى القرآنى الدقيق سرا خافيـــا لمدة ١٤٠٠ سنة لكى يثبت للبشرية كافة ، وبطريقة مادية ملموسة لا تقبل الشك او الجدال ان القرآن الكريم قد حفظ على مدى العصور والأجيال من اى تحريف او زيادة او نقصـــان مصداقا لقوله تعالى : ((انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون))[1]] .**

نحن وهذا الاتجاه :

ونحن نتأمل هذا الاتجاه كما تأملنا الاتجاه السابق ، فنجد أنه اتجاه مغرض مضلل ، ونجد أن صاحبه يصدر فيما يصدر عن غرض وهوى ، وهو يحاول أن يدلس على الأمة أمورا قد مرت عليـــه ، ويظن أنها تمر على الأمة ، أو أن الله سيتركها لتمر .

ونحن نكتفى هنا بنقض هذه المحاولة من أساسها ، ثم لا نتعرض بعد ذلك الى تفريعات ترتبت عليها أو انبثقت عنها .

فنقول : ان النبى حين يأتى بمعجزة أو تأتى على يديه ، فانه لا يأتى بها اعتباطا ، أو تجرى عليه بغير ارادة وحكمة من الله عز وجل ، وانما تجرى

---

(١) سورة الحجر : الآية ٩ .

المعجزة على يد النبى لتكون تصديقا له فيما ادعاه من أنه رســول رب العالمين الى المرسل اليهم .

ومن المعروف بداهة أن النبى صلى الله عليــه وسلم قد أوتى من المعجزات ما أوتى الأنبياء من قبله ، ولكنه باعتبار أنه خاتم الأنبياء والمرسلين قد آتاه الله معجزة تناسب كونه خاتم الأنبياء والمرسلين .

واحب هنا أن أزيد هذه الفكرة ايضاحا فى ذهن القارىء ، فأقول : ان النبى اى نبى قبــل النبى محمد صلى الله عليه وسلم ادعى أمام امته انه نبى رســول ، وجاءت المعجزة التى أجراها الله على يديه لتؤكد صدقه فيما ادعاه .

أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد ادعى امرين :

ادعى أولا : أنه نبى كسائر الأنبياء .

وادعى ثانيا : انه خاتم الأنبياء والمرسلين .

وبعد ادعائه لهذين الأمرين اظهر الله على يديه من المعجزات ما يناسب الدعوة الأولى والثانية ، ويتلاءم معهما .

وهذا ما يؤكده حديث للنبى صلى الله عليه وسلم بالسند الى ابى هريرة عن النبى صلى الله عليــه وسلم قال : ((**ما من الأنبياء نبى الا اعطى من الآيات ما مثله اومن — أو آمن — عليه البشر ، وانما كان الذى اوتيتــه وحيا أوحاه الله الى ، فارجو أنى اكثرهم تابعا يوم القيامة**))(١) .

---

(١) البخارى — كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة — باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « بعثت بجوامع الكلم » — ح / ٧٢٧٤ — ج ١٣ — ص ٢٤٧ . ومسلم فى كتاب الايمان باب وجوب الايمان برسالة النبى صلى الله عليه وسلم — ج ٢ ص ١٨٦ ، وهو أيضا عن أبى هريرة .

والمعجزات التى تثبت القضية الأولى من الممكن أن تكون مادية غير أن نبوة النبى صلى الله عليه وسلم باعتبار أنه خاتم الأنبياء مستمرة دائمة فى كل عصر ، فجاءت معجزة القرآن لتثبت القضيتين جميعا مهما اختلفت العصور او تباينت الأزمان .

وبعد هذا البيان يبدو انه قد اصبح ثابتا أن وجه اعجاز القرآن الكريم لن يكون ذا موضوع ، ما لم يظهر فى العصر الأول ، ولن يكون ذا موضوع ما لم يكن بادى الظهور للنبى صلى الله عليه وسلم اولا وقبل كل شىء .

ولست أفهم فى اطار ما ذكره محمد رشاد خليفة المقصـــود من قوله تعالى : ((**لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينـــا بيانه**))(١) . وكيف أفهم هذه الآية أو المقصـــود منها فى ضوء ما قاله محمد رشاد خليفة ، وما قاله محمد رشاد خليفة يعنى اول ما يعنى أن النبى لا يفهم حقيقة المعجزة التى جاء بها ، والآية تعنى اول ما تعنى أن الله عز وجل سيحفظ القرآن ويجمعه فى صدر النبى ، ويوقفه على معانيه ، وهو الذى يعبر عنها للناس .

والقرآن الكريم فى اكثر من موضع غير هذا يبين أن النبى قد أوقفه ربه على حقيقة القرآن ومعانيه ، وكلفه أن يبين ذلك للناس على نحو ما جاء فى آيتين من سورة النحل توضحان ما قصدنا اليه غاية الوضوح وهما قوله تعـــالى : ((**بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للنـــاس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون**))(٢) ((**وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**))(٣) .

---

(١) القيامة : الآيات من ١٦ : ١٩ .
(٢) النحل : آية ٤٤ .
(٣) النحل : آية ٦٤ .

والمتأمل فى هذه الآيات لا يملك الا ان يخالف محمد رشـــاد فيما ذهب اليه ، فالنبى يعلم بالقرآن ، ومن أوائل ما يعلمه وجوه الاعجاز فيه .

ولعل مشاغب يشاغب فيقول : ان ما ذكر من الآيات هنا لا يدل الا على أن النبى سيقوم بالبيان للأمة فى مجال العقائد ومجال التشريع ، وهذا لا يعنى بالقطع أن النبى يحتاج الى أن يقف على وجه اعجاز القرآن .

والجواب على مثل هذا الشغب سهل ميسور ، ذلك أن القرآن الكريم كما جاء ليصحح وعى الأمة بالتوحيد ، وكما جاء ليرسم لها الخط الصحيح فى مجال التشريع جاء كذلك ليتحداهم فى أن يأتوا بمثله ، أو بمثل عشر سور منه ، أو بمثل سورة حتى ولو كانت مكونة من ثلاث آيات ، وهم فى جميع ذلك قد عجزوا وهذه ألفاظ القرآن فى التحدى :

قال تعالى : ((**فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صـــادقين**))(١) واخبر عن عجزهم فى هذا المجال مهما اجتمع لهم من أسباب التعضيد فقال : ((**قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**))(٢) وينزل القـــرآن معهم فى التحدى كى ييسر الأمر عليهـــم ان استطاعوا فقال : ((**أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر ســـور مثـــله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صـــادقين**))(٣) وينزل القرآن معهم أكثر من ذلك فيقول : ((**وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين**))(٤) ((**أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين**))(٥) .

---

(١) الطور : آية ٣٤ .
(٢) الاسراء : آية ٨٨ .
(٣) هود : آية ١٣ .
(٤) البقرة : آية ٢٣ .
(٥) يونس : آية ٣٨ .

ونحن نرى أن القرآن الكريم يستعمل فى التحدى اللفظ الذى يطالبهم فيما يأتون به بأن يكون مماثلا للقرآن أو بعضه .

والمطالبة بالتماثل واشتراطه أمر له دلالته هنا .

فحين يقلب المرء بصره وبصيرته مع القرآن وهو يتحدى الناس لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، واثبات أنه خاتم الأنبيــاء والمرسلين ، يجد أنه فى كل مرة من مرات التحدى يشترط عليهــم التماثل فيما يأتون به ، محاكين به للقرآن ، حين يقلب المرء بصره وبصيرته فى القرآن للتحدى به ، ويجد شرط التماثل مسيطرا على كل موقف من مواقف التحدى ، لا يسعه الا أن يقتنع بأن البشر الذين تحداهم الله بالقــرآن لابد وأن يكونوا مدركين لوجه الاعجاز ، واقفين على حقيقته ، وعلى حقيقة أنهم لا يستطيعون أن يحاكوه ، ولو لم يدرك الناس ذلك ، ولو لم يقف الناس على وجه الاعجــاز فى المعجزة لما كان للتحدى بها وجه يذكر ، ولا قيمة تحكى ، ولا ثقل يحسب له فى ميزان الهزيمة والنصر أى حساب .

والقرآن كما نعلم جاء معجزة يتحدى به لاثبات القضيتين المشار اليهما منذ ادعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والى أن تقوم الساعة .

فالقول بأن القرآن ظلت معجزته سرا مستورا الى أن اخترع البشر آلة من الآلات فاكتشفت بها معجزة القرآن ، وأن الأمة ما كان لها من علم باعجاز القرآن قبل اختراع هذه الآلة البشرية نوع من التحكم البارد الذى لا معنى له ، وضرب من القول المشبوه الذى ينبغى أن ننظر اليه بحذر لا نظير له الا ما كان من نوعه أو من جنسه ، وفصلا من فصول ملحمة خسيسة من التآمر ضد أشرف دين ، وأقدر تشريع على قيادة البشر ، وأصحاب الانسانية والرقى بها من السفح الهابط الى القمة السامقة .

ان المرء حين يقلب بصره وبصيرته فى القرآن وهو يتحدى ذوى القدرات، ويطالبهم بالاتيان بمثله ليدرك بالاضافة الى ما ذكرناه أن النبى الذى جاءت هذه المعجزة لتأييد موقفه ، يستحيل أن يكون جاهلا بوجه اعجاز هـــذه المعجزة ، اذ من الوارد المحتمل ان يسأله الناس حين يتحداهم بمعجزته ، ويطالبهم بالاتيان بمثلها عن السر وراء هذا الاعجاز ، وعن القيمة الحقيقية ان خفيت عنهم ولن يدركوها ، والقول بأن النبى لا يدرك حقيقة الاعجاز فى القرآن قول جرىء من انسان قد غفل عن حقيقة ما يقول ، أو هـــو قول مغرض ، القصد منه تضليل الأمة على يديه والانخداع بما يقول .

ان المرء حين يقلب بصره وبصـــيرته فى القرآن المتحدى به ، ويقلب بصيرته وبصره فى أوجه الاعجاز التى ذكرها العلماء ، ثم تصل به الرحلة الفكرية الى الوجه الذى ذكره محمد رشاد خليفة ، واعتبره هـــو الوجه الحقيقى لاعجاز القرآن الكريم لا يملك الا ان يرجع ضاحكا أو مكتئبا ، لأنه اما أن يرجع ضاحكا ساخرا من هذا الضجيج العالى ، والصوت المرتفع ، والأضواء التى تغشى الأبصار والبصائر ، والهتافات التى بحت بها الأصوات والحناجر ، وكل هذا الضجيج ، وكل هذه الأصوات وراء موضوع تافه لايصلح الا أن يكون ملهاة لصبيان ، أو ترضية لوجدان أطفال ليس لها من نظائر الا ما نفعله كل يوم من ركل الأرض بأقدامنا ، حين نجد الطفل قد سقط عليهـــا وصاح باكيا ، أو ضرب المناضد والجدران بالعصى لاحداث الأثر نفســـه فى وجدان الطفل الذى اصطك بالجدران ، أو اصطدم بالمناضد ، وان هـــذه الأحداث لتمر عادية بالعشرات كل يوم ، ولكن الذى يضحك منه العقلاء أن يصدق الكبار أن الأرض تألم حين نركلها بأقدامنا ، أو ان المناضد والجدران تعذب حين نقرعها بالعصى ، أو نحاول قرضها بالمقاريض .

ان ما فعله رشاد خليفة لا نجد له شبها فى الدنيا الا هذه الأمثلة لأن ما تخيله هو ورفاقه فى اخيلتهم الفاسدة ، ثم وضعوه مبرمجا فى الآلة الحاسبة المعاصرة ، ثم استنطقوها اشياء قد برمجوها لها ، لا يصلح بحال أن يكون وجه اعجاز لقرآن عظيم ، بل انه لا يصلح بحال فى ميزان الشرف والتكريم أن يكون لقطة من التشريف والتكريم لكتاب بشرى لم يدع صاحبه أنه وصل فيه ، او قطع خطوة فى طريق القمة ، أو ذروة الكمال .

مثل هذه المحاولة من رشاد خليفة يضحك منها العقلاء ويسخرون ، أن كان صاحبها قد قنع بما فعل .

وان هذه المحاولة ليبكى منها العقلاء وأصحاب القلوب ، ان كان صاحبها لا يقنع بها ، وان كان صاحبها يزدريها كما يزدريها غيره ، ولكنه قد قام بتمثيل هذا الدور خداعا لأمته ، وتضليلا لقومه ، قاصدا من وراء ذلك أن يقدم خدمة لأناس استتروا خلفه ، وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وهم فيه وفى امثاله دائما من الزاهدين .

ان العقلاء ليؤلمهم مثل هذا الموقف ويحزنهم ، حين يرون واحدا من أبناء جلدتهم قد باع نفسه للشيطان ، وهو يدرى أنه بائع نفسه للشيطان ، وقد ألقى بنفسه فى أتون الخسة ، وهو يدرى انه قد ألقى بنفسه فى اتون الخسة ، وقد قام بتمثيل دور هو يعلم قبل غيره أن هذا الدور لا يقوم به الا ضـــعيف الشخصية الذى لا يملك لقرار اعدائه ردا ماداموا لا يريدون منه لهذا القرار ردا .

على أية حال ، ومهما كان الأمر الذى ننتهى اليه ، فاننا نقول : اننا أمام اعلان رشاد خليفة لهذا الوجه من وجوه اعجاز القرآن الكريم نتمثل العقلاء وقد اختلطت فيهم الضحكات بالدموع ، والأسى الذى يمزق القلب بالسخرية المنبعثة من الاندهاش .

قصـــد مستور:

وبعد هذه الرحلة التى قصرت أو طالت ، والتى قمنا خلالها بمحاولة تصوير موقف رشاد خليفة من القرآن الكريم ، يكون من حقنا ومن حق القارىء معنا ان نطرح هذا التساؤل :

ما هو القصد الحقيقى وراء هـــذا الموقف الشاذ من القرآن الكريم ، والذى صدر من مكان شاذ على لسان انسان شاذ ؟ .

وما الحكمة من ان هذا الموقف الشاذ قصد منه أن يظهر للمسلمين ، وكأنه موقف متحمس للدين ، وللقرآن الذى هو كتاب المسلمين المقدس ؟ .

لقد كان الجواب خافيا ، والوقوف عليه أمر عسير لا يسر فيه حين ظهرت هذه المحاولة لأول مرة ، غير ان الأحداث المتلاحقة قد ألقت على هذا الموقف ضوءا عظيما ينير للمسلمين طريقهم ، حتى يقفوا على حقيقة أعدائهم .

ان الساحة الاسلامية قد شهدت فى السنوات القليلة الماضية انتشارا مقصودا أو غير مقصود لكتب أدعياء النبوة بل الألوهية فى هـــذا الزمان ، ومنشوراتهم ورسائلهم ، وانكشفت من خلال هذه المنشورات والرسائل علاقة هؤلاء بجهات يعملون لحسابها ، وهى جهات لا تكن للديانات جميعا خيرا يذكر ، ولا تحترم معتنقيها ، ولا تهاون مبـــدأ من مبادئها ، انهـــا لا تحترم دينا من الديانات ، ولا ترعى لمتدين فى مجتمع من المجتمعات الا ولا ذمة ، فاذا ما تمكنت منه أهدرت دمه وكرامته ، واذا ما تمكنت من دينه شوهت عقائده ومبادئه .

انكشفت فى الأيام الأخيرة وبسرعة مذهلة الكتب والمنشورات الخاصة بمدعى النبوة والألوهية فى هذه الحقبة الأخيرة ، وكشفت هـــذه المطبوعات والمخطوطات عن العلاقة المريبة والشاذة بين هؤلاء المتنبئين ، وبين جهات

مشبوهة ، وكان لابد لهذه المطبوعات والمخطوطات أن تظهر مهما بالغ أصحابها فى التحفظ عليها وكتمانها .

وحين ظهرت هذه الكتب وتلك المنشورات أبانت عن أكبر شخصيتين فى هذا العالم ، أو بالأحرى أبانت عدد أكبر ديانتين وضعيتين وضعتا فى هذا الزمان المتأخر ، وعن الشخصيات الكبرى فيها ، ومراحل تطورهما :

وهاتان الديانتان أو النحلتـــان هما : الديانة القاديانية بفرعيها — القاديانى واللاهورى — وقد ظهرت هذه الديانة على أرض الهند لأول مرة ثم انتشرت منها الى بقية الأقطار الاسلامية .

ولهذا الظهور والانتشار أسبابه التى أدت اليه وعوامله التى انتجته(١) .

والديانة الثانية أو النحلة الثانية هى : البابية التى تطورت بعد الى البهائيـــة .

وقد ظهرت هذه النحلة لأول مرة فى ايران ثم استقرت فى أرض فلسطين المحتلة ترعاها اسرائيل وانتشرت بعد فى سرية تامة الى باقى اقطار الدنيا .

ولهذا الظهور وذلك الانتشار وأسبابه التى تقف ورائه وعوامله التى أدت اليـــه(٢) .

والمتأمل فى هاتين الديانتين ورجالهما والشخصـــيات الكبرى فيهمـــا والكتب المقدسة لدى أصـــحابهما ، والتى تشرح التطور العقدى والادعائى للمتنبى فى كل منهما ، ان المتأمل فى ذلك كله يطلع بسهولة على حقيقة لا تقبل

---

(١) راجع ما كتبنـــاه عن القاديانية فى كتابنا القاديانيـــة ومصيرها فى التـــاريخ .

(٢) راجع فى البابية والبهائية ما كتبناه عنها فى كتابنا البهائيـــة وسائل وغايات مرجع سبق ذكره .

الجدل ولا يعتريها المراء ، ذلك أن المتنبى فى كل من الديانتين يبدأ بحيلة من الحيل تكون شديدة الانفجار من ناحية ، مبالغة فى الحيطة والحذر من ناحية أخرى ، بحيث توفر لهذا الدعى اكبر قدر من الآذان التى تسمع بذكره وتتسامع باسمه ، واكبر قدر من القلوب التى تخدع ، فتهفو اليه وتنجذب نحوه .

وانت تستطيع ان ترى ذلك فيما صنع للقاديانية ، انه غلام أحمد قد تقدم الى الأمة فى صورة رجل مناضل مكافح عن الاسلام ونبى الاسلام فى وجه المستشرقين الذين قد تعرضوا الى النبى والى دين الاسلام بما يجرح مشاعر المسلمين ويحط من كرامتهم .

تعرض غلام أحمد لهذا التيار فى الهند وهيىء له الاستعمار الذى يرغب فى اظهار غلام احمد جوا من الظهور والانتصار .

وحين اشتهر غلام احمد بين الناس احبوه خصوصا وأن الهنود فى هذا الزمان قد تعرضوا لحركة تبشير قوية وكان شعورهم الاسلامى يألم حين يخذل المسلمون أو بعضهم ، وينتشى غاية الانتشاء حين يظهر بالحجة بعض علماء المسلمين ويرد الى الأعداء كيدهم فى نحورهم . على أية حال فان المستعمر البغيض فى الهند قد تأمل وضع المسلمين الاجتماعى وظروفهم الاجتماعية وهيأوا لعميلهم المصنوع جوا يظهر من خلاله متخذا من العوامل الاجتماعية والنفسية ادواتا لاظهاره وانتشار صيته .

ونترك المجتمع الهندى والقاديانية معه لنتأمل مجتمعا آخر هو المجتمع الايرانى أو الأمة الفارسية .

والمعروف أن أمة الفرس لا يظهر فيها الا رجال يمتزج فى عقولهم الفكر الصوفى بالفلسفات القديمة ، على أن يغلف ذلك كله بمبادىء الاسلام التى تحميه وتقف وراءه .

وبصرف النظر عن صحة هذا المسلك أو خطأه ، فان أعداء الاسلام قد هيأوا فرصة الظهور لضيعتهم الأولى والثانية (على محمد الباب وحسين على البهاء) من خلال هذا الوضع الاجتماعى والشعور الدينى المختلط لدى بعض الرجال والنساء ، فكانت بداية المزرعة الطريقة الشيخية والتى أسسها الشيخ أحمد الاحسائى والتى نما الميكروب فيها نموا مضطردا الى أن جاء كاظم الرشتى خلفا للشيخ أحمد الاحسائى ، وكانت مهمة الاثنين — بتخطيط ذكى وايحاء نفسى قام به اليهودى الروسى كينياز دال غوركى (الشيخ عيسى) — اختيار شخصية قابلة للخدمة فى فلك الاستعمار واعوانه ، والعمل على اظهارها واشتهارها .

وكان للتخطيط الذكى ما أراد فاشتهر على محمد ثم من بعده حسين على المازندرانى من خلال فكرة شعبية سائدة وهى تسليم الزعامة والقيادة للمهدى المنتظر الذى سيعود فيملأ الأرض عدلا وصدقا بعد أن ملئت ظلما وجورا ونكرا .

ظهر اذا على محمد الشيرازى وخلفه حسين على المازندانى من خلال ما يعرفه الشيعة من فكرة الامام الغائب أو المهدى المنتظر بشىء يسير من التعديل وشىء قليل من التحوير فى الفكرة الأساسية .

ومهما كان انتشار الرجلين قليلا فى ايران فان الواقع الذى لا يمكن انكاره ان هذين الرجلين قد أريد لهما أن ينتشرا من خلال فكرة شعبية لها اثرها فى المجتمع المعاصر لهما ، وهو المجتمع الذى انضجهما وأرضعهما لبانة .

وكان لابد أن نستعرض ما نشر من الكتب والمنشورات الخاصة بهاتين النحلتين وتطور رجالهما ، لأن فى نشر هذه الكتب وما أحدثته من أثر ضوءا شديدا للمعان يمكن أن نسلطه على المستور من تاريخ محمد رشاد خليفة

حتى نتمكن من الكشف عن العلاقة الحقيقية التى تربطه بالرابضين هناك خلف الكواليس .

وبعد هذا فاننا لا نحتاج الى كبير عناء ، ونحن نؤكد أن هذه المرحلة من مراحل تقديم أعداء الاسلام لصنيعتهم وفرضها على الساحة الاسلامية لا يقصد منها الا أمران :

أحــدهما : أنهم يريدون أن يقدموه للناس على أنه مسلم غيور حتى يحظى لديهم بقدر كاف من الثقة والاحترام .

وثانيهما : أنهم يريدون ان يتوفر لصـــنيعتهم قدر عظيم من الظهـــور والشيوع والانتشار .

ورشاد خليفة ان كان قد أشار الى أحد هذين العاملين فانه قد ألح على العامل الثانى غاية الالحاح واعتبره من قبيل الأمور التكليفية والتى يجب على كل مسلم أن يشارك فيها بالنفس والمال ليجتذب رضا الله من خلال اظهـــار محمد رشاد خليفة .

قال فى نشرته المشار اليها حول اعجاز القرآن : (وبعد ، يا أخـــوة الايمان — كذا — فى مشارق الأرض ومغاربها يتوجه اليكم مسجد مدينة توسان بنداء مخلص الى قلوبكم المؤمنة أن تقوموا بواجبكم ومسئوليتكم نحو نشر هذه الحقائق المذهلة حتى يعلم بها كل ركن من أركان هذا العالم ولا شك أن كل واحد منكم يستطيع فى حدود استطاعته أن ينشر هذه الحقـــائق القرآنية الاعجازية ابتداء من مستوى أقربائكم وأصدقائكم الى مستوى التعضيد المالى للمشروع الذى تم وضعه بواسطة مسجد مدينة توسان لتعريف العالم كله بهذه المعجزة القرآنية .. حيث نهيب بكم أن ترسلوا ما تستطيعون التبرع به الى « مشروع الدعوة الاسلامية » على العنوان المبين أدناه أو مباشرة فى

حساب المشروع بالمصرف المبين أدناه : وفقنا الله واياكم لخدمة الله — كذا — ودينه الحنيف بما يحبه ويرضاه) .

ولقد أبان رشاد خليفة بغاية البيان وألح غاية الالحاح على هدفه من هذه المرحلة من مراحل تطوره فيما اختير اليه من مهام وأمور يحسب عليه منها حتى اللمم ويعد كل خطوة منها كبيرة من الكبائر مهما بدت من صغائر الأمور .

والهدف من هذه المرحلة — والذى لم يقبل أن يختلف عليه اثنان — هو اظهار رشاد خليفة واسماع صيته فى كل صوب وحدب وفى كل قفر ونجع وفى كل مدينـــة وقرية ، ولابد أن يعلم الجميع أنه من اكثر أهل زمانه غيرة على الاسلام وذويه ومن أنشط علماء الأرض دفاعا عن القرآن وتابعيه .

وقـــد كان .

موقفه من السنة :

فى اطار الشهرة المقصودة والذيوع الذى خطت له تحدثنا عن موقفه من القرآن الكريم .

وفى اطار آخر نتحدث عن موقفه من السنة النبوية المطهرة .

اشتهر رشاد خليفة قدر ما اشتهر حين كان له مع القرآن موقف .

وقد اكمل رشاد خليفة اشتهاره حينما كان له مع الســـنة موقف آخر وصحيح ما نذهب اليه من أن الموقفين كليهما قد أديا الى شهرة صاحبه وذيوع صـــيته .

وصحيح كذلك ما نسجله هنا من أن اشتهاره حين كان سبب اشتهاره موقفه من القرآن كان اشتهارا خادعا للمسلمين حيث اشتهر على أنه مدافع عن الاسلام غيور على المسلمين ، وفى الاشتهار الثانى اشتهر رشاد خليفـــة على أساس أنه الرجل المعادى للسنة النبوية المهد لاتخاذ موقف منها ومن صاحبها صلى الله عليه وسلم قد أظهرته الحوادث وتلاحق الأمور فيما بعد .

لونان من الاشتهار يجمعهما ان الرجل قد أصبح ذائع الصيت مشهورا بين الناس ، ويفرق بينهما أن الاشتهار الأول كانت الأمة المخدوعة قد تحدثت عن محمد رشاد خليفة على انه رجل حريص غيور مسلم ، وأن الاشتهار الثانى قد تحدثت الأمة فيه عن رشاد خليفة على انه اتخذ لنفسه موقفا عن السنة يكفر به كفرا بواحا ، ويأثم به اثما ظاهرا .

وفى هذا الاشتهار الأخير ظهر رشاد خليفة أمام الأمة بصورة جديدة انه قد ظهر أمامها ، أصلع الكفر ، ظاهر الخطيئة ، التى لا يغفرها الله الا بتحديد الايمان (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(١) .

وفى هذا الاشتهار الأخير بدا لنا رشاد خليفة مهزوزا فى شخصيته خائفا مرتجفا قد أصابت نفسه رجفة قوية لم يكن سببها بالقطع خوف من الله وانما كان سببها خوف من المجتمع وحرص على نفسه ، ورعب ممن استعملوه أو استخدموه ، وحب لما فى أيديهم من عرض الدنيا(٢) ، وفيه وفى أمثاله يقول الله عز وجل : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب (١٦٥) اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧))(٣) .

---

(١) النساء : آية ٤٨ ، ١١٦ .

(٢) عالجنا هذه الاعتلاجات النفسية فى صدر رشاد خليفة فى بحث لنا بعنوان : « الاسلام واستمرار المؤامرة » الجزء الأول ، مرجع سبق ذكره .

(٣) البقرة ١٦٥ — ١٦٧ .

السنة كما أظهرت له :

فى بداية الثمانينات بدات الفرية الجديدة تطل برأسها ، وبدات المؤامرة تتبلور حول نفسها لتأخذ الطريق الى شكلها النهائى ، وموقفها المرسوم .

وكنا فى الماضى نسمع ونقرأ عن رشاد خليفة ، فلا نجد الهجوم ظاهرا برغم أن رائحته كانت فواحة ، ولا نجد العداء باديا برغم أن مخالبه كانت حادة .

ولكننا فى هذه الجولة نقرأ ونسمع فنرى وجها صريحا ، وأسلوبا ظاهرا ، ومسلكا محدد المنهج والخطى .

وهذا المنهج الظاهر ، والخطى المحددة كان لهما وجودهما الواضـــح فى السنة النبوية المطهرة والموقف منها .

قام صاحبنا ليعلن فى كتاب له أن السنة بما لها من جمهـــور عريض ، وما يلتف حولها من كثرة هائلة من المؤمنين بها لا تزيد عن كونها نسيج من عمل الشيطان سواء كانت هذه السنة المنقولة عن النبى ، والمنســـوبة له قولا ، أو فعلا ، أو تقريرا ، انها كلها عمل شيطانى قام به أناس مجرمون ، والنبى والاسلام منه براء .

وعبارته فى هذا المجال صريحة لا تحتاج الى تأويل فهو يقول : **[وكشف البحث المستمر الدائب عن حقيقة مذهلة ، وهى : أن الحديث والسنة ، بما لهما من شعبية هائلة ومكانة عالية ، لا علاقة لهما بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم وأن التمسك والالتزام بهما ، يمثل عصيانا صارخا لله ولخاتم النبيين ... وهذا الاكتشاف يتناقض مع معتقدات الجماهير المسلمة فى كل مكان](١).**

---

(١) القرآن والحديث والاسلام — محمد رشاد خليفة — المقـــدمة . والترجمة . د/عائشة عبد الرحمن — انظر قراءة فى وثائق البهائية .

[... ولما كان الاقرار بان « الحديث والسنة انما هى بدع شيطانية » تؤيده الأدلة المادية ، فى الشواهد القرآنية . فان كل الناس ذوى الفكر الحر سوف يقبلون المكتشفات المدونة فى هذا الكتاب وبالنسبة الى هؤلاء ، المفكرين الأحرار ، فان تلك النتائج تتضمن احساسا جديدا بالخلاص ، وباليقظة الكاملة ، والوعى بأن الشعوب المسلمة سقطت ضحية للمخططات الشيطانية](١) .

ويطوف المؤلف حول هذا الموضوع قدر ما وسعه جهده ، ثم ينتهى الى حد انه يعاتب الأمة أشد العتاب ، حيث لم تفطن الى ما فطن اليه ، ويتباكى على موقفها أشد التباكى ، حيث لم تقف على ما وقف عليه من الأسرار ، أو تدرك ما أدركه من المعارف وحقائق الأمور ، ويشتد الم رشاد خليفة حين يرى الأمة منذ تاريخها القديم قد وقعت فى حبائل الشيطان ، وآمنت بسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، بل قد وصل بالأمة الحال الى انها تابعت سنة النبى ، وقلدتها ، وكان ينبغى لها أن لا تفعل .

ثم هو يتوجه الى المعاصرين من المؤمنين بنصيحته المطولة والمخلصة ، يرجوهم ان لا يتبعوا سنة النبى ، وأن يلفظوها ويتبرءوا منها .

ان رشاد خليفة على الجملة يأسف على حال الأمة مع السنة ، وينصح لهم ، انه يأسف على حال الامة فى فقرات مركزة من كتابه ، وما وقعوا فيه حين استدرجوا الى الفخ : **[الشيطانى الذى استدرج اليه المسلمون جميعا ، من بدء الاسلام الى اليوم ، وفى كل مكان . وهم فى غفلة عن الحيل الشيطانية التى اضلتهم بما يعرف بالحديث والسنة](٢) .**

---

(١) نفس المرجع السابق — مقدمة .
(٢) المرجع السابق .

وهو ينصح للأمة فيما يظهر انه نصيحة ، وهو فى الحقيقة خداع وتمويه حين يطالبها بترك السنة ، ويؤكد لها أنه مطلب شرعى ، اذ القرآن نفسه حسبما يزعم امام مسجد توسان ينظر الى الحديث والسنة باعتبارهما بدع يجب أن يمحقها ، ويؤكد أن التمسك بهما معه : **[شرك ومعصية لله ورسوله ، وغفلة عن ما حفظ علماء الاسلام — أولى الأمر منا فى الدين — حفاظ الحديث والسنة]**(١) .

الى هنا قد وصلنا الى ما نستطيع أن نقرر من خلاله انه رأى واضح لموقف رشاد خليفة من السنة .

وهو موقف كما ترى يطلق القضية اطلاقا بغير دليل ، الا دليلا واحدا ، لو تأمله القارىء لوجده دليلا مهزوزا ناقص البيان قليل الحيلة ، رتيب الوقع ، مشدودا الى ماضى رشاد خليفة الهزيل .

ترى ما هذا الدليل الذى نقدم له بتلك الكلمات .

ان دليل رشاد خليفة على أن السنة عمل من فعل الشيطان قد خدعت الأمة به ، ووقعت من أوائلها الى آخرها فى احبولته دون أن تدرك أو تعى ، حتى جاء رشاد خليفة المنقذ والمخلص لها مما وقعت فيه .

ان دليل رشاد خليفة الدامغ ، والذى لا يقبل الجدال من وجهة نظره هو أن السنة حين تأملها رشاد خليفة قد اكتشف فيها ولأول مرة ، أنها لا تخضع للنظام العددى الذى حاول أن يخضع القرآن له ، وأنها قد استعصت على أن تدور حول العدد تسعة عشر ، أو تقبل القسمة عليه ، أو الضرب فيه ، أو المساواة له .

هل رأيت معى ذلك الدليل الحاسم والقول الفصل ، ونهاية الاقدام لهذا المفكر العظيم ؟ .

---

(١) المرجع نفسه .

ان السنة من عمل الشيطان لأنها لم تخضع لنظام عد — أبى جاد — ولم تطاوع رشاد خليفة حين أراد لها أن تدور على العدد المقدس ، وهـو العدد (١٩) .

ان عد — أبى جاد — فيما يعرفه الذين يقرأون تاريخ اليهود يقوم على قاعدة سلمتها عقولهم ، وهيأت أخيلتهم لها الأجواء .

وهذه القاعدة المسلمة لديهم هى : أنه ما من حرف من حروف الهجاء الا ويقابله عدد .

فالألف يقابله الرقم واحد ، والباء يقابله الرقم اثنان ، والجيم يقابله الرقم ثلاثة ، والدال يقابله الرقم أربعة ، والهاء يقابله الرقم خمسة ، والواو يقابله الرقم ستة ، والزاى يقابله الرقم سبعة والحاء يقابله الرقم ثمانيـة والطاء يقابله الرقم تسعة والياء يقابله الرقم عشرة ، والكاف تساوى عشرين ، واللام تساوى ثلاثين ، والميم تساوى أربعين ، والنون تساوى خمسين ، والسين تساوى ستين ، والعين تساوى سبعين ، والفاء تساوى ثمانين ، والصاد تساوى تسعين ، والقاف تساوى مائة ، والراء تساوى مائتين ، والشين تساوى ثلاثمائة ، والتاء تساوى أربعمائة ، والثاء تساوى خمسمائة ، والخاء تساوى ستمائة ، والذال تساوى سبعمائة ، والضاد تساوى ثمانمائة ، والظاء تساوى تسعمائة ، والغين تساوى ألفا .

تلك هى طريقة عد أبى جاد أو ما يعرفه من يدرس تاريخ اليهود بحساب الجمـل .

وهى طريقة مبنية على مقدمات خيالية أعطيت للعقول البشرية فى الماضى على أنها العلم والعلم منها براء ، وعلى أنها اليقين ، واليقين لا يعرف طريقة اليها ثم أعطيت بعد ذلك الى الآلة الحاسبة أو الكومبيوتر المسكين ثم طلب

اليه أن ينطق بأن هذه الطريقة هى أســاس الاعجــاز فى القرآن الكريم ، فاستحيا أن ينطق بما يريدون الا بشرط أن يحملهم مسئولية ما يطلبون ، ولا تتحقق المسئولية الا اذا القموه ما يريدون منه أن يقوله مبرمجا فى باطنه فيظهره لهم على وجهه أو شاشته حين يطلب منه ان يظهره ، فيخدعون به من يمكنهم أن يخدعوه فى ضرب من الحيلة البهلوانية التى كان يعرفها القدماء أو يعرفون أمثالهم باسم الشعوذة او الشعبذة أو خفة اليد .

وفاتت الحيلة فى ستينات هذا القرن مع ألم الهزيمة فى حروب المسلمين مع اليهود فيما يعرف بالاعجاز العددى للقرآن الكريم .

وحاول مشعوذ هذا العصر محمد رشاد خليفة أن يفعل الشىء نفسه فى السنة النبوية فخذله الله ، فأراد ان يتخلص من السنة كلها — وما هو بقادر على ذلك — حين أعلن على الأمة أن السنة من عمل الشيطان ، وأن دليله على ذلك أن السنة قد رفضت أن تخضع لحساب أبى جاد ، وتأبت ان تنصاع الى نظام « أبجد هوز حطى كلمن » — السالف الذكر — وهو نظام يهودى كما قلنا خيل اليهودية الى العالم واظهروه على انه فى قمة درجات اليقين .

تأبت السنة وترفعت أن تخضع لعد أبى جاد ، فاتهمها أنها من عمــل الشيطان ، ورفضت كما رفض القرآن من قبل أن تخضع للعدد المقدس عند البهائيين وهو العدد (١٩) فحذر رشاد خليفة المسلمين من الأخــذ بها أو الانصياع لمبادئها .

وانى أجد نفسى فى حاجة الى الاعتذار الى القارىء العزيز الذى أشعر به وكأنه يقطب الجبين ويرسل الذفرات الدالة على نوع من الضيق المؤلم أو الألم المفنى للنفس ، وأعلم أن سبب ضــيق القارىء العزيز أننى قد أهنت عقله حين عرضت عليه مقالة رشاد خليفة التى تتخذ من حساب الجمل القاعدة والأساس وأنا من أجل ذلك كله أحتاج الى مثل هذا الاعتذار .

وانا حين اعتذر الى القارىء العزيز اقول انى مضطر لمثل هذا العرض لا حيث رايت الكثير من ابناء الأمة قد انخدعوا فى الماضى بهذه الطريقة وخشيت ان ينخدع بها فى محاولته الثانية مع السنة النبوية المطهرة ، فأردت أن أعرضها من غير مناقشة لها لوضوحها وظهورها ، ورأيت ألا افعل فيها شيئا سوى انى أجردها من الزيف والخداع وانأى بها عن المؤثرات المصنوعة والخيالات المفتعلة ، قصدت من وراء ذلك كله حماية النشء وتحذير الأمة من هذا اللون الجديد من التآمر والخداع .

قصة طريفة :

وفى هـذه المرحلة من البحث اشعر وكأنى قطعت شـوطا لا بأس به ومرحلة قد تركت فى نفوسنا من الألم والمرارة كما نحتاج معه الى شىء من الاسترواح وقدر من التسلية نستعيد به نشاطنا ونتذود به الى المرحلة التالية من البحث والنظر .

وقلبت أمرى فيما أعرضه من أمور التسلية ، وما ينبغى على أن اقدمه للنفس كى تستروح به ، فوقع اختيارى على قصة طريفة من نسج خيـال المريض قد بلغ من براعة تحدى الواقع حدا لم يبلغه كاتب قصة خيالية فى الماضى او فى الحاضر ، واختار كاتب هذه القصة الامام البخارى لكى يكون بطلها الأول الذى تدور على لسانه معظم أحداثها ، وينسب اليه جل وقائعها .

ان الامام البخارى فى هذه القصة رجل اتخذه المسلمون اماما واعتبروا انه ثقة وانه فوق الشك والتهم .

ووظيفة هذا الامام انه محدث اشتغل بالسنة ووقف نفسه عليها وأورث الأمة كتابه الجامع الصحيح ، وتلقت الأمة هذا الكتاب بغاية القبول ، واعتبرته أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل .

والامام البخارى من علماء القرن الثالث الهجرى أى انه لم يعرف رشاد خليفة ولم يخطر مثله له على بال .

والى هنا فان ما يرد فى القصة حق لا ريب فيه .

غير أن المثير أن رشاد خليفة قد اتخذ من الامام البخارى عدوه الأوحد وهدفه الذى ركز عليه سهامه المحمومة ، فاتهمه بالاجرام وبأنه المقصود بقوله تعالى : « **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون** »(١) وأنه من بين المقصودين بقوله تعالى : « **وكذلك جعلنا لكل نبى عـــدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا** »(٢) .

هكذا بدأت المثيرات والمسليات فى هذه القصة ، اتهام على هذا المستوى لذلك الامام الجليل وحقد بهـــذا الحجم على عالم الأمة الذى تلقت كتـــابه بالقبول والارتياح .

وشعر محمد رشاد خليفة أن الناس سيسألون أو يتساءلون عن الدليل الذى يؤكد أو يثبت أن الامام البخارى قد أجرم حين قام بما قام به من خدمة السنة واثبـــات مجموعة من الأحاديث التزم فيهـــا أن تكون فى أعلى درجات الصحة والا يدخل عليها حديثا ينقص فى مرتبته عن درجة الصحيح .

واذا كان رشاد خليفة قد اتهمه بما اتهمه به فانه يتعين عليه أن يأتى بدليل يثبت به صدق ما يقول .

ولقد شعر رشاد خليفة نفسه بأن ما ذكره يحتاج الى دليل .

---

(١) الأنعام : ١١٢ .
(٢) الفرقان : ٣١ .

ولكن رشاد خليفة حين تملكه هذا الشعور قد وضع يديه فى خاصرتيه وفكر قليلا ثم خرج من تفكيره وهو فى غاية النشوة وهو يقول وجدتها وحقا فقد وجدها ، انها فرية جديدة واكذوبة ضخمة هى التى تخرجه من هذا المخرج ولا شيء غيرها .

لقد فكر رشاد خليفة أن يقوم بتلفيق سند للامام البخارى ليس فيه شريطة ان يكون ملئه السخرية ، وشريطة أن ينتهى برجل كذاب وشريطة أن يكون الذى انتهى السند الملفق به من المغمورين الذين لا يعرفهم الا الخاصة ولا يقف على سيرهم الا جهابذة العلماء .

انها حيلة بارعة وفكرة قد ارتضاها رشاد خليفة فهل يستطيع أن يفعل ؟ وأذا فعل فهل يجد من العقلاء من يصدقه .

على أية حال ، فان رشاد خليفة قد صمم سندا افتراه على المواصفات التى خطتها له عقله المهندس وقام بتنفيذها بالفعل واستودعها كتابه الجديد .

والأفضل عندى أن ننقل هذا التصميم لهذا السند المفترى من عبارة رشاد خليفة نفسه بعد النقل الى العربية .

وبيان ذلك فى عبارة امام مسجد توسان : أن البخارى المولود بعد وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — بأكثر من مائتى سنة — كذا(١) — تعود عندما أراد تأليف كتابه : (أن يزور رجالا أو نساء عرفوا برواية الحديث . فيوثقهم ويسأل الرجل أو المراة : هل تعرف حديثا عن النبى — صلى الله عليه وسلم — فيجيبه : نعم ، سمعت أبى قدس الله روحه يقول : سمعت اخى الأكبر قدس الله روحه يقول انه كان جالسا عند جدته قدس الله روحها فأخبرته أنها كانت

---

(١) هذه العبارة خالية من الدقة العلمية . كسائر الكتاب حيث ولد البخارى أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ببخارى سنة أربع وتسعين ومائة وتوفى بخرتنك قرب سمرقند سنة ست وخمسين ومائتين .

تتناول طعام العشاء ذات يوم مع عمها قدس الله روحه ، حينما ذكر أن جده لأمه رحمه الله ، اخبر ان جده سمع من عمه الاكبر انه لقى الصحابى الجليل عمرو بن خالد الأموى ؟ ! وانه اخبره أن النبى — صلى الله عليه وسـلم — قال : .....).

يسوق رشاد خليفة سنده المفترى على هذا النحو ، ثم يوهمك بذن هذا السند هو بالفعل ما فى صحيح الامام البخارى حتى لا يكاد البخارى يخرج فى مروياته عن هذا السند ونظائره .

يقول رشاد خليفة معلقا : **[هكذا الحديث ببساطة فيما يرويه البخارى عن مصادره فى سلسلة من راو عن رواية عن ... الى النبى عليه الصلاة والسلام عبر ثمانية أجيال من الموتى]**(١) .

قصة مثيرة ، تلك القصة التى رويناها فى تلك السطور الماضية ، وهى فى اثارتها لا تخرج عن أن تكون دربا من القصص الرومانسية التى يقصها القصاص والأدباء ، وهم يدركون أن ما يقصونه على الناس انما هو درب خيال لا يستند الى الواقع فى قليل أو كثير .

وصاحبنا يذكر هذه القصة ، وهى من نوع القصص الرومانسى الا أن الطريف فيما يذكره أنه يؤكد لنا أن كلامه قد أستقاه من الواقع ، ومن الواقع الذى يمكن الاطلاع عليه .

الم أقل لك اننا أمام قصة من القصص فيها من الاثارة والسلوى ما يريح الذهن من مشقة العناء التى ألمت به عبر سيره فى الصفحات الماضية .

---

(١) القرآن والحديث والاسلام — رشاد خليفة — ص ٨٣ .

موقف لابد منه :

ومع أن هذه القصة من قبيل المفتريات التى لا صلة لها بالواقع ، ومن قبيل الخيال الذى لا يحكمه عقل ولا يحكم عليه منطق ، الا أن الكاتب حين اراد أن يوهمنا بأن أحداثها واقعية ، وأنها لا علاقة لها بالخيال او الوهم ، فانه بموقفه هذا قد حتم علينا أن نقف من هذه القصة موقفا يسيرا للملاحظة أو المراجعة .

والمتأمل فى هذه القصة يلاحظ عليها أول ما يلاحظ ، ان السند الذى وضعه رشاد خليفة ونسبه للبخارى ، لم يصرح فيه باسم من الأسماء ولا علما من الأعلام ، ولم يذكر فيه الا اسما واحدا وعلما بعينه ، جعله على رأس السند وفى اعلاه ، وادعى أنه صحابى سمع الحديث من رسول الله ورواه .

وهذا العلم الذى أشار اليه وذكره هو الصحابى الجليل (عمرو بن خالد الأموى ؟ !) .

فما هو عمرو بن خالد الأموى ، وهل هو صحابى جليل أم مفترى كذاب ، عثر عليه مفترى كذاب مثله ؟

لقد سألت نفسى هذا السؤال ، وعرضته على خاطرى ، وتعجبت من اقتصار رشاد خليفة على ذكر اسمه ، وعدم الاشارة الى غيره من الأسماء .

ولم يكن أمامى الا أن اعود الى كتب الرجال وكتب الجرح والتعديل لأقلب صفحاتها بحثا عن هذا الصحابى الجليل ، ورايت حصيلة ما قرات ، وحصاد ما فهمت مجموعا كله فى كتاب واحد ، هو تهذيب التهذيب لابن حجر ، وسأحاول أن أنقل عبارته بشىء من التصرف ، ضمن حديث له مطـول عن عمرو بن خالد الأموى .

قال ابن حجر : **(عمرو بن خالد ابو خالد القرشى مولى بنى هاشم اصله من الكوفة) .**

وبعد أن ذكر ابن حجر من أخذ عنهم ومن أخذوا عنه عرض لآراء المحدثين فيه (ومنهم البخارى) قال : (قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : متروك الحديث ليس بشىء ، وقال الأثرم عن أحمد : كذاب يروى عن زيد بن على عن آبائه أحاديث موضوعة يكذب ، وقال عباس الدورى عن يحيى بن معين : كذاب غير ثقة ولا مأمون ، وقال هاشم بن مرثد الطبرانى عن ابن معين : كذاب ليس بشىء ، وقال اسحاق بن راهويه وأبو زرعة : كان يضع الحديث ، وقال أبو حاتم : متروك الحديث ذاهب الحديث لا يشتغل به ، وقال الآجرى سألت أبا داود عن عمرو بن خالد الذى يروى عنه أبو حفص الأبار فقال : هذا كذاب وقال أيضا عن أبى داود : ليس بشىء ، قال وكيع : كان جارنا فظهرنا منه على كذب ، فانتقل قلت : الى واسط قال : نعم ، وقال غيره عن وكيع : كان فى جوارنا يضع الحديث فلما فطن له تحول الى واسط ، وقال النسائى : ليس بثقة ولا يكتب حديثه .

قلت : وقال فى موضع آخر : متروك الحديث وقال الجوزجانى : غير ثقة ، ورماه ابن البرقى بالكذب وقال الدارقطنى : متروك ، وقال ابن صاعد : لا يكتب حديثه ، وقال الحاكم : يروى عن زيد بن على الموضوعات وذكره البخارى فى الأوسط فى فصل من مات من عشر ومائة الى عشرين ومائة وقال : منكر الحديث ! وقال أبو نعيم الأصبهانى : لا شىء ، وقال الأثرم : لم أسمع أبا عبد الله يصرح فى أحد ما صرح به فى عمرو بن خالد من التكذيب ، وقال عبد الله بن أحمد فى مسند ابن عباس : ضرب أبى على حديث الحسن بن ذكوان فظننت انه ترك حديثه من أجل انه روى عن عمرو بن خالد الذى يروى عن زيد بن على وعمرو بن خالد لا يساوى شيئا ، وذكره الخطيب فى الموضح عن قيس عن عمير وكذا ذكر ابن ابى حاتم فى العلل عن أبيه)](١) .

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى جـ ٨ . الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن الهند — ص ٢٦، ٢٧ .

هكذا يقول العلماء بما فيهم الامام البخارى نفســـه فى عمرو بن خالد الأموى ، وهكذا يحدد العلماء بما فيهم الامام البخارى موقفهم من عمرو بن خالد الأموى ، وهى تلك الشخصية التى اختارها هذا المفكر الكبير ، والمصلح الاسلامى العظيم من بين آلاف الرجال ليجعلها على رأس السند الفضيحة ، والذى ادعى أنه موجود بكثرة ان لم يكن هو السند الوحيد الذى اعتمد عليه الامام البخارى فى مروياته .

شىء عجيب .

واعجب منه اننا نتأمل هذا السند المكذوب ونتفحصه ، فتأخذنا الدهشة من جميع اقطارنا ، ثم نعود الى أنفسنا ونتساءل عن هذا الموقف الغريب والمثير من رشاد خليفة .

نعم : انه موقف غريب ومثير حقا .

ووجه الغرابة فيه أنه من المعقول أن نتصور الانسان وهو يكذب ، وانه من المعقول أن نتصور الانسان وهو يحتاط غاية الاحتياط كى يستر كذبه ، ويوارى سوءته .

انه من المعقول الممكن أن نتصور الانسان وهو يكذب ويبتكر الكذب ، ويبهت ويغالى فى البهتان ، ولكنه فى كذبه وبهتانه يحاول أن يقطع كل طريق يؤدى الى كشف الكذب ، ويوصل الى حقيقة البهتان وافتضاح أمره .

كل هذا ممكن وجائز ومعقول ، غير ان الشىء الذى لا نعقله ، ولا نظن أن غيرنا يعقله هو أن يكذب الانسان ويبهت ، ثم يأخذ بيد النـــاس جميعا ويطلب منهم ان يفتحوا أبواب عيونهم على مصاريعها ليروا كذبه وبهتانه ، ويضعوا فى أيديهم جميع الوسائل التى تكشف لهم عن هذا الكذب ، وذلك البهتـــان .

ان مثل هذا الموقف غير المفهوم او المعقول ، يضع الانسان فى حالة من الدهشة ، لا ينقذه منها الا صوت قوى يقول له : لماذا تندهش ؟ وقد صدر الفعل أو القول عن انسان قد غيب عقله بارادته ، وتنازل عن مقومات ذاته بمشيئته ؟ !

ان رشاد خليفة حين ادعى أن اسانيد البخارى على هذا النحو الذى رأينا ، يعلم غاية العلم أن صحيح البخارى مطبوع ، وأنه لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين تقريبا ، وأنه من السهل على المسلمين أو بعضهم على الأقل أن يراجعوا هذا السند فى صحيح البخارى ، ثم لا يلبثون أن يكتشفوا زيف هذا السـند الفضيحة ، وافتراءه على عالم امام من علمـاء المسلمين وأئمتهم .

وعلى اية حال فاننى أستطيع أن أجزم ، وقد يخالفنى من يخالفنى بأن هذا الأسلوب وتلك الطريقة ، ليست من صنع محمد رشاد خليفة .

أما **أولا** : فان فيها بعض الأشياء التى تدل على حذق الصنعة ، وذكاء التخطيط ، حتى ولو كان المقصود منه قطع الصلة بين المسلمين ومصـدر تشريعهم الثانى .

ومن الأمثلة على ذلك أن يعمد المخطط فى السند الفضيحة الى رجـل كذاب ومغمور ، ويضعه على رأس السند المكذوب ، ويدعى أنه صـحابى جليل ، على نحو ما أشرنا من قبل .

وأما **ثانيا** : فان عقلية رشاد خليفة الشأن فيها أنها دربت على المنهج العلمى التجريبى ، والمنهج العلمى التجريبى له بالواقع المحس أكبر الصلات ، وليس من السهل والحالة هذه أن يتنازل رشاد خليفة عن هذا المنهج ، ويدخل فى عقله أوهام وخيالات بدلا منه ، الا أن يكون هناك مقابل مغرى ، وخوف مميت ، أو على الجملة ليس من السهل أن يتنازل رشاد خليفة عن موقفه ، الا اذا كان هناك أسباب قوية ترتكز حول الترغيب والترهيب .

ولو اننا تأملنا ما ذكرناه سلفا لاتضح لنا بما لا يدع مجالا لريبة أو شك : أن رشاد خليفة الدكتور المهندس ، أو المهندس الدكتور قد أخذ مرة بالترغيب ، وكانت البداية اثنى عشر الف دولار فى الشهر الواحد ، بدلا من خمسين جنيها مصريا فى كلية الزراعة جامعة عين شمس ، وأخذ مرة أخرى بالترهيب وذلك بعد أن ارتمى فى أحضان المخطط السرى العالمى ، الذى يكيد للاسلام واهله ، واقسم انه لم يعد له انتماء لوطن ، ولا انتماء لدين ، ولا انتماء لأهل ولا لعشيرة ، وانه حين يخالف هذا القسم يكون السيف هو المصير الوحيد الذى ينتظره ، اقسم هذا القسم ، كما يؤديه كل من ترقى فى الطريق الذى ترقى فيه ، وهو امام السدة سدة سليمان معصوب العينين ، وعلى رقبته السيف ، وأمامه الميزان ، والبيكار ، والبقية معروفة .

على أساس من الترغيب والترهيب تنازل محمد رشاد خليفة عن منهجه العلمى ، ولجأ الى الخيال فى كل فعل يصدر عنه أو مقال .

من الخطأ الى الخطيئة :

ورشاد خليفة حين يتولى أمور المسلمين ، ويعتبر نفسه المسئول عن شئونهم الفكرية والدينيــة ، يترقى بهم من حال الى حال ، وينتقل بهم من التلميح الى التصريح بذكاء أعترف له به ، ذلك أنه ما من تصريح ألا وهــو يتضمن تلميحا الى شيء لم يأت دور التصريح به بعد .

فهو عندما كان يتحدث عن القرآن حديث الخطأ أو الصواب ، كان يلمح الى أن السنة عمل لا اهمية له فى المجتمع الاسلامى ، والتمسك به خطأ يجب على الأمة الاسلامية أن تقيل نفسها منه ، وأن تصحح مسارها بالقاء السنة عن كواهلها .

ولقد صرح بعد سنوات بما ألمح اليه ، وصدر كتابه عن القرآن والحديث والاسلام ، متضمنا هذا التصريح الذى يأخذ من التلميح السابق نقطة ارتكاز له .

واذا كانت محاربة السنة قد أصبحت هدفا مصرحا به ، فان رشاد خليفة قد ضمن هذا التصريح تلميحا الى شيء يطويه ، لم يحن بعد دور التصريح بـــه .

والشيء الذى يلمح اليه ، وينوى التصريح به فيما بعد ، هـــو موقف المسلمين من النبى نفسه صاحب الرسالة ، الخاتمة ، وعلاقتهم به .

وفى اشارات رشاد خليفة يريد بالايحاء الواضح أن يقول لنا : انكم ان كنتم قد أخطأتم فى تحملكم للسنة ، فقد أجرمتم فى علاقتكم بالنبى ، والجرم الذى ارتكبتموه ليس جرما هينا ، وانما هو جرم فى أعلى درجات الجرائم ، بل هو الجرم الذى تربع على سنام الجرائم كلها وأصبح على القمة منها .

ويبين رشاد خليفة ما يقصد اليه هنا فى نقطتين أساسيتين :

الأولى منهما : يحاول رشاد خليفة من خلال كتابه القرآن والحـــديث والاسلام ان يحدد مهمة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومهمة النبى كما يراها منحصرة فى ابلاغ القرآن للأمة ، نعم : ابلاغ القرآن ، ولا شيء غير ذلك ، فهو ليس من مهماته ان يطبق القرآن على نفسه أفضل ما يكون التطبيق ، لكى يحقق القدوة فى ذاته أمامنا ، وهو ليس من مهماته أن يبين القرآن ، ولا يوضح مبهمه ، ولا يفصل مجمله ، ولا يضيف عليه شيئا من الأشياء .

ان مهمته الوحيدة هى أن يبلغ القرآن ، ولو فعل شيئا غير ذلك لكان آثما مأخوذا عليه بالعقوبة .

وانت تستطيع ان تقرأ الكتاب المشار اليه لرشاد خليفة فتجده يقول : مؤكدا بأن الله عز وجل قد جعل مهمة النبى تقتصر **[على تبليغ القرآن ، ولا شيء غير القرآن ، وأنه منهى عن أن يتلفظ بكلمة فى الدين غير القرآن ، ومحظور عليه أن يبين من عنده كلمة من القرآن أو يفسرها]**(١) .

(١) القرآن والحديث والاسلام — رشاد خليفة .

ويستعمل رشاد خليفة أو من هم وراءه كل الحيل الذكية ، والايحاء النفسى المعهود فى النيل من شخصية النبى صلى الله عليه وسلم والقدح فيها ، فهو يريد بطريقة ، الايحاء أن يقول : ان الله قد حدد للنبى مهمته ، ولكن النبى يمكن أن يتجاوز هذه المهمة التكليفية ، ويتخطاها عصيانا لأمر الله عز وجل ، ورغبة فى أن يدخل بذاته على التشريع لهذه الأمة .

ولما علم الله منه ذلك ، جعل الأمة حارسة عليه ، وكلفها أن لا تأخذ من النبى شيئا غير القرآن ، وأن ترد عليه كلما جاء به من غير أن يكون موجودا فى القرآن الكريم .

وتلك عبارته التى تصور نيله من شخصية النبى بالايحاء المعهود فيما سبق الاسلام من عصور وعهود **[أن المؤمنين مأمورون من الله بأن لا يأخذوا فى دينهم عن الرسول شيئا غير القرآن ، ولا ان يطيعوه فى كلمة غير ما يبلغ من القرآن](١)** .

ويظهر من هذا النص أن رشاد خليفة يريد أن يتخذ من المسلمين حراسا على النبى فى أداء وظيفته الأساسية ، وهى الوظيفة التى حاول أن يشوهها ، ويغبر فى وجهها ، وليس لديه مبرر يبرر قوله الا ما يعتقده وما يفهمه من شخصية النبى صلى الله عليه وسلم وأن النبى يتأتى منه العصيان .

والى هنا نكون قد أوضحنا من كلام رشاد خليفة نفسه النقطة الأولى التى تجلى العنصر الأول من العنصرين اللذين بمجموعهما يتحدد موقف رشاد خليفة من النبى الخاتم .

وثانية النقطتين تدور حول ما يراه محمد رشاد خليفة من خطيئة المسلمين الكبرى ، تلك الخطيئة المتجسدة فى احترام المسلمين للنبى .

---

(١) المرجع السابق .

ان المسلمين بحكم القرآن الكريم وهو الواجب التكليفى ، وبحكم الطبع والمرءوة ، وهو الواجب الأخلاقى وبحكم مجازاة الاحسان بالاحسان وهــو الواجب المنطقى ، بهذه الأحكام كلها يتوجه المسلمون الى النبى صلى الله عليه وسلم بجل الاحترام وغاية التكريم وقمة التوقير والتبجيل ، ولم تتوقف العلاقة عند هذا الحد بين المسلمين ونبيهم ولكن هذه العلاقة ترقى وتسمو حتى تصل فى النهاية الى أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم أحب عند المرء من ماله ووالده وولده والناس أجمعين ، بل يكون النبى أحب اليه من نفسه التى بين جنبيــه .

ان هذه العلاقة على هذا المستوى علاقة واجبة بجميع المقاييس لا يشذ فى فهم حكمها الا هالك أو مغرض .

غير أن رشاد خليفة لا يقر المسلمين على هذه العلاقة ولا يشــاء أن يقرهم ، ولا يرضى عن هذه العلاقة ولا يريد أن يرضى عنها ، ذلك أن هــذه العلاقة حين تكون بين الأمة ونبيها تجعل النبى بالنسبة للجمــاعة كالروح بالنسبة للجسد يؤلف بين قلوبهم ويجمع اليهم من شذ أو ندعنهم ، تلك مسألة قاسية بل هى المسألة الأم التى أزعجت القابضين على الخيوط التى تحرك رشاد خليفة على مسرح الأحداث فى هذا الزمان(١) .

يتجاوز رشاد خليفة اعتمالات النفس وينزع الى القول المكتوب عله يتمكن من صدع هذا البناء الذى اتخذ من علاقته بالنبى أساسا متينا له وروحا حقيقية تسرى فى أوصاله .

لقد توجه الى هذه الأمة المؤمنة بنبيها الواثقة بما أوحى اليها من كتاب وسنة ليسخر من علاقتها بالنبى ، ويبين أن هذه العلاقة تمثل ضربا من الشرك

---

(١) سبق أن تناولنا علاقة المسلمين بنبيهم بشىء من التفصــيل انظر كتابنا : « نظرية النبوة فى الاسلام » .

ونوعا من الكفر بالله ، يجب على الامة أن تتخلص منه ، وما النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — سوى انسان عادى والتقدير والتعظيم لا يكون الا لله وحده .

وانى لأشعر بالقارىء وكأنه لا يكاد يصدق ما أقول من فرط الدهشة التى ألمت به ، ومن قوة الصاعقة التى أحدثتها تلك العبارات الشاذة أو الحارقة ، ولذا أقترح أن أجتزء شيئا من عباراته كى توقفنا على حقيقة رأى الرجل وعلى حقيقة ما يقول فقد كتب مزهوا وهو يستنتج حين يقول معلنا اكتشافه (لوثنية المسلمين كافة ، بتعظيمهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أمروا بتمجيد الله وحده)(١) .

ليس عندى بعد ذلك ما أؤكد به مقولتى من أن رشاد خليفة يتحدث عن المرحلة من المراحل بأسلوب سافر ظاهر ويطوى فى هذا التصريح ما يشير اليه تمهيدا للمرحلة القادمة ، ولا أظن أن القارىء يحتاج منى الى تأكيد هذه المقولة بعد أن استشعرها من المراحل السابقة بأسلوبه فى التعبير عن كل مرحلة من تلك المراحل .

ومن كان يشك أو يرتاب بعد هذا البيان فليس بينى وبينه الا أن أطالبه بتأمل هذه المرحلة مع المرحلة التى تليها والتى ترسم نهاية المطاف أو تتحدث عن قرب النهاية .

هذا الشبل من ذاك الأسد :

ولقد اغتر برشاد خليفة رجال أو شباب فى مقتبل العمر نفترض فيهم على آية حال حسن النية وكثيراً ما يغتر الشباب بالقمم الخادعة تحت الأضواء شديدة اللمعان الى حد اغشاء البصر أو الأنوار الخافتة الى الحد الذى لا تتمكن معه الأبصار من تحديد لحقائق الأمور أو استجلاء لمهاياها .

---

(١) القرآن والحديث والاسلام .

كثيرا ما ينخدع الشباب بتلك القمم الزائفة التى يحول بينهم وبينهـــا ظروف لا تجعلهم يتمكنون من تمييزها .

ونحن نعذر هؤلاء الشباب حتى نبصرهم ونقف الى جوارهم حتى نوعيهم بمكامن الخطر ، ونأخذ بأيديهم حتى نقيل عثرتهم ونضع أقدامهم على أوائل الطريق .

وهذا واجبنا وواجبهم ، واجبنا أن نبصرهم ، وواجبهم أن ينصتوا الى الحق أينما كان .

غير أننا مع صاحبنا نجد أمرا زائدا عن الحد خارجا عن المألوف ، نجد انسانا فى مؤسسة علمية يتابع رشاد خليفة على ما يقول بل انه يدعو الى ما يدعو اليه .

فالسنة عنده عمل شيطانى ، ورواة السنة فى مذهبه مجرمون خونة ، والأنبياء أناس يخطئون كما يخطىء عامة الناس بل ان الله قد يتوب على عامة الناس ولا يتوب على الأنبياء .

على هذا النحو تابع أستاذ مساعد فى جامعة متخصصة رشاد خليفة فى قوله وفعله وشكر الله للجامعة ، حيث اعتبرته عضوا مريضا فبترته ورأى رشاد فرصته السانحة فى هذا البتر فاجتذبه اليه ليحقق له امانيه التى لوح له بها من قبل ، وكانت الأمانى فيلا فى توسان أرض الحضارة الحديثة وعربة تسابق الريح بين أرباب المال وصناع القرار هناك فيما وراء المحيطات .

ولقد شاء الله عز وجل أن يحظى كاتب هذه الصفحات بنبأ مفاده أن الخادم الأمين قد أعيد الى بلاده ولست أدرى هل العودة طعم لأبنائنا الشباب أم العودة توبة ؟ ونسأل الله له الهداية ليعود بارا بوطنه مخلصا لدينه ، ويخيب أمل رشاد خليفة فيه ويخلع عنه نيشانا قد خلعه عليه من قبل — هذا الشبل من ذاك الأسد .

الفكرة أصولها وجذورها :

يتأمل المرء ما قاله رشاد خليفة وتابعوه فى علاقة المسلمون بنبيهم صلى الله عليه وسلم ، وعلاقتهم بالأنبياء السابقين صلى الله عليهم جميعا وسلم .

يتأمل المرء مقالة رشاد خليفة وتابعيه فى علاقة المسلمين بالأنبياء ، وما ينبغى أن تكون عليه علاقة المسلمين بالأنبياء ، فيجد أمرا مخالفا لما يرويه تاريخ الأمم القديم ، وما عليه علاقة الأمم بأنبيائهم فى الكثير الأغلب .

وللانصاف الذى لابد منه نجد أنفسنا مضطرين الى القول : بأن مقالة رشاد خليفة لها فى التاريخ البعيد أصل وجذور ، ولها بمسلك بعض الأمم وجه شبه لا يخفى .

ولكى تكون الصورة اكثر جلاء ، والموقف أكثر وضوحا ، أجد من اللازم اللازب أن نعرض الصورة التاريخية بتمامها فى شىء من العجلة يلائم الموقف ولا يخل بالفكرة .

اننا حين نتأمل علاقة الأمم بأنبيائها على وجه يحصر علاقة الأمم بأنبيائها، نجد أنها لا تخرج عن ثلاث اتجاهات ، طرفان وواسطة ، أما الطرفان فلا يخلو كل واحد منهما من نكر ، ولا يخلو كل واحد منهما من مجافاة للعقل والوجدان .

وأما الواسطة بينهما فهى جوهرة العقد ، ولؤلؤة التاج فى عالم الفضائل، ومعترك تحديد العلاقات بين الأمم والأنبياء .

أما أحد هذه الثلاثة : فهـو المتمركز فى النظرة المسـيحية فى أزمانها المعاصرة ، والسابقة عليها بقليل .

والمسيحيون الآن وقبل الآن بقليل ، ينظرون فى الكثير الأغلب الى سيدنا عيسى على أنه ابن الله ، واضفوا عليه من صفات الألوهية قدرا غير يسير ،

وفرقوا بينه وبين البشر تفريقا فى النوع لا فى الرتبة فقط ، ومنحوه حقوقا ونسبوا اليه أفعالا لا يجوز نسبتها الا لعلام الغيوب .

وفى هذا الموقف خطأ وخطيئة .

أما خطأ هذا الموقف ، فقد جاء من ترجمة نصوص الكتاب المقدس من لغته الأصلية الى لغة أخرى ، وقد حاول المترجمون أن ينقلوا — لفظة — عبد الله الموصوف بها عيسى عليه السلام الى لغة غربية ، فعزت عليهم اللغة ، ولم يجدوا لها مقابلا الا كلمة — ابن — فوضعوها تجاوزا فى الترجمة بدل كلمة — عبد — ، وهذا نوع من الخطأ فى الترجمة ما كان ينبغى أن يمر .

أما الخطيئة فقد بدأت بطرح هذا السؤال ، وتضخمت بالاجابة عليه ، لقد سألوا أو تساءلوا فيما بينهم عن حقيقة المسيح عيسى بن مريم وماهيته ، هل هى طبيعة الهية ، أم أنها طبيعة بشرية ، أم أنها امشاج وخليط من الطبيعتين جميعا ؟

وفرق بينهم هذا السؤال ، وقسمهم الى طرائق وشيع فى الفكر والاتجاه ، وتعددت كنائسهم الرسمية طبقا لتعدد اتجاهاتهم وأقوالهم فى طبيعة المسيح ، وانتهت الأغلبية منهم الى أن عيسى عليه السلام لم يخل من طبيعة الهية ، وتشدد البعض فقالوا : ان طبيعته الهية محضة ، وخفف البعض القول فقالوا : انه مزيج من الطبيعتين معا ، وانهزم القول الذاهب الى ان طبيعة عيسى عليه السلام بشرية محضة(١) .

---

(١) راجع ديلاس أو ليرى — الفكر العربى ومكانه فى التاريخ — ترجمة د/تمام حسان — مراجعة د/محمد مصطفى حلمى — عالم الكتب مطبعة مخيمر — القاهرة ص ١٩ وما بعدها .

وأما **الثانى** من هذه الاتجاهات فلا يصوره الا فكر الأمة اليهودية حين كان فكرها متعلقا بتحديد علاقاتها بالأنبياء عليهم السلام .

وعلاقات اليهود بالأنبياء هى فى الحقيقة على الطرف المضاد لعلاقة النصارى بنبيهم ، فبينما كانت علاقة النصارى بعيسى عليه السلام تحاول أن تمزج فى حقيقته بين الطبيعتين الالهية والبشرية ، أو تجعل حقيقته الهية بحتة ، نرى اليهود يهبطون بتصورهم للنبوة والأنبياء هبوطا مخجلا لكل من يتصور الفكرة بعدهم ولكل من تنتسب اليه الفكرة فى نشأتها .

وخلاصة الفكرة اليهودية حول النبوة والأنبياء أن الأنبياء بشر يخطئون ويصيبون وانهم لا يخالفون البشر من هذه الجهة ، ولا يمتازون عنهم بميزة من الميزات فى ميزان التفضيل بالرتبة أو الارادات .

واليهود حين تصوروا انبيائهم على هذا النحو نسبوا اليهم من الجرائم والمخالفات ما يجرح مشاعر الرجل العادى .

فلا يضر فى مشاعرهم أن يحتال نبى(١) على جاره فيرسله الى الحرب مرارا املا فى أن يقتل فى موقعة من المواقع كى يظفر بزوجته الوحيدة التى أعجب بها ويضمها الى زوجاته التسع والتسعين .

ولايؤذى مشاعرهم أن يقولوا عن نبى(٢) أنه شرب الخمر وضاجع ابنتيه .... الى غير ذلك من الأقوال التى تنسب للأنبياء الخطيئة وليس من الضرورى عندهم أن يحظى المخطئون من الأنبياء بالتوبة ولا بقبولها .

ومن كانت له خبرة بتاريخ اليهود لا يعجب من مواقفهم التى اتخذوها من الأنبياء ولا من احكامهم التى حكموا بها على قادة البشرية ، وهداة الخلائق الى الخير والرشاد .

---

(١) انظر : الكتاب المقدس « العهد القديم سفر صموئيل الثانى ، اصحاح ١١ ص ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، طبعة دار الكتاب المقدس سنة ١٩٨٣م .

(٢) ينظر : المرجع السابق : سفر التكوين ، اصحاح « ١٩ » ص ٢٩ .

واليهود فى طباعهم ماديون يسهل عليهم اقتراف الآثام ، والاستمتاع بالحياة من غير مراعاة لمصدر هذا الاستمتاع ، ومن غير تحرى للحرام والحلال فيه .

ويبدو لى ان اليهود حين تصوروا انبياءهم على هذا النحو من التصور لم يفعلوا ذلك خبط عشواء ، ولم يقعوا فى هذا التصور رمية بغير رامى وانما قد قصد اليهود الى هذا التصور قصدا ، وعمدوا اليه بارادتهم وارتكسوا فى حمأته باختيارهم وكامل حريتهم .

وهم قد تصوروا انبياء على هذا النحو ليبرروا مواقفهم الشاذة وخلائقهم الهابطة ، وفعالهم التى تشذ عن الفضيلة بكل معيار تقاس اليه الفضائل والأخلاق ، انهم بتصورهم للأنبياء على هذا النحو يريدون أن يقولوا للعالم بطريقة الايحاء : اولئك الأنبياء مشاعل النور وهداة الخلائق يقعون فيما يقعون فيه من سوء الأفعال ورذيل الأقوال ، وهم لا يلامون على ذلك وليس لأحد أن يتوجه اليهم بلوم او تعنيف ، واذا كان الأنبياء على هذا المستوى ويقع منهم ما يقع فانه ينبغى الا يلام الواحد منا مهما كانت مواقفه مجافية للفضيلة او معاندة للأخلاق .

انى لاتصور موقف اليهود من الأنبياء على هذا النحو ، واتصور فلسفة اليهود لمواقفهم من انبيائهم كما ذكرتها ، وانا فى تصورى لكلتا الحالتين مستند الى تاريخ اليهود ومواقفهم المروية عنهم ، ومستند الى وجدان اليهود وما يعرفه الناس جميعا عن هذا الوجدان .

وثالث هذه الاتجاهات وهو الوسط بين الطرفين هو ما يقول به الاسلام وكل دين صحيح النسبة الى السماء قبل أن يطرأ عليه التحريف والتبديل ، وهو ما يقول به العقل وكل فكر يخضع الى المنطق ويبتعد عن الهوى ، وهو ما تقول به الفطر السليمة التى لم يكدرها زيف متصوف ولا غرض مضلل .

ان هذا الاتجاه الثالث ينظر الى الأنبياء على أنهم واسطة بين الله وعباده ، يبلغون للعباد ما أمرهم بتبليغه ويرشدونه الى ما أمرهم أن يرشدوهم اليه ، ولا تقتصر مهمة الأنبياء على البلاغ ، وانما الأنبياء مكلفون أن يطبقوا على أنفسهم هذا الشرع الذى جاءوا به تطبيقا يكون فى أعلى درجات الكمال وهم حين يفعلون ذلك يكونون بفعلهم هذا قد حولوا الشرع الذى جاءوا به من النظريات المجردة الى الواقع التاريخى المحس والملموس .

والأنبياء حين يفعلون ذلك كله يكونون قد ارتفعوا لا الى مكان العبادة فحسب وانما هم يرتفعون بفعلهم هذا الى مكانة القدوة ، وحين يتوفر لهم صفتى القدوة والقيادة يصلحون بهما جميعا الى أن يعبروا بأمتهم من الضلالة الى الهدى فى السلوك ومن الشك الى اليقين فى المعارف والعقائد .

والقدوة جزئية لا تنفصل عن منهج القيادة ، ذلك أن الانسان يمكن أن نقوده بالاقناع ولكن الاقناع وحده لا يكفى ، ويمكن أن نقوده بالهاب المشاعر ولكن الهاب المشاعر وحده لا يكفى ، ويمكن أن نقوده بلفت النظر الى القمم كى يحاكيها ولكن المحاكاة وحدها لا تكفى . والقيادة الصحيحة لا تتم الا باجتماع هذه الأصول الثلاثة ، اذ المرء فيه العقل ، والعقل يجب أن يقنع وفيه الوجدان والوجدان يجب أن يتجاوب مع الموقف أو الحادثة ، وفيه غريزة حب المحاكاة ، وغريزة حب المحاكاة يناسبها أن ترى القمة الشامخة فتحاكيها وتشعر وهى تحاكيها بآيات الفخر والاعزاز .

كون الأنبياء اذن على القمة ، وكون الأنبياء فى محل يؤهلهم أن يحاكيهم غيرهم ليس من قبيل النوافل فى منهج القيادة ، وانما وجودهم على هذا المستوى جزء لا يتجزأ من وظيفتهم التى جاءوا من أجلها ومهمتهم التى بعثوا لتحقيقها .

من هذا المنطلق كانت عقيدة المسلمين فى نبيهم وعلى هذا الأساس رسم الشرع الحكيم للمسلمين كيف تكون علاقتهم برسولهم .

وانا اتأمل ما رسمه رشاد خليفة وتابعوه لأصنفه فكريا واضعه فى المكان المناسب له من بين هذه الاتجاهات ، فلا أجد له مكانا مناسبا الا ما اتجه اليه الفكر اليهودى من اتجاهات وأقوال .

ولم يحن الوقت بعد لكى أسجل أن رشاد خليفة يريد أن ينتهى بتابعيه المخدوعين الى ديانة يظن انه قد خبأها لوقتها واحتفظ بها الى أوانها ، لم يحن الوقت بعد لمثل هذا التصريح ، وهو لن يصبر طويلا على أن يحتفظ بالدين الذى يدعو له سرا مكتوما ، فان له فى مجاله نظائر وأشباه لم يقوى واحد منهم على الكتمان واظهروا جميعا ما من شأنه ان يظهروه قبل وقته المحدد له ، وان صاحبنا على الدرب لسائر وسينفذ منه الصبر عما قريب ويصرح بما استنتجناه ، الا أن يتغمده الله بايمان وما ذلك على الله بعزيز .

كتاب يرصف فى الأغلال :

اعتمدنا فى تصوير راى رشاد خليفة فى السنة النبوية وعلاقة المسلمين بنبيهم على كتاب كتبه أو كتب له تحت عنوان « القرآن والحديث والاسلام » .

وقد صدر هذا الكتاب فى اللغة الانجليزية فى عام ١٩٨٢ من الميلاد . والكتاب لم يقع فى يدى ولا فى يد الكثيرين من المهتمين برشاد خليفة وقضيته ، ولكنه قد وقع فى يد بعض الباحثين ومنهم ا.د. عائشة عبد الرحمن — بنت الشاطىء — وقد هيىء الله لها قراءة الكتاب فى لغته التى صدر بها .

وفحصت الكاتبة الكتاب فى اللغة العربية تلخيصا وافيا وترجمت منه فقرات مطولة ، تبين عن الكتاب من حيث أسلوبه وموضوعه ومنهج بحثه ، بل ان الفقرات التى ترجمتها من الكتاب قد صورت لنا ما هو أكثر من ذلك ، انها قد صورت لنا أعتمالات النفس ، واستشراف رشاد خليفة للمستقبل المظلم الذى ينتظره والذى أعد نفسه بعناية له .

وبدأت الكاتبة فى تلخيص الكتاب بترجمة كاملة لمقدمته اذ المقدمة خير ما يعبر عن الكاتب والكتاب .

ويذكر رشاد خليفة فى مقدمته ما يريد قوله ، ويناشد فى المقدمة من يريد أن يناشدهم ، فيقول (بعد أكثر من اثنتى عشرة سنة من اجراء بحوثى حول القرآن باستخدام الحاسب الآلى ، الكمبيوتر ، تم اكتشاف دليل مادى يثبت أن القرآن هو فى الواقع كلمة الله المعصومة ، وهذا الاكتشاف — يعنى تسعة عشر ودلالاته الاعجازية — اصبح رائجا شائعا ومقبولا لدى الجماهير المسلمة فى انحاء العالم ، وقد تم طبع ملخصات لهذا الاكتشاف وتوزيعها بالملايين . وقد تصاعدت شعبيتى كثيرا بهذا الاكتشاف البالغ الاثارة والتواضع) .

(وكشف البحث المستمر الدائب عن حقيقة مذهلة ، وهى : ان الحديث والسنة ، لما لهما من شعبية هائلة ومكانة عالية ، لا علاقة لهما بالنبى محمد — صلى الله عليه وسلم — وان التمسك والالتزام بهما ، يمثل عصيانا صارخا لله ، ولخاتم النبيين (القرآن : ٦/١٠٢ (٢٣) ، ٢٥ — ٣١) (٢٤) .

وهذا الاكتشاف يتناقض مع معتقدات الجماهير المسلمة فى كل مكان ، وبناء على ذلك فان شعبيتى ، بل شعبية الاعجاز القرآنى العددى ، عرضة لأن تصل الى درجة تهديد حياتى وسمعتى ، فقد تبين لى أن ابلاغ المسلمين أن « الحديث والسنة هى بدع شيطانية » . مماثل لابلاغ المسيحيين ان يسوع ليس ابن الله !) .

(ولما كان الاقرار بأن « الحديث والسنة انما هى بدع شيطانية » تؤيده الأدلة المادية ، فى الشواهد القرآنية . فان كل الناس ذوى الفكر الحر سوف يقبلون المكتشفات المدونة فى هذا الكتاب .

وبالنسبة الى هؤلاء المفكرين الأحرار ، فان تلك النتائج تتضمن احساسا جديدا بالخلاص ، وباليقظة الكاملة ، والوعى بأن الشعوب المسلمة سقطت ضحية للمخططات الشيطانية) .

(التوقيع : رشاد خليفة التاريخ ١٩ من اغسطس ١٩٨٢ م) .

وانت تلاحظ هنا ان مؤلف الكتاب قد وقع باسمه رشاد خليفة .

وفى الكشف الاول للاعجاز العددى للقرآن الكريم قد وقعه باسم محمد رشاد خليفة .

والباحث هنا يحار فى مسألة الاسم الرسمى لهذا الكاتب ، والسبب الحقيقى وراء الاختلاف فى كتابة هذا الاسم .

وقد وقعت دكتورة عائشة عبد الرحمن فى هذه الحيرة ولكنها قد رات على ما يبدو لى انه قد اسقط اسم محمد من توقيعه هنا بقصد يعنيه أو هدف يطويه ، وعبرت عن سرورها واغتباطها باسقاط اسم محمد فى هذه المحاولة الثانية من اسمه الرسمى ، وسبب اغتباطها انه ليس أهلا لأن يحمل هذا الاسم المكرم .

غير ان هذا الاغتباط من الكاتبة والمترجمة ، وان كان يرضينا من الناحية العاطفية الا انه لا يحل الاشكال علميا ، ولا يحل الاشكال من الناحية العلمية الا بالرجوع الى تحقيق الاسم بالاطلاع على الوثائق الرسمية والسجلات المعتمدة ، وفى السجلات الرسمية قد وجدنا أن اسم الكاتب لم يوضع على مؤلف من مؤلفاته بصورة كاملة وهذه بيانات الاسم ومحل الميلاد من شهادة ميلاده الرسمية حيث يحسن بى وبك ان اطلعك على هيكل عام لشهادة الميلاد الخاصة به لتتضح الصورة امامنا اتضاحا يقطع كل خلاف .

سجل اسمه وبياناته بدفتر مواليد ناحية كفر الزيات مركز كفر الزيات محافظة الغربية .

ويمكن استخراج مستخرج رسمى له من دفتر المواليد بالجهة المشار اليها جزء ١١/١١٨/١٤٠٠٤ ص ٦٤ رقم ٦١١ .

وفى هذا السجل وجدنا بياناته على النحو التالى :

تاريخ القيد ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ميلادية .

تاريخ الميلاد ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ م الساعة ٤٣ر٧ مساء .

اسم المولود ولقبه رشاد عبد الحليم محمد النوع ذكر محل الميلاد ش البربرية .

اسم الوالد ولقبه عبد الحليم محمد خليفة الجنسية مصرى .

الديانة × مهنته × محل اقامته ×

اسم الأم ولقبها : زينب سليمان دويدار الجنسية × الديانة × .. الخ .

تلك صورة واقعية لشهادة ميلاد رشاد عبد الحليم محمد خليفة ذكرنا فيها ما نحتاج لأهميته وضربنا صفحا عما لا نحتاج اليه زهدا فيه أو لبداهته .

والمتأمل يرى لأول وهلة أن صاحبنا لم يحمل اسم محمد من الجهة الرسمية ولم يرد محمد فى اسمه الا على أنه اسم الجد الذى أنجب عبد الحليم الأب .

وسأطرح على ذهن القارىء سؤالا لم يحن الوقت بعد للاجابة عليه .

ترى لماذا حاول رشاد خليفة أن يضم اسم محمد الى اسمه ويوهم الناس بأنه يحمل شرف هذا الاسم ؟

ونترك الاجابة على هذا السؤال الى حينها أو مكانها من هذا البحث .

ونعود الى عرض الكتاب .

فى المقدمة حاول المؤلف أن يشير الى كشفيه الأول والثانى وفى الكشف الثانى لم يخف موقفه من السنة ولم يخف تخوفه من هذا الموقف ، والح فى المقدمة ذاتها على أنه متعلق بأصحاب الفكر الحر على نحو ما هو ظاهر وواضح .

وبرغم أن المقدمة واضحة الدلالة على موقف المؤلف من السنة الا أنها لم تشر بوضوح الى السبب الحقيقى الذى جعل رشاد خليفة يتخذ هذا الموقف من سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الأمر الذى جعله يعلل لهذا الموقف فى نص آخر من هذا الكتاب .

يقول رشاد عبد الحليم محمد خليفة (لقد وصلتنا مئات الأحاديث الصحيحة وعشرات الالوف من الأحاديث المزورة ، ولم يذكر فيها مثل واحد لهذه العلاقات الحسابية التى اعتمدنا فى الاعجاز عليها) .

ومن هذه الكلمات يؤكد رشاد خليفة أنه يرفض السنة ، لأنها لم تخضع للاعجاز العددى على نحو ما صممه واختاره معيارا يقيس اليه كل شىء .

واستمر الكتاب يتحدث عن السنة وعن من تنسب اليه السنة مصدرا ورواة حديثه المؤسف المخزى على نحو ما عرضناه قبل .

والكتاب على هذا النحو مفاجأة مؤذية لشعور المؤمنين وغير المؤمنين على السواء .

انها مؤذية لمشاعر المسلمين لأنها تتحدث حديث الهوى عن نبيهم وسنته .

وهى مؤذية لمشاعر الكافرين لأن واحدا منهم خرج على الناس بقضية لا يقبلها عقل ولا يقرها وجدان . فآذتهم هذه المحاولة لانهم اعتبروها محسوبة عليهم بحساب الربح والخسارة فى ميدان مساجلات الحرب بينهم وبين المؤمنين .

ولما كان الكتاب مفاجأة مؤذية على هذا النحو من الايذاء كان لابد أن يحبس الكتاب بعد طبعه ريثما توطىء له الذرائع فى الشرق .

وقد كان ما ابتغاه حاخامات رشاد خليفة ومعلموه فطبع الكتاب ووضعت على الكتاب بطاقة تحذير هذا نصها (غير مسموح بأى نقل أو انتاج أو استخدام اى جزء من هذا الكتاب بالتصوير أو الميكروفيلم أو التسجيل أو بأى وسيلة أخرى ، بغير تصريح باذن كتابى من الهيئة صاحبة حقوق النشر)(١) .

---

(١) انظر ظهر غلافة كتاب (القرآن والحديث والاسلام) لترى هذا

ومن يوم أن طبع الكتاب وخبراء التآمر فى الظلام يفتنون فى أغراء الناس به ظاهرا وباطنا .

وكانت البداية اعلانا مغريا ظاهره فيه الرحمة وباطنه اصرار على تفريق صفوف المسلمين وتشكيكهم فى عقائدهم (**هل يعنيك أن تعرف لماذا قهر ثلاثة ملايين من الاسرائيليين ، مائة وخمسين مليـــونا من العرب ، وحرموهم من مسجدهم فى أورشليـــم ؟ لكى تعرف السبب الحقيقى اقـــرا كتاب : القرآن والحديث والاســـلام ، لرشاد خليفة ، أطلبه من هيئـــة الانتاج الاسلامى فى توسان ، أريزونا**) .

وهذا الاعلان وبرغم اغرائه لم يكن كافيا من وجهة نظر المخططين لرشاد خليفة لاقناع المسلمين فى الشرق بتلك المحاولة الغربية .

وكان عليهم أن يسخروا عملاء لهم فى الشرق مركزين على اكثرهم ثقة لدى المسلمين واثقلهم وزنا .

والذى يتأمل الساحة الاسلامية منذ سنة ١٩٨٢م والى الآن يجد أن هنـــاك شخصيات لها بعض الثقل استغلت فى التـــرويج لفكرة الكتاب السجين .

ومن بين الشخصيات من هم على قمة دول اسلامية وفى مركز القيادة السياسية منها ، ومن هذه الشخصيات شخص ينتسب الى مؤسسة دينية معترف بها ولهـــا وزنها ومكانتها فى قلب كل مســـلم من شرق الارض الى غربهـــا .

ولم يكن التوجيه قاصرا على مثل هذه الشخصيات ، ولكن احتاج الأمر

— النص ومعه رقم الايداع وبيانات أخرى والنقد والترجمة . ا.د. عائشة عبد الرحمن .

الى تكثيف الجهود على مســتوى المهن الحرة ، وصغار الموظفين فى العالم الاسلامى بعد شراء الذمم بالمال .

وبرغم هذه المحاولات المبذولة فلم نعلم انه قد تجاوب مع هذه الخطة الا شرذمة قليلة كشف عنها التحقيق فى بعض دوائر القضاء المصرية .

وزادت المحاولات ولم يزدد المسلمون الا سخطا وبغضا للكتاب وصاحبه على نحو ما اشار اليه رشاد خليفة نفسه فى مقدمة كتابه .

وبقى الكتاب (كتابا يرصف فى الأغلال) .

متنبي توسان وموقفه من الأزهر

ان هناك قاعدة مشهورة خلاصتها أن أكثر من يظلم الانسان هم أحباؤه والمخلصون له ، ذلك أنهم ان دافعـوا عنـه فانهم يتهمون بالمحاباة والتملق والمراء ، أو بالتحيز المقيت الذى يجافى العقل ، ويعادى الحقيقة ، وان هم وقفوا ضده كانوا مخالفين لضمائرهم ، ناطقين بالزور ، معتنقين لقيلة الشر والعدوان ، وان هم صمتوا كانوا بصمتهم هذا أشبه بشيطان اخرس يعرف الحق ، ويدركه ويسكت عنه لا يقوله ولا يتحمس له ، ولذلك فان أكثر ما يظلم الحبيب أحباؤه وهم معذورون فى مواقفهم ، لأن السنة الخلائق لا ترحم .

وقد اضطررنا لوضع هـذه القاعدة فى صدر هـذه المقالة لأننا ندرى ما سيعتمـل فى النفوس الحاقدة حين يقرءون مقالتى ، وندرى كذلك أنهـم سيتقولون علينا وعلى أمثالنا قول الزور .

لكن الحق احق أن يتبع .

لقد كان الاسلام فى الماضى دينا ودولة ، شريعة وسلطانا ، تصلح الدعوة فيه بالدولة ، وتقوم الدولة فيه بالدعوة فى امتزاج متكامل ، وتناغم لا يؤدى الى انفصام الشخصية ، أو الى حيرة الانسان المسلم ، ودار الزمان كما دار ، وعدت العوادى على المسلمين ، فلم يعد للاسلام دولة ، وانما بقيت له دعوته القوية المقنعة التى تخاطب بأصوله الفطرة والعقل جميعا .

واذا كان الغرب المستعمر قد اسـتطاع ان يترك له أعوانا فى موقع السلطة فى كل بلد مسلم ، منذ الرجل الصنم فى تركيا « مصطفى كمال أتاتورك » الى وقت لا نعرف مداه ، واذا كان المستعمر قد أمن بهذه الطريق على الحياة المدنية أن تسير فى ركابه كما يزعم ، فانه بالقطع غير آمن على الحياة الفكرية فى المجتمع الاسلامى ، فالحياة الفكرية مستقرها القلوب والعقول ، وللقلوب

طريقة فى الخطاب ، وللمعقول اسلوب فى الأداء ، وهما طريقتان ان جاز فيهما التزوير زمنا ، فان ذلك التزوير لا يجوز فى سائر الأزمان .

وكان الأزهر من يوم أن أنشأ الأزهر على الساحة يؤدى دوره ، نصيحة للقادة والزعماء حين يستجيب القادة والزعماء ، وحين لا يستجيبون على السواء وقيادة للشعب ، وزعامة للأمة فى وجه الظلم الاجتماعى الواقع عليها من حكامها ، وفى وجه الغزو الخارجى الزاحف عليها من خارج بلادها ، وهو فى كل ذلك لا يطلب ولاية أو سلطانا ، وانما هو يحرس الولاية بعين فكره ، ويرعى السلطنة بلسان نصحه ، فتركزت مهمته الأولى من اجل ذلك كله فى تعمق دينه ، وفهم أصول شريعته وعقيدته ، وشرح هذا الدين للأمة خاصتها وعامتها ، والدفاع عن هذا الدين فى وجه العوادى ، وتسفيه آراء المنكرين .

علم المستعمر من الأزهر ذلك ، وفهم وظيفته على هذا النحو ، وقدر حجمها وخطرها عليه ، فدخل بثقل غير يسير ، وانشأ هيآت المستشرقين فى كل بلد استعمارى ، ينفق المستعمر عليها المال الكثير ، لا لشىء الا ليوفر لهذه الهيئة الوقت ، والراحة ، والمناخ الملائم كى تستنبط من التاريخ الماضى ، على غير قاعدة الاستنباط ما يضاد دعوة الأزهر والأزهريين ، وما يناهض الفكر الصحيح للاسلام والمسلمين .

نجحت هيآت الاستشراق فترة من الزمن ، واتخـذت لها اعوانا من المستغربين فى كل وطن مسلم ، دفع الاستعمار بهم بواسطة اعوانه فى مراكز السلطة الى شغل المراكز المتقدمة فى الثقافة والتعليم ، وتوجيه الفكر بشكل عام ، فخلط هؤلاء الحق بالباطل ، ولبسوا على أممهم ما شاء لهم الشيطان أن يلبسوا عليها من الوقائع الفكرية ، والقضايا المنطقية .

وراج هؤلاء فى أزمانهم ايضا ، وكانت سوقهم نافقة الى حين ، ثم لم

يلبث الزمن طويلا ، حتى حقق الله قوله : **« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »(١) .**

واستمرت بمشيئة الله ثقة الناس فى الأزهر ، وما يقـوم به من دور خدمة لدينه وحرصا على أمته .

ولم يهدأ لأعداء الدين بال ، ولم تستقر لهم نفس ، فكانت الحلقة التى نشهد آثارها الآن محاولة الفصل بين الأزهر وأمته ، والتشكيك فى دوره ، والتهوين من قيمة رجاله والمنتسبين اليه .

وبدأت هذه الحلقة الأخيرة بمحاولة قام بها المستعمر الانجليزى أواخر القرن الماضى ، فى نوع من الزهـو ، وكأنه يعيب على المسـتعمر الفرنسى السابق عليه خططه .

فالمسـتعمر الفرنسى حين دهم الأزهر بخيوله أيام الحملة الفرنسـية (١٧٩٨ م — ١٨٠١ م) هيج ضده مشاعر المسلمين ، فكانت لهم الغلبة فى النهاية ، ورحل المستعمر الفرنسى عن مصر .

وللمستعمر الانجليزى طباع تخالف هذه الطباع الفرنسية ، فعدى على الأزهر ولكن بأسلوبه البطىء الملتوى ، فوضع مبانى المعاهد الأزهرية ومقارها فى أماكن غير بارزة ، ويستحسن أن تكون الى جوار المقابر ما أمكن ذلك ، فى حين خصص للمدارس المدنية التى تدرس علوم الغرب أبرز الأماكن فى كل مدينة وبندر .

وليس هذا فقط ، ولكنه قد حاول أن لا يجعل لخريج الأزهر وظيفة فى الدولة ، ولا مكانا قياديا رسميا بها ، وعلى خريج الأزهر اما أن يعمل بالتدريس فى المعاهد الأزهرية — ولن تستوعب جميـع الخريجين — أو يعمل واعظا

---

(١) الأنبياء : آية ١٨ .

ومرشدا للعامة على ان يعطوه اجره من حصاد حقولهم كل عام كما يعطى الفقراء والمساكين ، واصحاب الحرف الموروثة فى الريف ، رجاء أن يتقلى الأزهرى فى داخله ، وبذلك لا تقوم للأزهر قائمة .

وراجت هذه الفكرة هى الاخرى فترة من الزمن ، وقبل أن تذوب كالجليد بحرارة المؤمنين ، برسالة الأزهر والمخلصين للأزهريين ، الحقت بها خطة اخرى تتصل بأسلوب التعليم فيه ، وبثالثة تفرق بينه وبين الأمة ، وتشكك شعاب الأمة فيه .

وكان التركيز فى هذه المحاولة الاخيرة على امرين :

احدهما : على المستوى الرسمى ، ومن خلالها يحجم الأزهر ، ولا يكون له موقف قيادى فى المجال الذى ينبغى أن يعمل فيه ، وهو المجال الفكرى ، وابرازه للناس على انه مقصر فى دوره ، متخاذل من أداء مهمته(١) .

---

(١) ان الأمثلة على هذا كثيرة ومتنوعة نكتفى بالاشارة الى مثل واحد تكرر مرتين ، من جهة لا يتأتى منها مثل هذا المثل ، طلبت المحكمة فى قضية الفنية العسكرية ان يقوم شيخ الأزهر بأداء شهادته امام المحكمة ، وبين شيخ الأزهر يومها أنه لا يمكن اداء الشهادة الا بالاطلاع على آراء المتهمين ، وسماع اقوالهم ، حتى يكون للشهادة أصل من الواقع تعتمد عليه ، واساس من المشاهدة يحقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم للشاهد بعد أن اخذ بيده وابصره الشمس — هل ترى الشمس ؟ — على مثلها فاشهد أو فدع « (صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، واصدرت المحكمة بيانا بعد رفض شيخ الأزهر الشهادة الا على اساسها توجهت فيه الى الأزهر وعلمائه باللوم والتقريع ، وانه كعادته يتقاعس عن اداء دوره .

وفى قضية الناجين من النار تكرر المشهد بعينه ، وكان البيان هو البيان ، وموقف الأزهر هو موقف الأزهر مع اختلاف فى الزمن وفى الأشخاص . راجع الصحف الرسمية فى مصر تاريخ (١٩٨٨/١١/١٠ م) ، وراجع مشيخة الأزهر — تأليف على عبد العظيم — ج ٢ — ص ٣٩٦ وما بعدها .

ثانيهما : على المستوى الشعبى .

وفى هذا المستوى يوضع فاصل شديد الفعالية ، وستار كثيف يمنع الالتقاء بين الأزهر برجاله وفكره ، والشباب بطاقاتهم وانطلاقاتهم ولا يكون ذلك ولا يتأتى الا من خلال افهام الشباب بأن الأزهر ورجاله أناس مرتزقة موظفون يتقاضون رواتبهم ايذاء وظيفة لابد من ادائها وهى كلها تدور حول التبرير والتدليل .

التبرير لكل ما يقوله أو يفعله الحكام ، والتدليل على كل ما يصدر من تشريع أو تنظيم مهما كان مجافيا للاسلام ، ومهما كان بعيدا عن نصوصه وروحه .

ويرى أصحاب الاغراض والهوى أن شباب الأمة حين يفهم ذلك لابد وان يقاطعوا الأزهر والأزهريين ، وهم فى نفس الوقت يحتاجون فى فهم دينهم الى أساتذة ومرشدين وعلماء وفقهاء .

ويرى اعداء الأمة أن فى هذا الاحتياج نفسه وفى غيـاب الأزهر عن الساحة فرصة سانحة يجب عليهم ان ينتهزوها ، ولا يجوز لهم أن يضيعوها ففى ضياعها خسران كبير .

والأمثلة على هذا المسلك كثيرة ، وكلها تؤكد أن هذا التيار قد انجرف فيه محبوا الأزهر ومبغضوه والشانئون عليـه والغيورون على مواقفه على حد سواء .

على أية حال ، فان هذا البحث ليس مخصصا لموقف الأمة من أزهرها وموقف اعداء الأمة منه ، وانما سطرنا ما سـطرناه هنا ليكون معبرا الى الخندق الذى اختاره رشاد خليفة لنفسه وجيش حوله رجالاهم فى الحقيقـة حزب الشيطان .

ورشاد خليفة كما سيتبين لنا سائر فى طريق ظل فترة من الزمن لا يعرفة

نهايتها وان كان يعرفها غيره بل انى لاأكد انه غير محيــط بمعالمها وان كان غيره قد تصورها وتخيلها منذ اكثر من خمسة عشر عاما .

فى فترة متأخرة وبعد اتخاذ رشاد خليفة موقفه من السنة،وبعد ان تحول كتابه الى الاسر يرصف فى الاغلال وجدنا رشــاد خليفة من غير مقدمات ولا مبررات يتخذ من الأزهر والأزهريين موقفا معلنا قد ظهر فيه فى غاية الشدة والغلظة ، وكان ظهوره على هذا النحو بعد أن انكشفت صنيعته وصنيعة غيره داخل الأزهر وهو الأستاذ المساعد بقسم التاريخ والحضارة سابقا المعروف باسم (احمد صبحى منصور) ظل احمد فترة يعمل ويرقى حتى خرج على الناس بعد سنة ٨٢ — وهذه السنة لها دلالتها — ينكر السنة النبوية ، وينال من عصمة الأنبياء واتخذ له مسجدا ضرارا يعلن فيه آراءه الشاذة وكان يأتى اليه وخلفه رجال معهم من اسباب القوة العصى وطول اللسان ، ثم يعلن بينهم ما يعلن وليس لأحد من الحاضرين ان يعترض على ما يعلنه .

ويظهر لى أن اختيار هذه الشخصية كانت جس نبض للأزهر وللأمة جميعا بعد ان هيىء لأعداء الأمة أنهم قد فصلوا بين الأمة ودينها حين شككوا بعض الشباب فى علمائهم .

وفصل الأزهر احمد صبحى منصور وارتاحت الأمة لهذا الاجراء وقال احمد صبحى فى حينها لبعض خلفائه انه موعود هناك بالفردوس المفقود هنا ، والفردوس المفقود فيلا فيها النعيم كله ، وسيارة تسابق الريح ، وهو بذلك آمن فلن يقابل مالكا خازن النار واثق كل الثقة فما يملكه فى الدنيا اكثر مما يقف رضوان خازن الجنة على بابه .

وكفر رجال الأزهر لأنهم وقروا نبيهم كما أمرهم كتابهم ، وحفظوا عن الأمة السنة النبوية والتى هى المصدر الثانى للتشريع عندهم .

اشتط غضب رشاد خليفة على الأزهر والأزهريين حين اتخذ الأزهر هذا الاجراء وحين وقف الأزهريون هذا الموقف واخذ يرسل بشتائمه فى كل مجال ، يرسلها بها الى شخصيات أزهرية لها صلة بأحمد صبحى أو ليست لها به صلة .

ويرسلها بها الى بعض اجهزة الاعلام ورجاله سواء منهم من كتب عن احمد صبحى أو ممن لم يكتب عنه .

كتب الاستاذ احمد بهاء الدين ناقلا ومعلقا فى يومية من يومياته(١) قال :
« احب ان انبه الأزهر والمؤسسات الاســلامية فى مصر ، الى نشرة باللغة الغرابة تلقيتها بالبريد من ولاية اريزونا فى الولايات المتحدة الامريكية ، النشرة عنــوانها « آفاق اســلامية » عدد مارس ١٩٨٨ كتبت بمزيج من اللغتين الانجليزية والعربية والعنوان الكبير على الصفحة الأولى يقول « الأزهر منكر القرآن يقود مصر الى الهلاك » وتقول النشرة باللغتين العربية والانجليزية ان الأزهر منكر القرآن يعصى الله ورســوله ، بابتداع العصمة للأنبيــاء ، والشفاعة لغير الله ، وانكار ان القرآن كامل وتام ومفصل بالتمسك بالبدع الابليسية المسماة بالحديث والسنة وكلام من هذا النوع مؤداه ان الأزهر يقود مصر الى الهلاك ومن ورائها الأمة العربية جميعا تلك أولى غرائب النشرة ، ثانية غرائبها انها تصدر عن جمعية اسلامية تملك من الوسائل التكنولوجية الشىء الكثير فنحن نفهم من كشف مبيعاتها انها تبيع شرائط الفيديو والكاسيت فى جميع الموضوعات (القرآن احدث ترجمة ١٣ دولارا — الكمبيوتر يحلل القرآن حسابيا ورقميا — ٩ دولارات ، القرآن (فيديو) نظرة بالعين الى منجزات القرآن . الفيديو (قصة حياة النبى — صلاة الجمعة) وكثير غير ذلك من السمعيات والبصريات . الأسماء السائدة فى النشرة — تأليفا واخراجا

---

(١) الأخبار ١٩٨٨/٤/١٧ م .

وخطابة — الدكتور احمد صبحى منصور — الدكتور رشاد خليفة ، ملاحظة اخرى ان بعض الأسماء مسيحية امريكية وكانت مسلمة ولكنها تساهم فى الجمعية الاسلامية ونشاطاتها دكتور دوجلاس براون (سابقا رشيد حامد) جيل كنجهام (سابقا راضية) ليندا قالوواى (سابقا جميلة) . وهناك اسماء غير عربية — ايرانية او باكستانية على الأغلب (فيروز كارملى — سعيد تالارى — جاتوت اديزونا) . وتقول النشرة يعلمنا خالقنا عز وجل ان النتيجة الحتمية لرفض كلامه وتكذيب آياته كما فعل الأزهر واتباعه هى الهلاك كما حدث للكفار من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ، ولقد شاء الله عز وجل ان يبرهن للعالم ان الأزهر واتباعه قد كفروا حقا بالقرآن كما اثبتنا على صفحات هذه المجلة والنتيجة الحتمية هى جفاف النيل ووقوع الكارثة والتى بدأت علاماتها بوضوح مصداقا للآيات اعلاه . ان القهر الفكرى الذى يمارسه الأزهر هو اس البلاء !) .

ويعقب الأستاذ أحمد بهاء الدين على تلخيصه لهذه النشرة وما ورد فيها متسائلا : (**أى جمعية اسلامية لها مصلحة فى التشهير بالأزهر فى امريكا ؟**

ان عنوانها مسجد تكسون) .

ويعمق الأستاذ احمد بهاء الدين ملاحظاته فى شيء من التعقيب والبسط ، وشيء من الاضافة والعتاب فيقول[1] : **[لو كانت النشرة او المجلة التى أشرت اليها مقصورة على ادعاء دعاوى جديدة منحرفة باسم الاسلام كتكفير من يأخذ بالحديث والسنة ، لقلنا انها احدى الفرق المنحرفة باسم الاسلام وامثالها كثير[2] .**

---

(١) أخبار اليوم — يوميات أحمد بهاء الدين — ١٨/٤/١٩٨٨ .

(٢) كتب ابن الوزير اليمنى كتابا عرض فيه بعض هذه المحاولات ، ورد عليهم بأجوبة نفيسة ، والكتاب مطبوع — انظر الروض الباسم فى الذب عن سنة ابى القاسم .

حتى فى امريكا . ولكن الملحوظات التى تستوقف النظر ونضيفها الى الملاحظات التى ذكرناها : انها تبدو ممولة تمويلا جيدا . خصوصا بانتاجها التليفزيونى عن موضوعات حساسة فى القرآن ، وحياة الرسول ، والكثير مما سجلته على اشرطة فيديو للبيع . والاسم الوحيد الذى يقابله تعريف واضح هو « الدكتور احمد صبحى منصور يحاضر فى جامعة اريزونا عن القهر الفكرى الأزهرى وانه منتشر فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون ؟ ...

ثم يقول : ولكن السؤال الاكبر الذى تثيره المجلة هو : لماذا هذا التوجه الأساسى فى كل شىء الى مهاجمة الأزهر الشريف بالذات .

ان الأزهر ليس هو الوحيد الذى يعترف بالسنة والأحاديث النبوية ، بل الأغلبية الساحقة من عموم المسلمين والهيئات الاسلامية ، فلماذا اختصاصه بالهجوم والتشهير ، وجعـل ابرز ما فى النشرة وما فى نشـاطات الجمعيـة هو اتهام الأزهر بالكفر ، وبتضليل المسلمين ، وبجر مصر الى الخراب الشامل فى سنة ١٩٩٠ م بالتحديد ؟ .

وهل هى حركة سياسية موجهة ضد مصر أم حركة دينية موجهة ضد الأزهر ؟ أم ضد الاسلام ذاته وهو أمر عرفه الاسلام كثيرا .. ؟ ومن يقف وراءها ؟ .

ان مصر لها سفارة فى امريكا ، والعالم العربى والاسلامى له اكثر من ثلاثين سفارة فى امريكا . ولدينا مؤسسات كمؤسسة الوحدة الاسلامية ، ومؤسسة جامعة الدول العربية . هل يا ترى تعرف هذه الجهات ، ويعرف الأزهر نفسه ، شيئا عن تلك الجماعة الاسلامية الغريبة فى أمريكا ؟ ومن يتكلم باسمها ؟ ومن يمولها ؟] .

لقد آثرت فى بداية تصوير هذا الموقف لرشاد خليفة من الأزهر الشريف ، أن أحيل على هـذا التلخيص الجامع ، والنقد الموضـوعى والتسـاؤلات

الواضحات التى ذكرها الأستاذ أحمد بهاء الدين معتمـــدا على تلك النشرة المختلطة فى لغة ادائها ، وهو اسلوب معروف لدى هذه الجماعة ، أولا لأن الأستاذ احمد بهاء الدين قد وقعت فى يده هذه النشرة قبل أن تقع فى يدى ، وثانيا : أن الرجل كان بعيد النظر كما رأينا عميق الفكرة فى عرضه وملاحظاته ثم تساؤلاته .

واستمرت حمى الحقد (واعتذر عن هذه العبارة القاسية) تدور فى رأس الرابضين خلف رشاد خليفة ، فيصدر بتوقيعه شتائمه للأزهر والأزهريين بشكل هستيرى ، أقرب شبه له ما نراه من حركة المذبوح .

وسوف أحاول أن أجتزىء هنا بعض ما ذكره بالعربية فى هذا الصدد مما خط عليه توقيعه .

كتب رشاد خليفة خطابا الى عميد كلية اللغة العربية ، توجه اليه فيه بالشتائم الشخصية بسبب موقفه من أحمد صبحى ، وبسبب تقديره وتقدير اخوانه للنبى صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين ، ثم أنهى الخطاب بتعميم للأزهر والأزهريين ، وشملهم بشتائمه التى قال فيها :

[... لقد اخترتم أنتم وأربابكم ((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله))(١) .

اخترتم تكذيب الله سبحانه وتعالى عما تصفون فى تأكيداته بأن القرآن الكريم ((كامل)) (الأنعام ١٩) و ((تام)) (الأنعام ٣٨ و ١١٥) و ((مفصل)) (الأنعام ١١٤) وقررتم أن هناك مصادر ابليسية(٢) اخرى الى جانب كلام

---

(١) وجه الآية هنا الى المسلمين الذين اتخذوا النبى صلى الله عليه وسلم قدوة لهم على نحو ما قال فى الخطاب نفسه قبل ذلك (هل من شركائكم محمد) من يفعل من ذلكم من شىء .

(٢) يقصد السنة .

الله عز وجل الذى بلغه محمد ... التوقيع : الدكتور رشاد خليفة . والتاريخ : ١٩ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ ، ٤ يناير ١٩٨٨ م] .

وعاد مرة أخرى ليراسل الشخصية نفسها وفى نفس الشهر والسنة ٢٦ يناير ١٩٨٨ م ٧ جمادى الثانية ١٤٠٨ هـ بخطاب هابط الأسلوب نازل المعانى ينال فيه من عميد كلية اللغة العربية واخوانه العلماء باسلوب أشبه بعبث الصبيان متجاهلا قول الله عز وجل : (ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)(١) .

والسبب هنا كما هو السبب هناك أحمد صبحى منصور ومقالة كتبها عميد كلية اللغة العربية لتوضيح الموقف الخاص بأحمد صبحى .

ولقد راى رشاد خليفة واعلن عن ما راى أن هذه المقالة كانت سببا اتخذه رشاد خليفة الى سماء الخارجية والمخابرات الأمريكية لكى يحصل على تأشيرة دخول واقامة كاملة خاصة بأحمد صبحى منصور ونحن نتجاوز عما يسببه هذا الاعلان من حرج للادارة الأمريكية يجب عليها أن تدافع عن موقفها بصفتها الرسمية ، لأن هذا أمر يخص الادارة الأمريكية وحدها نتجاوز هذا كله لنقف عند تعميم رشاد خليفة للأزهر والأزهريين بعباراته التى تؤكد موقفه منهم وما يطويه من الكيد لهم فى مستقبل الأزمان .

يقول متحدثا أولا عن مقالة عميد كلية اللغة العربية فى لواء الاسلام (... فقد خدمتنا هذه المقالة الرائعة فى الحصول على موافقة الحكومة الامريكية على اعتبار الأخ الدكتور بطلا مجاهدا برأيه وقلمه ، وضحية واضحة لبلد القهر الفكرى ، أزهر الشيطان) .

وفى نشرة تحمل عنوان « مسلسل تاريخى هام » ورد فيها انتقاد شديد اللهجة لموقف وكيل كلية أصول الدين من القرآن والسنة ثم تعميم كالعادة

---

(١) الحجرات : ١١ .

للقول بحيث يشمل سائر الأزهريين « المشكلة الازلية للأزهر أنه مسـجد ضرار (!!) يقوم على حماية التراث البشرى (يقصد السنة) الذى يناقض القرآن ويتهم كتاب الله بأنه غامض غير مبين ، وانه فى حاجة الى تفصيل . ولكن تفصيلات القرآن لا يفهمها الا الذين يؤمنون حقا بكتاب الله : ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢) . والذين يعملون : كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (٣) . والذين يذكرون : وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون (١٢٦) .

وهذه الصفات لا يتصف بها الازهريون الذين اعماهم المولى عز وجل عن رؤية كتابه الكريم ...... يقول المولى عز وجل فيهم(١) : واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا (٤٥) وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا . ولقد أدت الأكنة على قلوبهم ، والوقر فى آذانهم ، الى تكذيب رب العزة فى تقريره أن القرآن الكريم كامل وتام ومفصل ...) .

لقد اجتزانا هنا من النصوص الثابتة والواردة على لسان رشاد خليفة ما نظن انه يصور موقفه من الأزهر والأزهريين ، وهو موقف غريب غاية فى الغرابة منكر اشد النكر لأننا وكما يقول أحمد بهاء الدين لم نر الأزهر وحده انفرد باحترام النبى وتقديره ، وشرح المكانة اللائقة به وتوضيحها للناس ، ولم نر الازهر وحده من بين سائر الخلائق اعتبر السنة مصدرا من مصـادر التشريع واعتبر ان لها وظيفة مع القرآن الكريم ودورا لا ينكر ، لم نر الأزهر انفرد بهذا ولا ذاك من بين سائر الخلائق ولكن الشيء الذى لم نجد له تفسيرا

---

(١) يقصد الأزهريين .

(٢) والخطاب فى الموضعين للنبى صلى الله عليه وسلم فتأمل !

هو أن الأزهر وحده من بين سائر الخلائق قد انفرد بلوم رشـــاد خليفـــة وتقريعه ، لما له من مواقف مشهودة من النبى وسنته .

ولا أظن أن أحدا من الأزهريين ينال منه هذا الذم ولا يقدح فى سمعته هذا التطاول ، ولا ينال من كرامته تلك الجراة الجريئة التى تمد بسبب الى جهات خفية معلومة الوسائل والغايات .

ان جميع الأزهريين بلا استثناء يتقدمهم من كانت لهم قدم راسخة فى الحديث عن النبى وشمائله وعصمته وخلائقه ومن كانت لهم باع طويلة فى الحديث عن السنة ، وترسيخ منهجها والدفاع عنه ، ان الأزهريين جميعـــا يتقدمهم هؤلاء يعتبرون — وهذا صحيح — ان ما يتوجه به رشاد خليفة وامثاله وسام شرف على صدورهم ، وغرة بيضاء تميزهم عن غيرهم ، ونور فى أرواحهم ووجدانهم .

غير أن السؤال يبقى فى الحقيقة هو الســـؤال حائرا بلا جواب لماذا الهجوم على الأزهر من بين سائر الخلائق ؟

فهل من مجيب !

رشاد خليفة ودعوى النبوة

عقبات على الطريق :

فى التاريخ المعلوم لنا قد مرت تسع عشرة سنة تقريبا قبل أن يدعى رشاد خليفة انه نبى مرسل ، أو قبل أن يكون مبعوث العناية الالهية لانقاذ الأمة الأمريكية أولا من وهدة الضلال ، وانقاذ أمم الأرض بعدها .

وعلى ما يبدو لى ان رشاد خليفة أو من هم وراءه ، قضوا ثمانى عشرة سنة فى التمهيد لهذا القرار الجديد على أن تكون السنة التاسعة عشرة ، هى سنة ادعائه للنبوة .

ولأن صح ما توقعناه بالتحليل العقلى كان لهذا التخطيط فلسفته الخاصة التى ترتبط بفلسفة رشاد خليفة العامة ، والتى يفلسف بها كل موقف من مواقفه الشائكة والشائقة على السواء .

فلم يعد خافيا على احد الآن تقدير رشاد خليفة للأعداد ولحساب ابى جاد ، وتقديسه للعدد تسعة عشر مما يؤكد صلته الوثيقة بالبهائية ، أو محاولة ارثه لها ، والذى اكدته الأحداث بعد .

فى السنوات الثمانى عشرة الماضية حاول رشاد خليفة أو حاول من هم وراء رشاد خليفة ، أن يزيلوا من طريق دعواه النبوة كل عقبة كأداء ، حتى يخلص له فى آخر زمانه ما يدعيه ، ولا يعترض عليه أحد فى مدعاه فى شىء مما ادعاه .

وكان **أول عقبة** تخيل المخططون له أنها ستكون فى طريقه وتعترض مسيرته بقوة هى القرآن الكريم نفسه ، باعتبار أنه معجزة ، لا ، بل باعتبار انه هو المعجزة والذى يظهر على الناس فى كل زمان بما يعجز أهله(١) .

---

(١) راجع نظرية النبوة فى الاسلام — دكتور طه الدسوقى حبيشى — مرجع سبق ذكره .

وكانت هذه كبرى المعضلات التى يتعين على رشاد خليفة ومن هم وراءه أن يتخطوها .

وهى نفســـها تلك المعضلة التى قابلت نفس الهيئة حين كانت تخطط للبابية والبهائية ، وما لهما من أنبياء وزعماء ، مما دفعهم الى تخطى القرآن ، والاستشهاد بنبوة الباب والبهاء ، بل والوهيتهما ، وعبودية عباس افندى نبى البهائية بعد أبيه من الكتاب المقدس .

وقد أشار جولدنسيهر الى هذه الحقيقة وهو يتحدث عن الحركات الدينية الأخيرة فى الاسلام حيث قال ما خلاصته : ان حاخامات اليهود وزعماؤهم كانوا ينكبون على الكتاب المقدس فى العهد القديم يستخرجون منه ما يؤيد الباب والبهاء ، وقد استهلكوا النصوص فى الاستدلال على دعاوى الرجلين ، ومحاولة تصحيح مواقفهما ، حتى أعيتهم النصوص فلم يتمكنوا من رفع عباس افندى الى مرتبة أبيه البهاء ، أو مكانة سلف ابيه الباب ، فاكتفوا بأن جعلوه فى مرتبة غصن اعظم ، وجعلوه يحتل مرتبة عبد البهاء ، ونبى البهائية المبعوث اليهم من قبل أبيه حسين على المازندرانى اله البهائيين فى زعمهم(١) .

استهلك الكتاب المقدس ، واستغرقت نصوصه فى التدليل على تنبؤ من تنبأ قبل رشاد خليفة ، ولم تواتِ الريح سفينة هذا المتنبى الجديد بما تشتهى ، ولم تأته الظروف على ما يهوى .

وان الكثيرين ليعتبرون الحوادث الاجتماعية ، وظروف الزمان فى حياتهم

---

(١) راجع العقيدة والشريعة — جولد تسيهر الحركات الدينية الأخيرة فى طبعته العربية ص ٢٧٤ وما بعدها . وقد نقل الكتاب الى العربية وعلق عليه د/محمد يوسف موسى ، و د/على حسن عبد القادر ، والأستاذ عبد العزيز عبد الحق — طبعة دار الكتاب العربى — القاهرة — الطبعة الثانية . وانظر البهائية وسائل وغايات — د/طه الدسوقى حبيشى — مرجع سبق ذكره .

من عوامل السعود والنحوس ، وكان نحس رشاد خليفة فى استهلاك نصوص الكتاب المقدس قبله ، لأناس يساوونه فى الافتراء على الله والكذب عليه ، ولكنهم تقدموا عليه فى الزمان .

على اية حال فان هؤلاء الدمى لا يدخل ضمن اختصاصهم تبرير موقفهم ، ولا تدعيم دعوتهم التى يدعونها بالأدلة ، وانما تلك مسئولية غيرهم ، وليس عليهم الا أن يقولوا ما يقال لهم ، ويتحركوا فى الطريق التى تعبد لهم ، أو يقال لهم انها قد عبدت .

لم يكن أمامهم جميعا على اية حال الا ان يجدوا لهم مخرجا من هـــذه الحلقة الضيقة والمتمثلة فى معجزة القرآن نفسه .

لقد قام هؤلاء فى غمرة الحزن الذى اجتاح العرب والمسلمين بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ م ، وانجذاب الناس جميعا نحو الدين ، وانكبابهم على أنفسهم يراجعون مواقفهم مع الله عز وجل ، وسط هذا المعترك ، قام الرابضون خلف رشاد خليفة بتمثيل مسرحية عجيبة الشكل ، خادعة فى مظهرها ، ماكرة فى جوهرها ، مؤداها أن القرآن الكريم معجز ، وأن اعجازه فى أن ما جاء به متناسق تناسقا عدديا ، فهو يقبل القسمة على العدد تسعة عشر أو يساويه ، أو يضرب فيه ، وليس للقرآن الكريم حظ من الاعجاز سوى هذا التناســـق العـــددى .

ولقد وقفنا فى هذا الكتاب وقفة وضحنا فيها وجهة النظر الحقيقية لوجه الاعجاز المزيف ، وتركنا الغرض منه الى تحليله هنا .

وبعد ما ذكرناه الى الآن لم يعد خافيا ذلك الهدف الحقيقى الذى طواه رشاد خليفة زهاء ثمانية عشر عاما من الزمان .

والهدف الحقيقى يتلخص فى نقطتين :

احداهما : سلب ما للقرآن من حقيقة معجزة .

وهذا أمر ضرورى ترتكز عليه كل دعوة مارقة ، وكل تنبؤ يفترى على الله الكذب ، ويدعى لنفسه امرا ليس له .

ثانيتهما : ايجاد فرصة كافية لمحاكاة القرآن الكريم حين يأتى أو ان ادعاء النبوة ، بحيث يتمكن المتنبى من الاتيان بكلام بشرى عادى ، ثم يقيسه الى مقياس اصطنعه لنفسه ، وادعاه حقيقة الاعجاز فى القرآن الكريم .

وهذا ما حدث بالفعل لصاحبنا حين تنبأ ، انه اخذ يكرر موضوع الاعجاز بالأرقام فى كل ما يأتى وما يدع ، وفى كل شىء ينسبه لنفسه زورا وبهتانا على نحو ما سنبين بعد ان شاء الله .

وكانت العقبة الثانية : فى طريق رشاد خليفة هى السنة النبوية المطهرة .

وكما قلنا فى العقبة الأولى ، فان السنة النبوية لم تكن عقبة فى طريق رشاد خليفة وحده ، وانما كانت تمثل لونا غير هين من الاعضال فى طريق كل متنبىء أو مدع للرسالة .

والسبب الجوهرى فى ان السنة تمثل عقبة اكثر صعوبة أمام أدعياء النبوة من القرآن نفسه ، هو أن القرآن محصور بين دفتين بدايته الفاتحة ، وآخره سورة الناس ، وهذا المحصور من حيث بداياته ونهاياته قد رأى المخططون ضده فى الظلام انهم يتمكنون من الادعاء عليه ، وهم آمنون من ان احدا لن يتمكن من أن يأتيهم بآية أو آيات خارج نطاق المثبت فى المصحف ، ولم يكن له فى الخطة الادعائية حساب يذكر .

وقد هيأ لهم الشيطان انهم ناجحون فى خطتهم تجاه القرآن بسبب انحصاره ، وأملى لهم الله عز وجل وأمهلهم ، ثم كشف امرهم كشفا قاصما لظهورهم .

على أية حال فان القرآن بسبب انحصاره قد هيأ للمتآمرين ضده انهم قادرون على التزييف عليه ، والصاق اشياء به ليست منه .

أما السنة فانها غير محصورة من حيث عددها ، وكمها ، والى الآن لم تحصر السنة فى كتاب واحد حصراً دقيقا ، بحيث يشار اليه ويقال : ان هذا الكتاب يحتوى على سنة رسول الله ، بحيث لم يفته شىء منها ، ولم يحتو على شىء غريب عنها .

الى الآن لم يفعل المسلمون ذلك ، وفى هذا سر عجيب حيث كانت السنة لهذا السبب نفسه مستعصية على اعدائها بحيث لا يتمكنون من أن يربطوها بقاعدة مزيفة ، ويخرجوها على نظام يبتكرونه .

وحين اعيت السـنة أعداءها على هذا النحو لم يـكن أمامهم الا أن يرفضـوها جملة ، وان يشككوا فى نسبتها الى النبى ، وأن يتهمـوا نقلتها بالوضع والكذب على رسول الله بدءا من جيل الصحابة ، وانتهاء بالأئمـة الأعلام كالبخارى وغيره .

ومحاولة التخلص من السنة لهذا السبب الذى ذكرناه كانت هى القاسم المشترك بين ادعياء النبوة جميعا ، بل كان التخلص من السنة شـعار كل مارق من الاسلام ، ومزيف عليه ، وقاعدة كل من يريد أن يتحلل من الفضيلة ، ويخلع من رقبته عروة التكليف والالتزام .

وليس رشاد خليفة بدعا من هؤلاء ، ولكنه رجل اختارته أعين الشيطان ليكون نبى آخر الزمان ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، والسنة ستحول بينه وبين مدعاه ، وهو لا يحفظ كل ما ورد عن رسول الله ، ولم يعثر عليه مجموعا فى كتاب ، حتى يتمكن من تخريجه على قاعدة مزيفة يضعها ، ثم يحاول أن يدير جميع الأحاديث عليها كما فعل فى القرآن ، وهو لا يريد أن يقعد لما يعلمه من الأحاديث أو لما وقع تحت يديه منها مجموعا فى مصادرها :

أولا : لأنه لا يأمن ان فعل ذلك ان يأتيه جهبذ من جهابذة السنة ، وعلم من أعلامها ثم يقول له : ان بعض ما اعتمدت عليه فى قاعدتك ضعيف ، أو

موضوع أو لا أصل له ، خصوصا وانه جاهل بالسنة جهله بالفضيلة ، وجاهل بمناهجها جهله بكل خليقة من خلائق الرشد ، وطرائق الكمال .

وثانيا : لانه ان قعد للسنة قاعدة مزيفة يديرها عليها فى حدود ما يعلم ، لا يأمن ان يأتيه جهبذ من جهابذة السنة ، وعلم من اعلامها بحديث صحيح يخرم عليه قاعدته ، ويقطع عراها التى ظنها عظيمة ، فبانت له اهون من خيوط العنكبوت .

ادرك من هم وراء رشاد خليفة تلك الصعوبات ، وانها لا يمكن تخطيها ، فلم يكن أمامهم الا ان يضعوا له كتابا فى الانجليزية اسموه « القرآن والحديث والاسلام » وكان فيه ما كان من انكار السنة جمعاء ، واعتبارها عملا من عمل الشيطان .

وتهيب رشاد خليفة اول الأمر أن يضع اسمه على كتاب من هذا النحو ، ولكنه بعد أن فكر وقدر ووازن الأمر بينه وبين نفسه ، رأى أن يضع اسمه على الكتاب ، وقرر هو ومن وراءه أن يوطئوا له الذرائع فى الشرق على نحو ما رأينا .

اما العقبة الثالثة فى طريق تنبؤ رشاد خليفة فكانت هى شخصية النبى صلى الله عليه وسلم ، وما له من خلائق ، وما يرتبط به من مهام .

ولعل هذه العقبة من وجهة نظرى هى اكثر العقبات جميعا صعوبة فى وجه رشاد خليفة وامثاله .

ذلك ان لها صلة بسلوك المتنبى ، وقوة ارادته وسلامة عزيمته .

ومسألة الارادات ، وسلامة العزائم وقوتها يتفاوت الأشخاص فيهـــا تفاوتا عظيما ، واظننى لا اكون متجنيا حين اقول : ان رشاد خليفة ومن سار على دربه ممن عاصروه أو تقدموا عليه ، ليس لهم من قوة العزيمة حظ يذكر ،

وليس لهم من سلامة الارادة ما يتفق ودعواهم النبوة التى تجعل اصحابها على قمة الأخلاق ، وسنام الفضائل .

ورشاد خليفة يتأمل شخصية النبى محمد والأنبياء قبله ، ويجيل البصر فى سمائهم العظيمة الرفيعة الشأن ، فيرجع اليه البصر خاسئا وهو حسير ، يكاد يتوارى من الناس جميعا بسبب ما ادرك من سير الأنبياء وخلائقهم ، وما يعرفه من سيرته الذاتية ، ويقف عليه مما له من خلائق وشيم .

ان المسافة اذن شاسعة بينه وبين الأنبياء ، بل بينه وبين اتباع الأنبياء ، بل بينه وبين اتباع الأنبياء ، بحيث لا يمكن اجتيازها او تخطيها بسهولة ، وانه ليدرك غاية الادراك بعد ان قطع شوطا فى خدمته للرابضين خلفه أن ما سلكه ، وما بدر منه امور كلها تجافى الطبع السليم ، وتتناقض معه .

وما يفعل والحالة هذه وهو مقبل على ادعاء النبوة ؟ !

لم يكن امامه من حل الا أن يتهم الأنبياء بالرذائل ، ويرميهم بسوء الخلق ، وانهم يخطئون كما يخطىء ، ويقعون فى الرذيلة كما يقع ، بل انه لمن العجب العجاب أن يقول صديقه فى مصر احمد صبحى منصور عن العصمة بأنها خرافة ، وعن وصف الأنبياء بها أنه افتراء على الله وعلى انبياء الله .

ومن هذا القبيل نفسه يتوجه رشاد خليفة الى الأمة الاسلامية جمعاء ، فيتهمهم بالشرك لأنهم اعتقدوا فى النبى العصمة ، وانهم انزلوه المنزلة التى أمرهم الله أن ينزلوه فيها سلوكا واعتقادا .

وماذا يفعل المؤمنون سوى أن يستجيبوا لقول الله ((**يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان**

الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم »(١) .

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه ان الذين يستئذنونك اولئك الذين يؤمنـــون بالله ورسوله فاذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قــد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم »(٢) .

« يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فأن الله غفور رحيم ءاشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصـــلاة وأتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون »(٣) .

ماذا يفعل المؤمنون ، وربهم قد وجههم هذا التوجيـــه لتكون علاقتهم بالنبى على هذا المستوى ؟ !

غير أن رشاد خليفة لا يعجبه هذا الموقف ولا يبتغيه ، لأن مثل هـــذا الموقف يحول بينه وبين ما هو مقبل عليه ، ومتجه له من دعوى النبوة ، وهو بالقطع لن يجد له من الأنصار والأتباع من يقدره هذا التقدير ولا عشر معشاره، ومن يستجيب له بالطاعة المخلصة لا . ولا قلامة ظفر ، ومن يثق به نسبة ما من هذه الثقة تساوى قليلا أو كثيرا .

---

(١) الحجرات : الآيات من ٢ : ٥ .
(٢) النور : الآيات : ٦٢ ، ٦٣ .
(٣) المجادلة : الآيات : ١٢ ، ١٣ .

من أجل هذا كله تهجم رشاد خليفة على شخصية النبى ، وكلف المنتفعين مثله ان يقوموا بمثل هذا العمل .

وتوجه رشاد خليفة الى المؤمنين ، فاتهمهم بالشرك لتقديرهم للنبى ، حتى ولو كان ذلك تكليفا من الله عز وجل أو أمرا من أوامره .

وهذه الحركة غير العاقلة تدل دلالة قاطعة على حجم استشعار رشاد خليفة لجثامة العقبة التى وضعتها شخصية النبى فى طريق ادعائه للنبوة ، وعلى عجزه الكامل فى التغلب عليها ، فلم يبق أمامه الا النيل منها على طريقة الضعفاء والمهزومين .

والعقبة الرابعة على طريق التنبؤ : هى الأزهر مسجدا وجامعة ، ورجالا ومساجد ، وعلماء وفقهاء .

قلنا فيما سبق : ان الأزهر فى هذه الأيام الأخيرة على الأقل ، مسئول بكل طاقاته وهيآته عن أمور فى غاية الأهمية والجلال .

منها : رفع وعى الأمة الاسلامية بالتوحيد ، وتبصيرهم بالعقيدة الصحيحة ، وشغل وجدانهم بالفكر الواعى للاسلام الحنيف من خلال فهمهم لكتاب الله عز وجل ، وسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم ، وآثار الأمة ، وما سجله التاريخ الثبت عن تطبيقات السلف الصالح للاسلام .

ومنها : رفع وعى الأمة بالأسلوب الأمثل لتطبيق شرع الله عز وجل فى علاقاتها بالله سبحانه ، وما يتبع ذلك من مراعاة شئون العباد ، وما يطبع الحركة الانسانية فى هذه الحياة بالتقدم والنشاط معتمدين فى ذلك كله على نصوص الاسلام الصحيحة ، وآثاره الباقية على الدهر كله وأعلاها القرآن كلام الله الذى لا يخلق على كثرة الرد ، ولا ينعدم مدده وآثاره ، وهبته ومعطياته مهما تقدم الزمن أو طالت الأيام .

ومن وظائف الأزهر التى يقوم بها ، أو التى ينبغى أن يقوم بها رصـــد حركة أعداء الاسلام فى كل مكان ، تلك الحركة المضادة لهذا الدين ، الحريصة كل الحرص على اتيان بنيانه من القواعد ، حتى يخر سقفه على أصـــحابه ومعتنقيه فيصبحون أثرا بعد عين ، وخبرا يتناقله الرواة والمؤرخون ، وما هم ببالغى ما يريدون « **يريدون أنْ يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أنْ يتم نوره ولو كره الكافرون** »(١) « **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** »(٢) .

علم رشاد خليفة وغيره أن وظيفة الأزهر تدور حول هاتين النقطتين : شرح الاسلام عقيدة وشريعة لأبنائه ومريديه ، والدفاع عنه بكل قوة فى وجه شانئيه ومبغضيه .

والأزهر حين يقوم بمهمته اذا قام بها على أكمل وجه يكون بمثابة معول هدم حاد وثقيل ، يقوض كل فكرة ضالة ، ويكبح جماح كل منحرف حقود .

وعلم رشاد خليفة ومعاصروه والسابقون عليه ، أنه لا قبل لهم بالأزهر ورجاله اذا هم قاموا بمهمتهم ، وباشروا مسئولياتهم لسبب بسيط ، وهو أن الأزهر يشرح الحق ويدافع عنه ، والحق أبلج قوى له فى النهاية الغلبة ، وله من الله النصرة والتأييد « **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفـــع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنـــة ولهم ســـوء الدار** »(٣) .

وأن أمثال رشاد خليفة يشرحون الباطل ويعمدون الى نصرته ، ويزيفون الحقائق ، ويهدفون الى تزييفها ، والباطل ظالم ، والدفاع عنه والتزييف من

---

(١) التوبة : آية ٣٢ .
(٢) الصف : آية ٨ .
(٣) غافر : الآيات ٥١ ، ٥٢ .

أجله غلو وطغيان ، ومن يفعلون ذلك يكونون غلاة وظالمين ، والله عز وجل يعطيهم الفرصة بامهالهم فترة من الزمن ، وكلما ازدادوا غلوا ، ارخت لهم العناية الالهية العنان ، علهم يرشدون ، فان لم يرشدوا هزمهم الله بسلطانه وأخذهم بيد عبـاده ((**والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين**))(١) ((**فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم ان كيدى متين ، أم تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون**))(٢) .

علم أعداء الاسلام كل هذا ، وأحاطوا به احاطة كاملة ، وقرءوا تاريخ الصراع بين الحق والباطل ، وعلموا أن المعركة بينهما معركة غير متكافئة ، فاتخذوا لأنفسهم اسلوبا يختلف عن أسلوب المواجهة ، هذا الأسلوب الجديد يهدف الى فصل الأزهر عن قاعدته الشعبية ، وعن أمته التى يعمل من أجلها، ولا بقاء له بدونها .

وكانت الخطة على نحو ما أشرنا سلفا تدور على محورين فى وقت واحد ، بحيث يكون المحور الأول : هزيمة كل ازهرى فى داخله ، ويجب أن يصطنع أعداء الأزهر كل وسيلة لتحقيق هذه الغاية اذ بدون انهزام الأزهرى فى داخله لا يمكن بحال من الأحوال أن تستقيم لأعداء الأزهر خطة ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يصل أعداء الأزهر الى ما يبتغون .

والمحور الثانى الذى ينبغى ان يدير اعداء الأزهر خطتهم عليه هو الفصل بين الأزهر والأمة الاسلامية فصلا تاما ان أمكن وفصلا جزئيا اذا أعياهم الفصل التام .

---

(١) الأعراف : الآيات ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٢) القلم : الآيات ٤٤ : ٤٧ .

وقد سمعنا فى الفترات الأخيرة والمعاصرة من زماننا نغمات جديدة لم نسمعها من قبل قط ، فشيخ الأزهر ان قال اتهم فى مقولته ، وان سكت وصمت اتهم فى صمته ، وان تقدم الى عمل ما نشطت الأقلام والألسنة لاتهامه فى حركته ، وان سكت ولم يفعل صبوا عليه اللعنات لسكونه وعدم حركته .

المهم على اية حال أن تتوالى اللعنات والشتائم ، وأن لا تهدأ الأيدى القابضة على الاقلام ، وأن لا تكف الالسنة عن النيل من شيخ الاسلام .

واذا شك المسلمون فى شيخهم الأكبر كان من السهل بعد ذلك التشكيك فى كل عالم من علماء الأزهر مهما كانت درجته ، ومهما بلغ فعله أو دوت كلمته .

انطلقت الدعاية توهم العامة أن الأزهر صاحب سلطة ، وتوهمهم أن كل انسان برىء من أى جرم يرتكبه ، أو تقصير يلم به ، وان مسئولية هذا كله هى على الأزهر والأزهريين ، أولئك النفر الذين أعطاهم الله سلطة التغيير فلم يغيروا ، والقدرة على اصلاح الأحوال ولم يباشروا مسئولياتهم .

والانسان غير المثقف معذور لأنه لا يدرى ان كان الأزهر سلطة ، أو انه لا سلطان له الا سلطان الكلمة والموعظة الحسنة .

والرجل العامى معذور من جهة اخرى لانه يغرر به بواسطة أشياء كثيرة ، فيقع فى الرذيلة أو المخالفات الأخلاقية التى تخالف الضمير والأخلاق والطبع المستقيم ، ثم يعود الى نفسه فتؤله نفسه ، ويعود الى قلبه فيذكره بربه ، ويوشك ان يأخذ فى اسباب التوبة ، فيدركه هؤلاء ويقولون له : لماذا هذا الحزن الذى الم بك ، ولماذا هذا الألم الذى انصب على نفسك ، ولماذا هذا الندم وكيف استسلمت له ؟ .

انك لم تخطىء ، ولكن اخطأ غيرك ، وانك عن هذه الخطيئة غير مسئول ، ولكن سيسأل الله غيرك .

وهم يوقعون فى اذهان شباب الأمة بالذات من بين سائر الخلائق أن الأزهر صاحب بدعة ، خاصة فى مجال العقائد ، وأنه صاحب هوى خاصة فى مجال التشريع ، وأنه صاحب منفعة خاصة مع أرباب السياسة وقادتها .

ويذكرنى هذا الموقف بما فعله جولدتسيهر اليهودى من قبل عن محاولة غير كريمة ولا شريفة ، انخدع بها بعض علمائنا ، وتاب منهم من تاب فرجع عن متابعة ذلك اليهودى ، واستمر منهم من استمر على موقفه ، فعصى ربه ، وخالف ضميره ودينه .

وكانت هذه المحاولة التى نذكرها فى تلك المناسبة هى موقف جولدتسيهر من شيخ المحدثين ابن شهاب الزهرى ، لقد رماه ذلك اليهودى المجرى بأنه **أولا :** يعلم أبناء الأمراء الحديث والفقه والدين ، واعتبر هذه نقيصة يذم بها ، ولا ندرى ما الذى كان يرضيه بديلا لتعليم الزهرى أبناء الأمراء والخلفاء ؟ واتهمه **ثانيا :** بأنه ينصح للخلفاء والعظماء ، ويذكرهم بالله ودينهم ، واعتبر ذلك عيبا فيه ، ولسنا ندرى ما الذى كان يريده جولد تسيهر ويبتغيه ؟ . واتهمه **ثالثا :** بأنه يضع الحديث ويكذب على رسول الله مجاملة للخلفـاء والأمراء(١) .

نذكر هذا كله بهذه المناسبة ، فنجد الخط هو نفس الخط ، والاتجاه هو عين الاتجاه مع اختلاف فى الأسلوب وفى طريقة الأداء .

ورشاد خليفة حين يدرك أن الأزهر عقبـة فى طريق تنبئه يحاول أن يشكك الأمة فى أزهرها بنفسه أو بواسطة معاونيه ، ويتنبأ بأن الأزهر سوف يجر على مصر البلاء ، وعلى الأمة العربية بعدها النكال والوباء ، وأن ذلك

---

(١) انظر العقيدة والشريعة فى الاسلام — جولدتسيهر ، والسنة ومكانتها فى التشريع — مصطفى السباعى ، وراجع عرضنا للمسألة وتعليقاتنا عليها فى كتاب « الاسلام واستمرار المؤامرة » مرجع سبق ذكره .

لن يتعدى سنة ١٩٩٠ م — كذا — وأن بشائر الخراب وطلائعه قد بدات حين جفت منابع النيل ، ثم كأنى به يجزم أن النيل لن يعود بعد الى الجريان بنعمة الله فى أرض مصر ، أو فى غيرها مما أراد الله له أن يجرى فيها من البلدان .

وشاء الله أن يجرى النيل ، وشاء الله أن تسترد الأمة ثقتها فى أزهرها فى نفس الوقت الذى أعلن فيه رشاد خليفة أنه خاتم المرسلين .

استشعر رشاد خليفة ومن هم وراءه هــذه العقبات امامهم فحاولوا ازاحتها من طريق رشاد خليفة ، ولو بأسلوب الخداع والتضليل .

« وما ربك بغافل عما يعملون » .

وجملة القول بعد هذا كله أن السنوات التى مرت قبل أن يدعى رشاد خليفة ما ادعاه ، كانت كلها محاولات لا تهدأ لازالة العقبات والصعوبات التى راى رشاد خليفة ، وراى من هم حول رشاد خليفة أنها ستحول بينه وبين ادعاء النبوة ، ولابد لها من ازاحة .

الأرض المقدسة والحرم الآمن

لكل نبى من الأنبياء بلد يولد فيه وينشأ بين أهله وذويه ، يعرفه ميه .ومه ، يعرفون منه خلقه وسلوكه . ويعرفون منه قوله وفعله . يبقى معهم فترة ما قبل البعثة يخالطهم ويخالطونه ، يتعرف اليهم ويتعرفون اليه ثم يوحى اليه فى هذا البلد بين قومه وعشيرته ويبدأ فى دعوته بالمقربين اليه « وانذر عشيرتك الأقربين »(١) .

فاذا ما أنذرهم وبشرهم ودعاهم واستنفرهم الى الهدى والحق استشهد على صدقه من بين ما يستشهد بتاريخه الماضى وحياته السالفة وتحداهم بهذا التاريخ وتلك الحياة من بين ما يتحداهم به « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون »(٢) .

وما علمنا فى تاريخ الأنبياء نبيا أرسله الله فى غير قومه ، وما علمنا أن نبيا من الأنبياء أرسله الله بغير اللسان الذى يتحدث به أهله وذووه « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم »(٣) .

ومن المعقول المفهوم أن الرسول يرسل فى بلده والى قومه وعشيرته حيث يتحداهم بتاريخه وماضيه ويبين لهم عما يريد بلسانهم الذى يفقهونه ويفهمونه .

فاذا ما صده قومه عنادا ووقفوا منه موقفا مناوئا بعد أن عقلوا عنه وفهموا ما يقول كتب الله له ان يهاجر كما فعل الحبيب محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

---

(١) الشعراء : آية ٢١٤ .
(٢) يونس : آية ١٦ .
(٣) ابراهيم : آية ٤ .

غير اننا لم نعلم نبيا من الأنبياء هاجر من قارة الى قارة ولكن قصارى ما علمناه أن النبى هاجر من بلد الى بلد آخر قريب منه يتحدث بلغته ويسهل عليهم أن يتعرفوا على تاريخه .

فاذا ما تمت الغلبة للرسالة وانتشرت ربما جعل الله عز وجل نوعا من الرابطة من خلال العبادة التى تربط النبى واتباعه ببلد من البلدان غالبا ما تكون مسقط رأس النبى الذى أرسل الى هذه الأمة .

ويطلق على هذا البلد اسم البلد المقدس .

فاذا ما حرم الله شجرها ومنع المسلمين من قطعه واقتلاعه واذا ما حرم الاعتداء فيها على الانسان والحيوان واذا ما طلب الله عز وجل طلبا تكليفيا أن يكون كل من دخل هذا البلد آمنا على نفسه سمى هذا البلد لذلك كله بلدا حراما وكل من دخله كان آمنا .

من هــذا القبيل كان الحرم المكى قد تعلق به أمر تكليفى ففيه البيت الحرام وسائر المناسك والمشاعر واليه تهفو قلوب المسلمين وترحل اليــه اجسامهم وارواحهم لأداء مناسك الحج والعمرة والى هذا البيت العتيق تتجه مشاعر المسلمين خمس مرات كل يوم وليلة فى الفريضة وحدها . وفى البلد الحرام لا يجوز أن ينزعج حيوان أو انسان بل ولا يجوز أن يقتلع شجرة أو يناله الأذى ومن اعتدى على ما فيه أو من فيه لزمته كفارة محددة بالتفصيل فى كتب الفقه الاســلامى .

وأرض الهجرة طيبة أو المدينة التى شرفها الله بهجرة النبى اليها واقامته فيها ودعوة الناس منها ثم انتهت حياته الدنيوية ودفن بأرضها .

المدينة التى هذه صفتها قد حرمها النبى بالسنة فاذا كان الله قد حرم مكة فان النبى قد حرم المدينة والنبى لا ينطق عن الهوى وانما كل ما يصدر عنه وحى يوحى .

فكانت المدينة مقدسة وكانت المدينة حرما آمنا كما كانت مكة مقدسة وكما كانت مكة حرما آمنا .

وفى اعتداءات أعداء الاسلام على الاسلام وفى تخطيطهم للنيل من الاسلام والمسلمين رأوا أن هذه البلدان المقدسة سببا قويا من أسباب قوة المسلمين ووحدتهم وتنادوا بهذا البيت فى مجالسهم التشريعية وبينوا انه لا سبيل الى الغلبة على المسلمين الا بفك وحدتهم وتشتيت قوتهم ولا يتأتى ذلك الا بصرفهم عن أسباب تلك الوحدة وعوامل تلك القوة ومن اهمها التفافهم بالقلب والوجدان حول البلد الحرام .

والمتأمل فى تاريخ المتنبئين فى العصور الحديثة يجد أن بينهم نقطة واحدة تعد هدفا مشتركا هى النيل من البلد المقدس للمسلمين .

ففى تاريخ القديانية كان على قائمة الأهداف وعلى رأس المهام التى كلف القاديانى بتنفيذها صرف المسلمين عن هذا البيت الحرام وايجاد البديل الذى يحل محل البيت العتيق فكانت الدعوة الى قاديان البلد المقدس الجديد .

وصفق المستعمرون الانجليز يومها لهذا المطلب واعتبروه مطلبا حضاريا ونقروا على الطبول بقوة وحمسوا الشباب الهندى من غير المسلمين بدافع النعرة القومية والاعتزاز بالوطن(١) .

ونحن حين نتأمل ديانة اخرى من الديانات المعاصرة سنجد الشىء نفسه .

اننا حين نتأمل الديانة البابية والبهائية من بعدها سنجد أن هناك هدفا من الأهداف المعتبرة فى الديانة البهائية بل قل انه من أوائل اهدافها هذا

---

(١) راجع تفاصيل هذه الفكرة فيما ذكرناه فى كتابنا القاديانية ومصيرها فى التاريخ .

الهدف وهو : تحويل المسلمين حين يدخل المسلمون فى البابية والبهائية عن قبلتهم فى مكة وجذبهم الى حيفا بأرض فلسطين المحتلة(١) .

ولعلى قد استطعت من خلال ما قلت أن اشرح أمرين :

اما أحدهما : فهـــو الابانة عن حقيقـــة ومعنى البلد الحرام أو البلد المقـــدس .

واما ثانيهما : فهو الابانة عن أن محاولة صرف أنظـــار المسلمين عن الحرمين الشريفين كان ولا يزال مطلبا خبيثا لفئة ضالة تتلوها فئة ضالة ويقف وراء الجميع اناس يخططون لهذا الضلال ويغذونه بأفكارهم .

وحين يصل بنا الحديث الى هذا المتنبى الجديد الذى اســـتشرف من توسان وأطل برأسه الشيطانى من مسجد الضرار المقام على أرضها هنـــاك وراء المحيطات لا نجد الا الشيء نفسه انه يريد أو يراد له أن يصرف المسلمين عن الحرمين الشريفين مهبط الوحى ومستقر جثمان النبى والمكان الذى أقيمت عليه الكعبة المشرفة وبلد الشعائر والمناسك التى تجمع قلوب المســـلمين ومشاعرهم حولها .

أراد رشاد خليفة أو اريد له أن يصرف المسلمين عن الحرمين الشريفين وما أظنه الا مندحرا خاسرا كما اندحر من كان قبله وخسروا .

وكنت اتساءل قبل أن ينكشف الأمر وينجلى ترى ما هو البلد المقدس وما هو الحرم الآمن الذى سيجعله رشاد خليفة بدلا من مكة والمدينة ؟ .

وكنت أظن أن الرجل سيتخذ من مسقط رأسه ومدرج طفولته حرما آمنا للناس وبلدا آمنا للأمة باعتبار انه متنبى وان بلده الذى ولد به ونشأ فيه هو البلد الآمن الحرام وانه سيرسل الى قومه بلسانهم .

---

(١) انظر للمؤلف : البهائية وسائل وغايات مرجع سبق ذكره .

ولكن رشاد خليفة يعرف قبل غيره أنه لو ادعى ذلك فى بلده الكبير مصر للفظته مصر كما تلفظه الآن ولألقت به فى يم الغضب حتى لا يعرف كيف يميز بين أطرافه .

ورشاد خليفة يعرف قبل غيره انه لو ادعى ذلك فى بلده الخاص كفر الزيات لاعتبروه معتوها أو ابله ولوجدوا انفسهم فى حالة من الخجل لا يمحوها عنهم الا ان يتوارى أحد ابنائهم — الذى فجر عن أعينهم — الى الأبد ليسبح فى الجحيم الى أن تقوم الساعة .

كنت اتساءل قبل ان تنجلى الأمور ترى ما هو البلد المقدس وما هو الحرم الآمن الذى سيجعله رشاد خليفة بدلا من مكة والمدينة ؟ .

وبينما انا اتساءل بينى وبين نفسى رايت بعض العبارات لم أكن افهم لها معنا ولا ادرك لها مغزا سوى انى ظننت ان رجلا اقام فى بلد وله فيها مطامع وفى شخصيته ضعف فلم يكن أمامه الا أن ينافق أهله .

كنت اقرا عبارات رشاد خليفة حين كان يمتدح البلد الذى أقام فيه عام انه رجل المت به ظروف الجأته الى النفاق كما يضطر من يتصفون بالنفاق الى النفاق .

ومن هذه العبارات التى كنت اقراها على هذا الفهم أجتزأ لك ولى ولنا هذه العبارة : من خطاب وجهه الى عميد كلية اللغة مؤرخ ٧ جمادى الثانية ١٤٠٨ هـ — ٢٦ يناير ١٩٨٨ م وفيه يصف أمريكا بأوصاف العزة والفخار ذلك لانها استقبلته واستقبلت رفقاءه بالعزة والاكبار وانصاره يقول مخاطبا عميد كلية اللغة العربية « ... ولعلك استلمت عدد شهر فبراير من مجلتنا « الاسلام الحقيقى » ولعلك قرأت أول مقالة فى سلسلة المقالات التى يكتبها الدكتور احمد صبحى اسم على مسمى منصور أنها أول مقال يكتبه فى أرض الحرية التى من الله علينا بها ... » .

ثم يؤكد رشاد خليفة أن الحكومة الأمريكية تبذل له جميع التسهيلات كلما اراد منها ان تقوم له بتسهيل شيء اعترضه أو تذليل عقبة قابلته ، ويختم الخطاب بمقابلة بين أرضه ووطنه وأرض أمريكا ووطن أهلها وذويها يحط فيها من شأن بلده بشكل لم نر له نظيرا قبل . وأظن أننا لن نرى له بعد ذلك نظيرا أو شبيها .

وان ابرز ما استوقفنى استحسان رشاد خليفة لصفة من الأوصاف الكثيرة التى وصف بها الأرض الأمريكية وأخذ يكرر هذه الصفة كلما اتيحت له فرصة للتكرار .

ان الصفة التى أعجبته هى أن أمريكا أرض الحريات .

فهل يدرى رشاد خليفة ما المقصود بأرض الحريات وما معنى الحرية حين تطلق كلمة الحرية فى الغرب ؟ أم أنه يدرى معناها ويقف على حقيقتها ، ولكنه يحاول ان يموه علينا وعلى غيرنا كما هو الشأن والحال فى جميع قضاياه ؟ ! .

على أية حال ، فان معنى الحرية حين تستعمل الحرية فى الغرب انما يفهم فى اطار المذهب الديموقراطى ، ومن خلال قراءتنا لفلسفته الخاصة .

والمذهب الديموقراطى يؤمن ، بل يدافع عن الحريات الأربع المشهورة وهى الحرية فى الاقتصاد ، بمعنى أن يكون الانسان حرا فى المال كسبا وانفاقا والحرية فى السياسة بمعنى أن للانسان الفرد حقا فى اختيار من يمثله ودورا فى انتخاب من يتولى أمر القيادة والرياسة ، وهى قبل ذلك وبعده له حق فى الاعتراض والتوجيه ، والحرية السلوكية ، بمعنى أن الانسان الفرد حر فى كل ما يأتى وما يدع ، والحرية الفكرية بمعنى أن للانسان الحرية فيما يقرأ ويسمع وله الحرية كذلك فيما يقول أو يكتب .

ونحن حين نتأمل هـــذه الحريات الأربع ، ونتأمل معها تاريخ المذهب الديموقراطى ، سنجد أن هذه الحريات اتخذت أساسا للقهر والاســتعباد والسيطرة على البــلاد والعباد ، وابتزاز الأموال والثمرات والنظر بعين الاحتقار الى الضعفاء والمحتاجين مما يعرف رشاد خليفة او لا يعرف .

فالحرية هنا ، حرية كاذبة خادعة ، انها فى الحقيقة حماية الدولة للأقوياء ومساعدتهم على قهر الضعفاء حتى فى عمق ديارهم .

والشىء الغريب أن رشاد خليفة نفسه حين ادعى النبوة فى أمريكا يرى أن سبب ادعاءه للنبوة ما هو الا هذا الظلم والفساد والطغيان والضــلال واستعمال الحرية استعمالا بشعا سيئا .

ولا ندرى ان كان رشاد خليفة يعقل ما يقول أم أنه أصبح لا يدرى من اقواله الصادرة عنه شيئا ، انه يعتبر المبدأ الواحد مصدرا للفخار ووعاءا للضلال فى نفس الوقت(١) .

والذى يظهر لى أن المتنبى الجديد لم يكن يدرى المعنى الحقيقى للحرية المستعملة فى الغرب ، ويظهر أنه كان يقصد بالحرية حرية التدين والاستقامة فيه ، أو عدم الاستقامة ، والسير فيه على طريق القدماء ، أو الابتداع فيه بقصد الشهرة وذيوع الصيت .

والذى يفتح ملف الديموقراطية ، لا يجد نصا صريحا على الحرية الدينية وانما قد تركها أصحاب المذهب الديموقراطى قاصدين الى تركها ، لأن الدين لا يخرج عن أن يكون فكرة أو سلوكا ، فأما الجزء الذى يتصل بالتفكير منه (وهو العقيدة) فهو مندرج بالقطع ضمن الحرية فى التفكير ، وأما الجزء العملى

---

(١) انظر الملاحق آخر الكتاب .

منه فهو مندرج فى حرية السلوك ولا داعى بعد ذلك الى النص على الحرية الدينيـــة(١) .

يظهر لى أن صاحبنا لم يكن يفهم من الحريات وأنواعها الا هذا اللون المتمثل فى الحرية الدينية وحدها ، وهو فهم أوقعه فى التناقض ، واظهره انسانا خاليا من الفطنة مجردا من لمحة ذكاء تميز الانسان عن غيره من الأحياء .

كنت اقرأ عبارات المدح الصادرة عن رشاد خليفة فى الماضى ، فلا أفهم منها كما قلت الا أنها عبارات صدرت عن رجل له ظروف خاصة ، فهو رجل ترك وطنه الى بيئة لا جذور له فيها ولا علاقات وهو رجل اسلم نفسه الى غيره ، فاهتزت شخصيته وضعفت وهو لهذين العاملين قد لجأ الى النفـــاق كما يلجأ اليه الضعفاء من الرجال والنساء .

وهو مضطر الى هذا النفاق كما يضطر اليه كل منافق يحتـــاج الى النفـــاق .

فلما رأينا تصريحاته الأخيرة علمنا أن هناك قصدا يراد لرشاد خليفة أن يحققه وهدفا يراد منه أن يصل اليه ، وهذا الهدف — على ما يظهر لى — هدف مزدوج ، يشتمل على نقطتين رئيستين ، : أما احداهما وهى الأهم ، فتتمثل فى تفكيك عرى الروابط فى المجتمع الاسلامى خاصة فى الوطن العربى وهو هدف يسعى اليه أعداء الاسلام منذ أن جربوا أثر المسلمين خصوصا بعد سقوط القسطنطينية فى يد المسلمين ، وهم يعملون من يومها والى الآن على الا يكون للمسلمين وحدة تؤلف بينهم وعلى الا يكون بينهم رابط يجمع بين قلوبهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

---

(١) راجع للمؤلف فصلا فى هذا الصدد تعرض فيه للحريات ونقدها فى كتاب « عقيدتنا وأثرها فى الكون والانسان والحياة » طبعة ١٩٨٥ م .

ورشاد خليفة كغيره قد جاء ليشارك فى تحقيق هذا الهدف فان نجح فيه كان نجاحه لأعداء الأمة وان هان وضعف كان عليه وحده هوانه وضعفه .

وأما ثانيتهما فهى محاولة نسخ الشريعة الاسلامية بأية وسـيلة من الوسائل ، وهى تمثل جزءا هاما من الهدف الكبير الذى يهدف اليه أعـداء الاسلام ، وحلقة من سلسلة طويلة قد أحكمت بعناية وقد بذل فى احكامها جهد الطاقة خاصة فى هذا التاريخ المعاصر .

دعوى النبوة ودواعيها :

مع أخريات عام ١٩٨٨ م خرج علينا رشاد خليفة بدعوته السـافرة والتى يؤكد فيها أنه نبى وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

وهذه الدعوى برغم أنها شائكة بالنسبة لهم وبرغم أنها دالة على جهله التام بالطريق الذى يسير فيه ، الا أنها قد أراحت المسلمين من عناء تفكير طويل ، خصوصا أولئك الذين انشغلوا أو شغلوا أنفسهم بقضية مسجد الضرار فى أمريكا .

استراح المسلمون وتنفسوا الصعداء ، لأن الجمل حين كان فى شهور الحمل ، كان ما فى بطنه مستورا غائبا ، فلما تمخض الجمل وولد فأرا أدركوا تفاهة الحمل وتفاهة اللقاح ، ورأوا انه ليس هناك جديد ينبغى أن يشغلوا أنفسهم به ، غير انه ينبغى قبل أن نقفل مصارع الأبواب ونطوى أوراق قضية رشاد خليفة يحسن بنا هنا ولو من باب السلوى وحكاية الطرائف والمضحكات لملء أوقات الفراغ لمن كان عنـده وقت فراغ نقف هنا وقفات متفرقات لنكشف الفصول الأخيرة فى تلك المسرحية الهزلية والتى كان بطلها للأسف رجلا معصوب العينين فارغ القلب من كل عاطفة صفر اليدين من كل رابطة تربطه بدين أو أهل أو عشيرة .

ادعى رشاد خليفة انه نبى وانه نبى العصر الجديد فى بلد من افضل البلدان بل هى افضلها على الاطلاق وهى أمريكا أحب بلاد الله الى الله وأحب شعوب الأرض الى رب العباد جل فى علاه وتلك عبارته : « **ان الله يحب أمريكا ، حيث تأسست أمريكا على أساس حرية العقيدة ، وان العملة الأمريكية هى العملة الوحيدة فى العالم التى كتب عليها شعار (نحن نعتقد فى الله) ، ففى أمريكا الناس يتمتعون بحرية أكبر من أى مكان آخر فى العالم ، وهذا هو السبب فى ان أمريكا هى أكثر أمم العالم حبا عند الله ، وان الحرية هى اعظم هبات الله ، وهؤلاء الذين ينكرون هبة الله يغضبون الله ويخرجون من نعمته .**

ان الله قد بارك أمريكا بسخاء حيث جعلها على قمة العالم اقتصاديا وزراعيا وعسكريا ومعنويا وادبيا .

الا ان أمريكا توجد فى العالم الجديد ولم يرسل اليها رسول معهود اليه من الله والعالم القديم قد أرسل اليه رسل كثيرون مثل : ابراهيم وموسى ويوسف ومحمد ولقد حان الوقت لمباركة خاصة وعظيمة تتمثل فى ارسال رسول من الله ليساعد أو يوجه أمريكا)(١) .

واظن أن هذه العبارات واضحة بذاتها لا تحتاج الى تعليق ، فأمريكا أحب بلاد الله الى الله والدليل على محبة الله لها أمران : أما الأول فهو أن دولارها وهو العملة الرسمية فيها قد نقش عليه شعار « نحن نعتقد فى الله ؟ ! » لقد أصبح الدليل على محبة الله شعارات زائفة تكتب على الأوراق أو تسطر على العملة كما يسطر تاريخ ميلاد الأطفال على عملة سيارة فى أعياد ميلادهم .

---

(١) من رسالة الى العالم بقلم المتنبى صدرت فى الانجليزية نقلها للعربية د. صلاح متولى العجيمى طبيب الفم والأسنان بدمياط .

انه لهو الهزل بعينه .

ومن ناحية اخرى فان المتنبى الجديد يستدل على محبة الله لأمريكا بكثرة ما عندها من اموال ، وباستعمالها للأموال فى تصنيع السلاح ، التسابق النووى ، مع القوة الأخرى المناهضة لها والتى اظن أن رشاد خليفة يجعلها فى المرتبة الثانية فيما يتعلق بمحبة الله للعباد ، برغم أنها دولة شيوعية لا تعتقد فى الله ولا تدين له بالربوبية .

اصبح المال اذن عند المتنبى الجديد هو المعيار الوحيد للقرب والبعد من الله عز وجل ، وفاته أن الله قد اعلن عن كذبه وكذب أمثاله فى القرآن الكريم **((وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون (٣٤) وقالوا نحن اكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين (٣٥) قل أن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون (٣٦) وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون (٣٧)))**[١] .

ونظائر هذه الآيات فى القرآن كثير ، وكلها تتحدث عن المعيار الصحيح والمعايير الزائفة التى يقاس اليها القرب والبعد من الله عز وجل ، والمعيار الصحيح دائما هو الايمان بالله عز وجل المتمثل فى مراقبته والخوف منه بحيث يظهر لنا هذا المعيار فى نقطتين احداهما ، عقيدة فى القلب وثانيتهما استقامة فى السلوك .

اما نقص المال وكثرته ، وأما رفع الشعار على العملة أو غيرها فهى امور لا يعرفها العقلاء فى موازين التحسين أو التقبيح .

ورشاد خليفة باعتباره نبيا جديدا لابد أن يواجه مشكلة السبب الذى من اجله جاء .

---

(١) سبأ : ٣٤ — ٣٧ .

والأسباب التى تلجىء الأمة الى نبى جديد تجتمع كلها فى سبب واحد هو أن الأمة قد انحرفت فى عقيدتها وتشريعها أو احدهما ، ولم تجد فى نصوص الرسالة الأخيرة لديها ما يصلح هذا الانحراف .

حينئذ لابد من نبى جديد .

والأمة الأمريكية التى تمثل العالم الجديد تقدما وحضارة ، ماالذى دعاها حتى تحتاج الى نبى ؟ لقد كنا نفهم من كلام رشاد خليفة أن هناك أمما قد انحرفت وضلت وسقطت فى حمأة الرذيلة سقوطا يوعوذها الى مخلص أو منقذ فى حين أن أمريكا قد ارتفعت وعلت بحيث لا تحتاج الى نبى وكيف تحتاج وهى أفضل بقاع الأرض عند الله ، وشعوبها أكثر الشعوب قربا منه ؟ ! .

أمام هذا الاعضال يتراجع رشاد خليفة ليؤكد أن أمريكا ضالة فى التشريع والعقائد .

فهى فى التشريع قد كثر فيها شرب الخمر ، وانتشرت فيها الجريمة ، وعمها السفه والتصرف فى المال بغير حكمة ... الى غير ذلك وغيره كثير .

وهى فى العقيدة مسكينة لا يعرف شعوبها لماذا خلقوا ، ولا يدركون معنى الحياة ، ولا حقيقة الأحياء ، وهم لا يعرفون اليوم الآخر ولا حقيقة الجزاء الأخروى ولا يدركون البعد الأخلاقى وأثره فى تسيير الشعوب نحو الفضيلة ونحو رضى الله ، وهم من أجل ذلك كله وكثير غيره قد احتاجوا الى نبى يأخذ بأيديهم الى طريق الرشاد .

يقول رشاد خليفة فى تعليله لارساله وتبريره لنبوته : **[... الا أن أمريكا توجد فى العالم الجديد ، ولم يرسل اليها رسول موحى اليه من الله ...**

ولقد حان الوقت لمباركة خاصة وعظيمة تتمثل فى ارسال رسول من الله

ليساعد او يوجه أمريكا فيسمو بقيمها الروحية والدينية ، وليبلغ البهم المعلومات الهامة والعاجلة ٠

وهذه الرسالة تعطى الاجابات الصحيحة لمعظم الأسئلة العـاجلة والهامة ، وتمنحهم حلولا نهائية لمشاكلهم المستعصية ، والتى فيها اسـباب الخلاص من الأدواء الاجتماعية مثل الكحوليات ، والجريمة ، والفقر ، وتفاقم مشاكل الاسكان ٠

انها تقدم الاجابات والحلول للمشاكل الاعتقادية والفكرية نحو :

١ — الدليل الطبيعى المباشر الأول الذى يثبت صحة رسالة الرب للعالم الجديد ٠

٢ — من هو الرب ؟ لمحة من عظمة الرب ٠

٣ — السر الحقيقى للسعادة الكاملة فى الدنيا والآخرة ٠

٤ — معنى الحياة : ولماذا خلقنا ؟

٥ — الى اين نحن ذاهبون ؟ وماذا سيحدث على وجه اليقين فى يوم القيـامة ؟ ٠

٦ — لماذا تحدث المآسى ؟

٧ — متى تقوم الساعة ؟ (١) ٠

اقتنع رشـاد خليفة او اقنع نفسه بأنه أصـبح بذلك رسولا نبيا ، وان رسالته ونبوته قد اكتملتا بما أعلنه ٠

وما اعلنه مبررا لرسالته ما هو الا مجموعة من المشاكل المعاصرة فى أمريكا وما هو الا مجموعة من الفراغ الفكرى لقلة قليلة من الناس توجد فى كل عصر ويحتوى مثلها كل قطر ٠

---

(١) من رسالة رشاد خليفة للعالم ٠ ترجمة د٠ صلاح العجيمى انظر الملاحق آخر الكتاب ٠

وهنا يجب علينا أن نطرح سؤالين ، نحسم بهما الموقف حسما كليا أو جزئيـــا .

واول هذين السؤالين هو : ان هذه المشاكل كائنة بالفعل ولها واقع يعيشه بعض الناس ولكن هل هذه المشاكل وامثالها ليس لها حل فى الشرائع السابقة خاصة فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم حتى نحتاج الى شريعة جديدة ؟

وانى لواثق كل الثقة من أن رشاد خليفة لن يملك من القوة التى تمكنه او تؤهله من أن يجيب على هذا التساؤل بالنفى ، أى أنه لن يملك مهما اوتى من قوة الجدل أن يقول : ان الشريعة التى جاء بها سيدنا محمد ليس فيهـــا الحل لهذه المشاكل وليس فيها العلاج لتلك المعضلات .

واما السؤال الثانى فهو : اننا نفترض جدلا أن الشريعة التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم لم تعد كافية لحل تلك المعضلات الامر الذى أحوج العالم الجديد الى نبى جديد لكى يأتى بالعلاج الناجع لحل تلك المشاكل ، ونحن نطالب المتنبى الجديد بالحلول الجديدة ، فهل هو يملك حلا يخالف ما فى شريعة الاسلام ، وهو فى الوقت نفسه افضل من جميع الحلول التى جاء بها الاســـلام ؟

الى الآن لم يعرض رشاد خليفة حلا واحدا حتى نتمكن من فحصه ، والنظر فيـــه .

وانى لاقول متحملا لمسئولية ما اقول أن رشاد خليفة وامثاله ومن هم وراءه ليسوا بقادرين على عرض الحلول للمشاكل التى اثاروها بعيدة عن روح الاسلام ، فليقبلوا هذا التحدى وليعرضوا علينا تفاصيل الرسالة الجـــديدة بشىء من الشجاعة حتى ينظر فيها العقلاء ، وانا لمنتظرون ، وما هم بفاعلين .

اما آن للعصابة ان ترتفع عن العيون :

من المضحكات المبكيات فى نفس الوقت أن ترى انسانا يسير فى طريق يدعى انه يدركه ويعرفه وانه على بصر كامل بمعالمه وأدربه وما يتصل به ، ثم يسير فيه بثقة كاملة وعلى يقين تام وانت تسير معه قد أسلمت له القياد واطعته فى كل اشـــارة او قول وانت على يقين تام من أنه لابد بالغ بك الى ماتريد فى هذا الطريق التى تقطعانها معا ، ثم تفاجأ بأنه لا يستطيع أن يحرك قدما الا بسؤال ، ولا يلتفت الى يمين أو يسار الا باستشارة حين ترى منه ذلك وتجده مصرا على ما اخبرك به من انه خبير بهذا الطريق بصير بها لا تجـــد نفسك الا ضاحكا من فعله أو باكيا على قصور عقله .

ان ما حدث لرشاد خليفة لا يخرج عن هذه الصورة المحسة التى رسمتها لك . لقد تأملت حركته فيما يقول أو يكتب فوجدته فى سنة ١٩٨٢ م يؤكد أن النبى صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين وكل ما فى الأمر أن السنة التى نسبت الى النبى صلى الله عليه وســـلم هى فقط من عمـــل الشـــيطان .

ولا اظن ان التصريح بأن النبى محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين قد ورد فى صلب الكتاب الذى أعد لاعلان أن السنة التى نسبت الى النبى هى عمل بشرى بحت دفع الشيطان الناس اليه دفعا ، والتصريح بأن النبى محمد هو خاتم الأنبياء انما جاء فى المقدمة وهى الوحيدة من الكتاب كله على ما يظهر لى التى كتبها رشاد خليفة من عند نفسه كتبها وهو فى منتصف الطريق ولم يكن يعلم أنه يناقض آخره(١) .

---

(١) راجع مقدمة (القرآن والحديث والاسلام) من هذا الكتاب فى الفقرة المعنونة كتاب يرصف فى الأغلال .

وانى لأزيد ما اكدته بيانا وايضاحا بفقرة قد وجدتها فى خطاب لرشاد خليفة وقع عليه بخطه واخبر فيه ان النبى محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين وهذا الخطاب الذى انقل منه لم يسبق ادعاء رشاد خليفة النبوة الا بأشهر قلائل ، يقول متحدثا عن احمد صبحى ومدافعا عنه **[وقد وفق الله سبحانه وتعالى الدكتور احمد صبحى منصور الى اكتشاف الانحرافات والبدع التى جعلت اسلام اليوم مختلفا تماما عن الاسلام الذى دعا اليه خاتم النبيين محمد ...]**(١) .

ان الذى يتأمل هذه المواقف ويدرك حركة رشاد خليفة خصوصا بعد ان وصل فى الطريق الى نهايتها ليدرك تماما أن رشاد يسير فى طريقه سيرا آليا تماما كما يتجاوب الكمبيوتر معجزة عصره حين يبرمج له الانسان ثم يستدعى المواد المبرمجة على شاشة الكمبيوتر فلا يمتنع الكمبيوتر ولايعصى للمستدعى أمرا .

وانصياع رشاد خليفة على هذا النحو يوقع فى القلب حسرة ، وفى الوجدان تساؤل « اما آن للعصابة ان ترفع عن العيون » .

ادلة المتنبى على مدعاه :

اعلن المتنبى انه نبى هذه الأمة ، وانه قد ارسل فى الأمة الأمريكية خاصة على ان تكون دعوته ذات اتجاهات بحيث تنطلق فى كل مكان ، متخذة من العالم المتحضر مركزا لها .

ومن المعروف ان مثل هذه الدعوى ذات حجم عريض ، وذات اثر خطير ، الأمر الذى يجعلها تحتاج الى ادلة تثبتها ، وآيات تؤكد صلة هذا المتنبى بالله عز وجل .

---

(١) من خطاب رشاد خليفة الى عميد كلية اللغة العربية بتاريخ ٩ يناير ١٩٨٨ م .

وقبل أن نعرض أدلته ، ونناقش كل دليل منهـــا ، يستحسن أن نمر مرورا سريعا على بعض الادلة والطرق التى عرفنا من خلالها صدق الأنبياء والرسل المبلغين عن الله ، والتى ساعدتنا من جهة اخرى على كشف زيف المتنبئين قبل هذا المتنبى فى مسجد توسان .

نشير هنا اشارات عاجلة وسريعة الى بعض الآيات والعلامات التى ابانت لنا عن صدق الأنبياء وزيف المتنبئين ، لتكون مشعل هداية نميز به بين ما اذا كان مسجد توسان قد احتوى على نبى للشيطان(١) ارسله الى اعوانه من الانس بقصد اضلال الناس ، أو هو نبى الله يبلغ عنه كلمته .

ولقد ميزت الأمم قبلنا كما ميزت أمة محمد صلى الله عليه وسلم صدق الأنبياء من كذب المتنبئين بمساعدة وسائل وادلة وعلامات ، ونحن نجتزىء من هذه العلامات ما يلى على سبيل المثال .

١ — تاريخ الأنبياء دليل على صدقهم فى الرسالة :

والمتأمل فى تاريخ كل نبى يفجأه امر هام ، وهو أن تاريخ النبى يحتوى على جانب من الأخلاق غاية فى الكمال البشرى ، بحيث يبدو للناس — سواء المؤيد منهم والمعارض لفكرة النبـــوة — أنه درب من الاعجاز المعجز الذى لا يقوى الرجل العادى على ان يأتى بمثله فى هذا المجال ، أو ينهج نهجه فى هذا السلوك أو ذاك ، مما يتصل بالأخلاق اتصالا مباشرا أو غير مباشر .

---

(١) هذا مصطلح قد استعمله قبلنا صديق هذا المتنبى الكذاب بعـــد خلاف صورى فيما نعلم وقع بينهما واجتزأناه من رسالة بالانجليزية كتبهــا احمد صبحى يزعم انها فى الرد على رشاد خليفة ، ونحن نتمنى لعباد الله الهـــداية .

والمتأمل فى تاريخ النبى محمد بتمامه وهو تاريخ محفوظ يجد أنه فيما قبل الرسالة كان له تاريخ حافل شهد به الأعداء قبل الأصدقاء ، وأشهدهم النبى نفسه على تاريخه محتكما اليه ، بعد أن قطع فترة الشباب كلها ، وما قبلها من مراحل العمر .

لقد جمعهم جميعا وهــو فى مكة حين أمره ربه أن يصـــدع بالرسالة ويعلنها ، جمعهم جميعا وهو على جبل أبى قبيس ، ثم طرح عليهم الثقـــة بنفسه حين قال لهم وهم مجتمعون — لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الوادى تريد أن تدهمكم أفكنتم تصدقوننى — .

وهذا عرض شيق لتاريخ النبى كله كى يحكم عليه الناس جميعا من المخالطين له والمؤيدين فى هذا البلد الأمين ، وطرح للثقة بالنفس على قوم قد كلف أن يبلغهم أمر السماء ، وخبر الوحى .

لقد نزع الجميع عن قوس واحدة وهم يعطون النبى ثقتهم فيه ، واختاروا الى ذلك التعبير الذى لا بديل عنه حين قالوا : — ما جربنا عليك كذبا قط — قالها أعداؤه وأصدقاؤه ، وقالها محبوه ومبغضوه — ما جربنا عليـــك كذبا قط — أنها الكلمة التى تبرز أخلاق النبى باعتبارها ضربا من الاعجاز ، ومن منا تمر عليه أيام الصبا بتمامها ، وأيام الشباب بطاقاته دون أن يكذب مرة واحدة ، من منا يقضى من عمره ثلاثة وأربعين عاما من غير أن يكذب أو تحدثه نفســـه بكذب ؟ .

ليس هذا الا لمن أعده الله للنبوة ، فالنبوة لها اعداد خاص يشير اليه نحو قوله تعالى : « واصطنعتك لنفسى » وقوله : « ولتصنع على عينى » ، وقوله : « فانك بأعيننا » . وقوله : « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » . وقوله : « ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك » .

آيات كثيرة كلها يدل دلالة قاطعة على أن الأنبياء يعدهم الله اعــدادا خاصا ، ثم يشـهد لهم بحسن الخلق ، بل بعظمته ورفعته من نحو قوله تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » .

ولم يفعل الله معهم ذلك الا لأمرين فيما أعلم ، والله بذلك أعز وأعلم .

الأمر الأول : ان هذه الحياة خاصة ما قبل البعثة تكون شاهد صدق ، وآية ناطقة بصدق هذا النبى حين يدعى هذا النبى أنه مرسل من ربه .

وهذا ما يشير اليه نحو قوله تعالى : « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ، لقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » .

الأمر الثانى : ان الله عز وجل قد جعل الأنبياء قبل النبوة على كمال الأخلاق ، ليلائم بين شخصيتهم ، والطابع العام للوظيفة التى سيقومون بها .

ان وظيفتهم التى سيقومون بها هى اصلاح البشر ، وتعديل الظـــاهرة الاجتماعية ، وردها الى استقامتها بعد اعوجاج .

وهذه الوظيفة لا يكفى فى أدائها أن تكون الوسيلة الى الاصلاح اقناعا واقتناعا ، ولا يكفى فى أدائها أن تكون الوسيلة اليها جذبة عاطفية ، أو اثارة وجدانية ، أو تحريك الأشواق الى غاياتها المنشودة .

لا يكفى هذا ولا يكفى ذاك ، وانما لابد مع هذا وذاك أن يكون الداعى قدوة فيما يدعو اليه من حسن الخصال ، وجمال الشيم والفعـــال ، وكريم الخلائق والخصال .

وتاريخ النبى قبل النبوة داخل ولا شك فى مقومات شخصيته ، من غير أن ندخل هنا فيما يثيره المشاغبون من جدل فكرى مستغلين بعض تعبيرات القرآن الكريم من غير فهم لها أو وعى بحقائقها .

ان مما لا شك فيه أن اى مصلح اجتماعى فضلا عن النبى لا يتمكن من

أداء وظيفته اذا كان له ماض يلاحقه ، أو تاريخ يطارده ، أو حاضر يعرقل مهمتـــه .

انها قضية تشبه أن تكون من البدهيات الاجتماعية ، وأوائل ابجديات الحركة الاصلاحية ، وما لها من طبيعة ومستلزمات .

وننتهى من هذه الحقيقة الى ما قلناه قبل وهو : ان تاريخ الأنبياء دليل قوى على صدق ما يدعون .

٢ — المعجزة دليل آخر على صدق الأنبياء :

ان كثيرا من العقلاء ، بل ان الأغلبية الساحقة من الذين يفقهون يكتفون باستعراض تاريخ مدعى النبوة للتمييز بينهم ، وبين المتنبئين الذين يفترون الكذب على الله عز وجل ، ويدعون أنهم يوحى اليهم ، ولم يوح اليهم بشىء .

غير أن هناك مجموعة ممن يشاهدون النبى لا يكفيهم استعراض تاريخ النبى ، وانما هم يحتاجون الى معجزة مادية تقنعهم ، ويحتاجون الى آية طبيعية تثبت لهم صدق نبيهم .

والمعجزة أو الآية الطبيعية ، معناها أن يكون هناك شىء ما ، أو قانون بعينه قد اكتشف ، ويعرفه الخاصة والعامة ، يعرفه الخاصة فى صورته النظرية ، وتطبيقاته العملية ، ويعرفه العامة بادراك آثاره والتعامل معه تعاملا يدل على فهمهم له ، وادراكهم لتطبيقاته ، وان كانوا لا يعرفون صورته النظرية .

يأتى النبى فى أمة من الأمم ، وحين يطالبونه بآيات صدقه يخرج له الله عز وجل قانونا من القوانين المعروفة غاية المعرفة عن طبيعته ، ولا يرتب عليه آثاره ، بل يرتب عليه آثارا عكس ما كان يترتب عليه من الآثار مع توفر الظروف المهيأة لعمل القانون .

وهذا كلام نظرى يؤكده ما فى القرآن من الأمثلة الكثيرة لمعجزات الأنبياء المادية ، مثل ان ينفلق البحر لموسى ، أو تنقلب عصاه حية تسعى ، ومثل أن ينشق القمر للنبى صلى الله عليه وسلم ، ومثل أن يوضع ابراهيم فى النار فلا تحرقه النار مع احراقها لما حوله ، ومثل أن تمر السكين على رقبة اسماعيل فلا تقطع ... امثلة كثيرة ومتعددة لأفعال يجريها الله على يد أنبيائه لتكون آية صدقهم .

ونحن نعلم ان لله عز وجل نوعين من أنواع الفعل :

نوع نسميه : سنن الله الجارية : وهى الأفعال التى تجرى على قانون خلقه الله لها ، لا تتخلف عنه ولا تبارحه .

وهذا النوع من الأفعال اتخذ منه العلماء دليلا على عناية الله وحكمته ، فالحكيم أو الذى يصنع على علم وحكمة يأتى فعله منظما ، ومحكما ، وعلى هذه القاعدة جاء الكون منظما ومحكما ، فدل على أن خالقه عالم حكيم .

والنوع الثانى : نسميه سنن الله الخارقة : والواحد من هذا النوع لايتكرر مرتين ، فالنار مثلا لم تحرق ابراهيم ، ولم تتكرر هذه الظاهرة لغيره ، ثم قلبت العصا ثعبانا لموسى ولم يتكرر لغيره ، وانفلق له البحر ولم ينفلق لغيره ... الخ ، ذلك لأن تكرار الفعل من نوع واحد يجعله ينقلب من خارق للعادة الى سنة معتادة ، فيفقد دلالته ، ويتخلى عن المراد منه .

ودلالة هذا النوع من الأفعال والمراد منه أنه يكون علامة لتمييز الصادق من الكاذب فى مجال النبوات .

وهكذا يتضح ان للفعل المعجز دلالة ، وأن له حقيقة ومعنى ، وهو بعد تحقق معناه يكون له دلالة من دلائل صدق النبى .

٣ ـــ سير النبى فى دعوته على منهج الأنبياء دليل على صدق نبوته :

بقى أن نقول : ان من علامات صــــدق النبى فى نبوته أنه يأتى بمنهج لا يخالف به الرسالات قبله ، خاصة فى مجال الاعتقادات .

وناموس الأنبياء لم يرد الله له ان يكون سترا مستورا ، ولا أن تكون معرفته امتيازا خاصا لبعض الناس دون بعض ، ولم يرد الله عز وجل لهذا الناموس ان يظل فى طى الكتمان حتى يأتى فلان او فلان فيدركه أو يعيه .

ولكل طائفة من البشر مهمة ووظيفة ، نستدل عليها بآثارها ، وندركه بما تركه لنا أربابها .

فاذا قيل لى أن الشافعى فقيه كان على أن أدرس ما تركه من الآثار ، وأقيسه على ما تركه الفقهاء من مناهج وآثار ، فان كان يسير على طريقتهم فى تفكيره وفى أداء وظيفته كان فقيها ، والا لم نحكم عليه بأنه فقيه ، ويكون فى حكم الناس دعيا على الفقهاء مفتر عليهم .

وبمثل هذا المقياس نستطيع أن نحكم على الحاضرين أو الماضين فى مجال الطب ، والمعاصرين والغابرين فى مجالات الهندسة ، والمحدثين والقدماء فى مجال الطبيعة او علوم الأحياء .

وليس الرسل والأنبياء بدعا من هذه القاعدة ، وانما الرسل والأنبياء لهم ناموس بحيث نستطيع من خلاله أن نقيس دعوة المتأخر منهم على طبيعة دعوى أسلافه ، فان كان يسير على منهجهم وطريقتهم فى الصلاح والاصلاح كان منهم ، والا حكمنا عليه بالشذوذ والمروق ، ورفضناه جملة وتفصيلا .

والبشر فى هذا المجال مطالبون بدراسة ما جاء به النبى المتأخر ، ومعرفة ما اذا كان ملائما لأمة البلاغ ، أو غير ملائم لها .

وكل هذا كان معمولا به الى أن جاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فآمنا به نبيا ورسولا ، وصدقه ربه فيما ادعاه ، ثم آمنا به خاتم الأنبياء والمرسلين ، وصدقه ربه فيما ادعاه .

ولم يكن من الجائز بعد هذا كله أن أصدق دعيا كذابا ، والحمد لله لم يصدقهم الا المنتفعين بهم فى عرض من أعراض الدنيا ، أو المخدوعين بهم من الجهلاء ، أو الحمقى .

ولم يكن من الجائز ولا من المعقول أن نعرض هؤلاء الأدعياء على العقل أو مقاييس الفكر ، لولا أننا قد رأينا بعض التشويشات التى أفسدت الجو ، وعبثت بالتفكير .

مع المتنبى فى أدلته :

وبعد هذا التمهيد الذى رأيناه ضروريا هنا ، نعود الى المتنبى لنفحص أدلته على مدعاه ، فى ضوء ما ذكرناه من الاشارة الى ناموس الأنبياء فى الاستدلال على اثبات ما أدعوه .

وليس من حق رشاد خليفة ولا غيره أن يفرض علينا أدلة من خياله ، بل الواجب عليه ، وعلى كل من يدعى دعوته ، أن يلتزم بناموس الأنبياء العام فى هذا المجال .

١ — ماضى رشاد خليفة خير شاهد على كذبه :

وانه لمن الاشياء البينة الواضحة بنفسها ، ما ذكرناه من قبل من أن الأنبياء ، بل والمصلحين الاجتماعيين لا تخلص لهم أهدافهم الا بشرط مساندة تاريخهم الماضى والحاضر ، وتزداد أهمية هذا الشرط كلما ازداد خطر الهدف الذى يروم الانسان تحقيقه ، والغاية التى يريد أن يصل اليها من اصلاح السلوك ، وتعديل الأخلاق .

ونحن حين نحتكم الى تاريخ رشاد خليفة من خلال ما أثبتته الوقائع ،

نجده تاريخا يسحب بساط الرجولة من تحت أقدام صاحبه ، ويحيطه بسياج كثيف من الشك ، ويطوقه بطوق عظيم من الريب ، وامكان توجيه التهم له .

ونحن فى استعراضنا لتاريخ رشاد خليفة ، سنحاول أن نطوى عن الناس أشـد الصفحات سـوادا ، وأكثرها غلوا فى الشطط والمخالفات الأخلاقية .

سنطويها لأن لها صلات برجال قد ظلموا أو غرر بهم فى معظم الأحيان ، أو لأنها ألصق بجوانبه الشخصية ، ونحن لا نريد أن ننال من الشـخص الا بمقدار ما يشرح الفكرة .

اننا سنحتفظ بهذه الصورة القاتمة من تاريخ رشاد خليفة الى أن يأذن كتابيا لنا باذاعتها ، كما يفعل بعض الناس فى مواقف التحدى ، واننا على استعداد لذلك مالم يكن فيه جرح لمشاعر أحد من الناس .

وسوف نكتفى هنا بالاشارة الى بعض الأشياء المكتوبة ، والتى توضح جانبا من حياته ، يكون بمثابة المثل لبعض الجوانب الأخرى .

من المعروف أن رشاد خليفة حصل على البكالوريوس بتقدير جيد جدا من كلية الزراعة — جامعة عين شمس سنة ١٩٥٧ م ، ثم عين بالهيئة العامة للاصلاح الزراعى بتاريخ ١٩٥٧/١٠/٢٤ م ، وقد وجهته الهيئة الى منطقـة سبرباى — محافظة الغربية فعمل بها مهندسا زراعيا ، ثم انتقل منها الى ايتاى البارود — محافظة البحيرة بتاريخ ١٩٥٨/٥/١٠ م ، وكان بها مهندسا زراعيا كذلك ، ثم الحق لمنطقة البحيرة قسم أول بتاريخ ١٩٥٩/٢/١ م مهندسا زراعيا كذلك ، ثم سافر الى أمريكا فى بعثة علمية بتـاريخ ١٩٥٩/٩/٢٦ م وأوقف مرتبه من تاريخ سفره ، وقد رشحته الى هذه البعثة وزارة التربيـة والتعليم — الادارة العامة للبعثات حيث انعقدت اللجنة العليا للبعثات وقررت بجلسة ١٩٥٩/٨/٣٠ م ترشيحه لبعثة وزارة الاصـلاح الزراعى ، وكان

تخصصه الفاكهة البرارية وشعبة الوراثة ، ثم أرسلت الهيئة العامة للبعثات كتابها المؤرخ ١٩٦٠/٢/١٦ م رقم ٢٦١٩ الى جهة عمله للعلم والاحاطة واتخاذ اللازم .

وسافر الى أمريكا ، واستغرق فيها من الزمن ما قدر له أن يستغرق ، واخذ مدة اكثر من المدة التى أباحها له القـانون ، ثم عاد الى مصر جسما لا عقلا ، وشبحا مجردا عن العواطف والروابط التى تشده الى بلده ، تصحبه زوجة أجنبية ، تحفزه الى ما تريد ، أو الى ما يراد منه .

عاد الى بلده وتسلم العمل بادارة البساتين بتـاريخ ١٩٦٦/٥/٣ م بالقرار رقم ٨٠١ .

ثم تقدم بطلب الى جامعة عين شمس كى يعمل مدرسا بها بعد أن نصح بذلك من بعض اخوانه ، حين تكررت منه الشكوى مرارا بأنه يتقاضى راتبا ضئيلا لم يصل فى أعلى ما وصل اليه الى أربعين جنيها مصريا ، حتى ولا بعد الجنيهات الست التى أضيفت لراتبه بعد حصوله على درجة الدكتوراة من جامعة كاليفورنيـا .

تقدم بطلبه الى الجامعة كى يعمل مدرسا بكلية الزراعة ، فوافق مجلس الجامعة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٦٧/١٠/٣١ م على تعيين رشـاد عبد الحليم محمد خليفة مدير قسم البحوث البستانية مدرس كيمياء حيوية زراعية بقسم الأراضى بكلية الزراعة .

وقد وافق على هذا القرار الخاص بتعيين رشاد خليفة السيد الدكتور / وزير التعليم العالى بتاريخ ١٩٦٧/١٢/١٠ م .

ثم بعد ذلك تبودلت الرسائل والخطابات الرسمية — الخاصة باجراء تعيينه فى الجامعة ، واخلاء طرفه من عمله السابق على هذا التعيين — بين الجامعة وبين عمله كمدير لقسم البسـاتين .

ولم يكن أحد يعلم ما تنطوى عليه نفس رشاد خليفة فى هــذه العملية كلها ، برغم كثرة الشواهد الدالة على ما يقصد وما يريد .

سطرنا ما سطرناه من تاريخ حياته فى هذه الحقبة ، قاصدين الى اعتبار ما ذكرنا ، خلفية واضحة ، لنسجل ما سجله على نفسه من بعض الشــيم والأخلاق ، ونشير الى هذا البعد من ابعاد نفسه المريضة التى داست على كل ارتباطات لها أو انتماءات فى سبيل الشهرة الزائفة ، والدراهم التى لا تفيده الا ما أفادت غيره من وسائل الدمار ، وفقدان الأهل ، وتقطيع العلاقات .

اننا حين تأملنا هذه الفترة القصيرة التى لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، والتى عمل خلالها فى الاصلاح الزراعى ، هالنا ما رأيناه وعلمنا أن صاحبنا لم يكن يلتزم فى عمله بخلق أو دين ، ولم يكن يوف لعمله بعهد أو ميثاق ، وما من مكان نزل به ، الا وقد لاحقتــه الجزاءات بسبب استهتاره بالعمل ، أو مخالفاته التى ارتكبها فيه .

وكان أول جزاء رسمى وقع عليه قد صدر بقرار الهيئة رقم ٢٦٢ — ٥٨/٣/٥ فترة عمله بمحافظة الغربية .

ثم وقع عليه جزاء آخر بتاريخ ١٩٥٨/٨/٩م ، ثم تبعه جزاء آخر وقع عليه فى نفس التاريخ مع اختلاف سببى الجزاءين ، وقد وقعت عليه هذه الجزاءات فترة عمله بايتاى البارود .

ثم صدر قرار الهيئة رقم ٨٠٧ — ١٩٥٩/٨/١٣م بتوقيع جزاء جديد عليه حين كان ملحقا بمنطقة البحيرة للاصلاح الزراعى .

انه لم يكن ينتهى من مخالفــة وجزاء حتى يدخل فى مخالفــة اخرى وجزاء آخر .

وهذه المخالفات ربما تبدو صغيرة أو قليلة القيمة ، ولكن هذه المخالفات نفسها ، لها نوع من الدلالة قد أظهرته الأيام فيما بعد .

والانسان يعجب غاية العجب كيف استطاع هذا المهندس الناشىء الذى ظهر انه قليل الالتزام ، وقليل الانتماء لبيئته الطبيعية ، وقليل الانتماء لبيئته الاجتماعيـــة ، كيف استطاع هذا المهندس ان يحصل على قرار الهيئة العامة للبعثات بوزارة التربيـــة والتعليم ، وقرار لجنة البعثات الممثلة لهذه الهيئة لترشيحه لبعثة علمية فى دولة اجنبية ؟

وهم يعلمون ان الشرط الأســـاسى لدى دولة كأمريكا فيمن يرشـــح للدراسة بها ان يكون حاملا لجرثومة عدم الانتماء ، وهو وان لم يكن شرطا مكتوبا ، الا انه معلوم علم اليقين لكل من لديه عقل ، أو فى قلبه دين .

على اننا نستطيع ان نتجاوز هذا كله ، ولكننا لا نستطيع أن نتجاوز بعض الناس ولكن هل هذه المشـــاكل وامثالها ليس لها حـــل فى الشرائع بالناس ، وما يتصف بأوصاف الخداع والتضليل ، وما ينطلق من منطلق العداء للعشيرة والوطن والدين ، والمحبة للشهرة الزائفة أو الوطن الذى لا جذور له فيه ولا عشيرة .

والذى يجمع هذا كله وكثيرا غيره تلك الحادثة التى نشير اليها ونحن يعتصر انفسنا الألم وتدور رؤوسنا من الدهشة ، وخلاصة هذه الواقعة أن رشاد خليفة قد عاد من بعثته وهو ينوى بالأمة شرا ، انه يريد أن يكون له اعوان فى مصر ، وهو يريد فى الوقت نفسه أن يخدم الماسونيـــة العالمية فى أمريكا ، لقد جاء الى هنا وهو يعلن الطيبة التى تنطوى عليها نفسه بأسلوب ساذج وبسيط ، وبقى مع زوجه حتى انفق ما معه من المال ، وظل حتى باع سيارته التى كان يستقلها ، واخذ يشكو الهم لأصحابه ورفقائه ومريديه ، ويبدو انه كانت له وظيفة سرية فى مصر لم نكن ندريها فى حينها ، وان كانت قد كشفت عن نفسها نوعا ما من الكشف فيما بعد .

وبما ان شعر بانه قد انهى مهمته ، وانه يجب عليه ان يرحل عن مصر حتى اصطنع لذلك حيلة عجيبة وغريبة .

لقد تقدم بطلب الى جامعة عين شمس معلنا انه يرغب فى العمل بكلية الزراعة مدرسا .

وقد وافقت الجامعة على طلبه على نحو مامر ، واخذ خطابا من الجامعة بعد اعتماد الدكتور وزير التعليم العالى قرار الموافقة على عمله مدرسا بالجامعة ، اخذ خطابا من الجامعة موجها الى هيئة الاصلاح الزراعى مفاده « ان رشاد خليفة قد ووفق له على تعينه مدرسا بكلية الزراعة ، وان الجهة التى كان يعمل بها عليها ان تتفضل بارسال الملف الخاص به والأوراق التى تحتاج اليها الجامعة من الهيئة والخاصة برشاد خليفة .

وكان من بين ما طلبت الجامعة اخلاء طرف رشـــاد خليفة على مكتوب رسمى من العمل الذى كان يعمل به .

وهذا مربط الفرس ومركز الدائرة .

ان هذا الجهد المبذول من أوله الى آخره كان قد ســـير كله من اجل تحقيق هذه الغاية ، انه يريد اخلاء طرفا .

وقد حدث أن اخلى طرفه وتسلم من هيئـــة الاصلاح الزراعى ما يفيد ذلك ، وبدلاً من أن يذهب الى الجامعة تسلل الى خارج الحدود بطريقة غير مشروعة اولا الى ليبيا ، وعمل أولئك المسخرون لخدمته على ستر مواقفه « حتى انتهى فى النهاية الى امريكا ليعمل بها فترة خبيرا فى الأمم المتحدة ، ثم راى الشيطان أن ينتقل به الى مسجد فى توســـان « ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء »(١) .

---

(١) ابراهيم ٢٧ .

واخطرت الجامعة محل عمل رشاد خليفة بأن رشاد خليفة لم يأت اليها ولم يتسلم بها عمله الرسمى .

وافاقت هيئة الاصلاح الزراعى وندمت حيث لا ينفع الندم ، فقد هيأ الشيطان لرشاد خليفة ان يمرق من البلاد مروق السهم من الرمية ، وان يخرج من أرض الوطن وهو يردد (بلاد الله لخلق الله) .

وقديما كانوا يقولون لنا ولا ندرك ما يقولون : ان أكثر من فى السجن من المظلومين .

وانى لاتأمل هذه العبارة فى ضوء ما فعل رشاد خليفة ، واذا بى أرى منظرا عجيبا ، فرشاد خليفة قد احيل بسببه الى النيابة الادارية بهيئة الاصلاح الزراعى ، موظفون بريئون مساكين لطف الله بهم فى الجزاء ، ولكنه على أية حال قد لوث الملف الخاص ببعضهم ولو حتى بلفت نظر .

وانت تستطيع ان تقف على صحة ما نقول حين تطلع على ملف النيابة الادارية لوزارتى الزراعة والاصلاح الزراعى رقم ١٠ لسنة ١٩٦٨ اصلاح ،

ثم تقرأ فيه بنفسك قرار الجزاء رقم ٥ /٦٣٣ فى ١٩٦٩/٤/٢٦م ، أما أنا فلن احدثك عن تفاصيل هذه القضية ، ولا عن اولئك النفر الذين تورطوا بحسن النية فيها ، لأنها تتعلق بأشخاص غير رشاد خليفة وهم أشخاص لهم شرفهـم وكرامتهم ، ومنهم من هو على قيد الحيـاة ومنهم من لحق بربه وفارق الدنيا .

لكن الأمر الذى لا ينكر هو أن هذه الفعال لا يمكن ان يقوم بها رجل عادى يستبيح أن يعبر النهر على اجساد اخوانه ويرفع شعارا مؤداه (الحياة لى والموت للآخرين) .

ان مثل هذا الذى يرتكب هذه المخالفات يكون انسانا ساقطا بكل المعايير ، هابطا فى ميدان الخلائق والشيم هبوطا يجعله لا يملأ حتى عين الصبيـــان .

وانا اشعر مع القـــارىء الكريم ، انى قد رسمت له صـــورة نابضة بالحياة ، موثقة بالتواريخ والأرقام ، تعرى أمامه رشاد خليفة من كل أردية الزيف والضلال ، الأمر الذى لا احتاج معه الى أن أتتبع خلائقه فى شبابه الأول ، وفى علاقاته فى الجامعة وفى موقفه من ابيه ، سواء فى أمريكا أو فى مصر مهبط راسه ومدرج طفولته ، وانى لأظننى غير محتـــاج الى تتبع هذه العورات جميعها ، فالكلام عنها مخجل والامساك عنها فرض واجب يقتضيه الدين وتفرضه الأخلاق .

غريق يتعلق بقشـــة :

وحين راى رشـــاد خليفة هذا السقوط وترديه فيـــه ، وحين تأمل تاريخه الماضى وما يحتويه ، وحين تأكد له انه قد عب من الرذيلة حتى الثمالة ، وغرق فى حمأتها الى الأذقان ، وسبح فى بحرها حتى ارتطم بالقاع ، حاول أن يبحث عن شىء يخلصـــه مما تردى فيه ويبرزه أمام العالم معذورا حيث يؤهله هذا العذر لأن يكون انســـانا سويا ، يؤخذ منه القول وتقبـــل منه العظة ، حاول ان يبحث عن شىء يصحح موقفه أمام سامعيه ، فسلك لذلك مسلكين لعله ينتفع بواحد منهما .

اما المســـلك الأول : فقد أشرنا اليـــه سلفا وهو نفس المسلك الذى سلكه اليهود مع انبيائهم وصالحيهم .

لقد راى ان يعلن أمام النـــاس ان الأنبياء وهم خير البشر يقعون فى الخطيئة ، بل انهم قد يخطئـــون اكثر مما يخطىء البشر العاديون وأن الله

عز وجل قد يتوب على البشر العاديين ولا يتـوب على الأنبياء المخطئين ، ويؤكد رشاد خليفة فى هذا المجال كما أكد صنيعته أحمد صبحى منصور أنه من الحمق أن نقول : ان الأنبياء معصومون ، وأن لهم عند الله منزلة تفضل المنزلة التى تكون لغير الأنبياء عند الله .

وان احدث ما قاله رشاد خليفة فى هذا المجال خاصا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه ، لا يجوز احترامه كما لا تجوز الصلاة عليه ، اذ احترام النبى والصلاة عليه شرك ينبغى أن يتنزه المسلم عنه .

وقد قلنـا ان رشاد خليفة قد صرح بهذا فى غاية الوضـوح فى كتابه (القرآن والحديث والاسلام) ولقد صرح بهذا الشىء نفسه تلميذه فى رسالته التى ادعى أنه يرد بها على رشاد خليفة ينكر عليه ادعاء النبوة(١) ويؤنبـه فى مسلكه .

والله اعلم بالنوايا وما يستره الفؤاد .

على اية حال لقد اتخذ رشاد خليفة موقفه هذا من الأنبياء وكأنه يقول للناس ، يجب أن نتغاضى عن تاريخنا الماضى والحاضر ولا نتخذه معيارا فى تقييم الرجال ، فاذا كنا نخطىء فيها هم سادة البشر أشد خطأ « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا »(٢) .

وأما مسلكه الثانى : فهو أشد عجبا من المسلك الاول ، أنه فى مسلكه الأول قد رأى نفسـه قد ظهر للعيان ، وانكشف أمام الناظرين وقد ظهرت بجلاء صورته أمام من يبصر صورته ومن لا يبصرها على السواء ، فرأى أن يغير اتجاهه ، ويسير فى أتجاه آخر .

---

(١) هى رسالة فى الانجليزية نقلها الينـا باللغة العربية الأخ الأستاذ الدكتور : محمد أحمد حسب الله قسم التاريخ والحضارة كلية اللغة العربية .

(٢) الكهف : ٥٠ .

اراد أن يسلك طريقا — يرى — ويرى غيره — أن أحدا لن يدرك خداعه فيها ، وان أحدا لن يربط بينـــه وبين مسلك اليهودى حين يسلكها ، وهذه الطريق التى سار فيها ، وهذه الفكرة الجديدة التى اراد ان يعلنها للنـــاس تتعلق ببدايات التكليف وتحديد الوقت الذى يكون فيه الانسان مسئولا عن عمله ، وتحديد البداية التى يعد معها الانسان قد دخل فى مراحل التكليف .

ان البشر فى هذا الزمان يلومون أنفسهم لأنهم قد اطالوا فترة الطفولة فى ابنـــائهم ، ويريدون أن يختصروها ويعجلوا باشعار الأبنـــاء بالمسئولية ، ويعجلون بادخالهم فى مجال التكليف آملين من خلال هذه الخطة ان تستفيد الأمم من طاقات ابنائها .

اما رشاد خليفة ذلك الواهم الذى خدع نفسه ، ويريد أن يخدع غيره ، فانه يريد أن يمد فى أمد الطفولة الى سن يرتضيها هو ، ويرى أنها هى السن المناسبة للتكليف ، وهو يمتد بها بمقدار ما يحب ويهوى .

صدقنى أيها القارىء العزيز أننى أخشى عليك من الاندهاش ، حين أنقل لك السن الحقيقى الذى يرى رشاد خليفة أن الانســـان سيكون عنده مكلفا ، وأنه قبله لا يكون مسئولا عن عمله .

لأن عمله حين يصدر عنه انما يكون قد صدر عن صبى غير مميز ، وهو غير مسئول عن قوله قبل هذه السن ، لأن قوله حيئذ يكون قد صدر عن طفل لا يعقل .

انى شفوق عليك أيها القارىء العزيز من الاندهاش ، كما كنت شفوقا على نفسى حينما سمعت تصريحه بتحديد سن التمييز لأول مرة .

ولكننى مضطر الى أن أحدثك عما قال لتشاركنى هذه الحسرة على بعض من يتزيون بزى الرجال ، انه يقول لى ولك وللناس أجمعين : اعلموا أيها الناس أن الانسان قبل سن الأربعين لا يكون مكلفا ، وانما هو طفل

غير مسئول ، وان من يتوجه اليه بتكليف يكن عابثا ، ومن يسأله عن قول أو فعل يكن قد تجاوز حده ومن يقس أقواله وأفعـاله بمقاييس الفضيلة والرذيلة ، أو الصواب والخطأ ، أو الخير والشر ، يكن انسانا لا بصر له بالأمور ولا خبرة عنده بتقييم الانسان ، ولا معرفة لديه بمقاييس الأشياء ، ولا بمجالات استعمالها .

وانى لأعجب معك أيها القارىء غاية العجب وأنا أرى رشـاد خليفة يتجرأ على الله عز وجل وينسب هـذا الحكم له انه يقول : ان تحديد سن البلوغ وبداية وقت المسئولية والجزاء والالزام انما قد جاء فى القرآن نفسه ، فربنا هو القائل **« حتى اذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة قال ربى أوزعنى ان أشكر نعمتـك التى أنعمت على وعلى والدى وان اعمل صـالحا ترضـاه وأصلح لى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين »**(١) .

اننى كلما تأملت رشاد خليفة وهو يستشهد بآية من القرآن الكريم سألت نفسى سؤلا محددا ، خلاصتـه : هل يعى رشاد خليفة ما يقوله عن القرآن ، وهل يدرك تماما الأصول الفكرية التى يستنبط على أساس منها أحكامه وتصريحاته التى ينسبها اليه ؟

وما من مرة سألت نفسى هذا السؤال الا وأجدنى مترددا بين جوابين أدور بينهما ، ولا أتمكن من اختيار أحدهما .

أجد نفسى مرة مستريحا الى القول بأن رشاد خليفة لا دور له فيما يقول ، ولم يبذل أدنى مجهود فيما يصرح به ، وانما الشىء يصنع له صنعا ، وعليه أن يتولى اذاعته بين الناس .

وأجد نفسى مرة أخرى مستريحا الى القول بأن الرجل قد اقحم على مجال ليس له ، طمعا فى الشهرة والمـال ، واضطر اضطرارا الى ان يثبت

---

(١) الأحقاف آية ١٥ .

وجوده فى مجاله الجديد ، وهو غير مؤهل له ، وليست فى يده عدته ، فوقع فى الخطأ والخطيئة معا ، ويتكرر كل يوم وقوعه فى الخطأ والخطيئة .

والحديث فى الآية التى استشهد بها لا علاقة له بسن التمييز ، أو بدايات سن التكليف العام ، وانما الحديث هنا يتعلق بموضوع آخر ، لا نستفيض فى ذكره الآن ، فهو واضح من سياق الآية لا سترة به .

واذا اخذنا كلام تلميذه أحمد صبحى منصور على ظاهره ، وصدقنا هذه النجوة المفتعلة ، والخصومة المصنوعة فاننا نقول : ان احمد صبحى منصور لم يتحمل منه هذا التصريح ، ولامه عليه اشد اللوم ،وأنبه عليه أشد التأنيب ، انه يقول موجها القول الى رشاد خليفة ولافتا نظر القارىء الى اخطائه **[... لاحظ ان رشاد يخترع عدة اكاذيب ، ليقنع اتباعه مثل اسطورة الأربعين سنة من العمر ليشجع ويبرر ويسوغ اقتراف الآثام قبل الأربعين ، ثم نبرهن على أن اسطورته معادية او مخالفة للقرآن « وما أنزل الله بها من سلطان » ...]**(١) .

وانت ترى معى أن أحمد صبحى منصور مهما كانت نيته ، فانه قد لمس ما لمسناه من السبب الحقيقى وراء المجهود الضخم الذى بذله رشاد خليفة فى اقناع سامعيه وقارئيه ، بقضية الوهم الكبرى ، وهى أن الانسان لا يكون مكلفا قبل سن الأربعين ، وان كان احمد صبحى لم يشأ أن يصل بتعليل هذا المجهود الضخم الى غايته ومنتهاه .

ومهما كان هناك من أمر ، ومهما كان هناك من اعتساف فى القول ، فان أحدا لن يخالفنا — فيما نرى — فى هذا الأساس الذى ادعيناه من أن

---

(١) من رسالة خطية كتبها احمد صبحى منصور بعنوان : « رشاد عبد الحليم خليفة هل هو رسول الله ، أو رسول الشيطان ؟ نقلها عن الانجليزية د/محمد احمد حسب الله ، ص ٤ .

تاريخ الانبياء خير دليل على صدقهم ، وأن تاريخ رشاد عبد الحليم محمد خليفة لا يؤهله الى أن يكون انسانا عاديا ، وهو قد أدرك هذه الحقيقة ، فتصرف كما يتصرف الحمقى من الناس الذين يجدون أنفسهم فى الخطيئة قد قطعوا فيها شوطا كبيرا ، فبـدلا من أن يصلحوا من شئونهم يتجهون بجهد الطاقة الى محاولة اضلال غيرهم ، فيسعدون بمن يضلون ، ويسخرون ممن لا يقدرون على اضلالهم ، وصدق ربنا فى القرآن الكريم حين قال : ((**ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، واذا مروا بهم يتغامزون ، واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين . واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون ، وما أرسلوا عليهم حافظين**))(١) .

ونختم هذه الفقرة بأن نسجل على رشـاد خليفة أنه قد أثبت كذبه فى دعوته من خلال الاحتـكام الى تاريخه ، من حيث أراد أن يثبت صـدقه فيما ادعاه .

٢ — ادعاء المعجزة دليل آخر على كذبه فى دعواه :

تأمل رشاد خليفة تاريخه فوجده غير صالح لاثبات صدقه فيما ادعاه ، بل هو على الأحرى غير صالح فى اثبات رجولته وكمال شخصيته باعتبار أنه انسان عادى ، فحاول أن يدافع عن نفسـه أو يجد لها مخرجا ، فضل فى دفاعه ضلالا كبيرا .

ثم تأمل مرة اخرى تاريخ الأنبياء ، وادلتهم على دعواهم ، فوجد من بين دلائل النبـوة المعجزة ، فحاول أن يرتكز عليها عله يجد من افتراءاته ما يجعله يثبت ولو للحظات أمام النـاظرين انسانا أو شبه انسان ، فادعى بين الناس أن له معجزة ، سماها المعجزة الطبيعية الأكيدة .

---

(١) المطففين : الآيات ٢٩ : ٣٣ .

وهذه المعجزة قد مهد لها طويلا ، واستغرق التمهيد لها والتهليـــل من أجلها فى أجهزة الإعلام المشبوهة سنوات تلتها سنوات .

ان هذه المعجزة التى ادعاها ترتكز على أنه اكتشف دون سواه السر الحقيقى للاعجاز القرآنى ، ذلك السر الذى لم يكشف لرسول الله صلى الله عليه وسلم طوال حياته ، ولم يكشف للصحابة والتابعين ، ولا لتابعيهم .

ظل سر الاعجاز فى القرآن الكريم اذا أمرا خفيا حتى أظهره الله لذلك المتنبى ، لكى يكون معجزته التى يظهرها للعالم .

ولقد سبق القول فى عجالة سريعة فى تحديد مفهوم المعجزة وحقيقتها ، وقلنـــا ان المعجزة أمر هو من فعل الله عز وجل ، وهو من سننه الخارقة لا يقدر عليه ملك مقرب ، ولا نبى مصطفى ، ولا يطيقه انس ولا جان .

انه من فعل الله .

ورشاد خليفة يعرض علينا معجزته فوجدناها ترتكز على أمر من الأمور لا هو من سنن الله الجارية حتى نسميه علما ، ولا هو من سنن الله الخارقة حتى نسميه معجزة ، ولا هو حتى من الأمور الصالحة لعبث الصبيان والهاء المجانين .

ان معجزته الحقيقية هى انه قد اكتشف أن كل حرف من حروف الهجاء يقابله رقم من أرقام الحساب على نحو ماشرحنا قبل .

وطبقا لهذه القاعدة المعوجة فان العدد تسعة عشر ، يساوى أمرا هو من أخص خصائص الله عز وجل ، وهو وصفه بأنه واحد ، اذ الواو تساوى عنده ستة ، والألف يساوى واحد ، والحاء تساوى ثمانية ، والدال تساوى أربعة ، ومجموع هذه الأرقام تسعة عشر ، فيكون العدد تسعة عشر مقدسا لأنه يساوى الاسم الأعظم ، أو أمرا هو من أخص خصائص أوصاف الله ، وهو الوصف (واحد) .

وبعد ان انكشف لرشاد خليفة كما يدعى هذا السر ، علم أنه لا فرق فى القداسة بين العدد تسعة عشر ، ووصف الله بالوحدانية .

ولما كان العدد تسعة عشر مقدسا الى هذا الحد أدار الله القرآن كله عليه ، فما من لفظ يتكرر الا وله بهذا الرقم صلة ، وما من وصف يتعدد الا وبينه وبين هذا الرقم نسبة ، واول آية نزلت من القرآن وهى « بسم الله الرحمن الرحيم » عدد حروفها تسعة عشر حرفا ، وعدد سور القرآن الكريم مائة واربع عشرة سورة ، أى ١٩ × ٦ .. الى غير ذلك مما نشره رشـــاد خليفة واذاعه بين الناس .

ويستمر رشاد خليفة فى تأكيد معجزته فيقول : ان الآلة التى يمكن اجراء هذه الحســـابات عليها بسهولة هى الكمبيوتر أو الحاسب الآلى ، ويدعى ان هذه الآلة حين ظهرت فى زمانه لتؤكد معجزته ، فان هذه الآلة نفسها تعد جزءا لا يتجزأ من معجزته التى ادعاها ، بل يذهب رشاد خليفة الى ما هو ابعد من ذلك ، فيعتبر الوطن الذى يقيم به هناك وراء المحيطات هو الآخر جزء لا يتجزأ من معجزته ، باعتباره هو أكثر أوطان الدنيا حضارة ، وأكثرها صناعة واستعمالا لهذه الآلة الجديدة .

تلك هى القواعد الأساسية لمعجزته بل قل : ان هذه هى العناصر الأساسية التى يأتلف منها ما يسميه بالمعجزة ، وهو بالهوس أشبه ، اعتمد فيه على درب من الجدل لا يخفى ، وليس هو مبتدع هذا الجدل ، وانما هو متابع أمين .

وانا لست بحاجة الى ان اعود مرة اخرى الى شرح وبيان تلك المهزلة التى اعتبروها مسلمة ، وهى أن كل عدد يقابله رقم ، انها مهزلة قديمة جديدة يهيج بها المغرضون عواطف البسطاء ، والسذج من الناس ، فيظنون حقيقة ماهو فى الواقع كذب واضاليل .

اخذ رشاد خليفة يطنطن بهذه المعجزة ، ويغرق الناس فى عمليات حساب معقدة ، فان عجزوا عن ان يتـابعوه فى الفهم ، قال لهـم هكذا المعجزات لا تفهم .

ان المقربين من رشاد خليفة ، قد اكتشفوا أنه يتصف بصفة لا تكاد تفارقه من بين صفات الخسة والضلال ، ومن بين سمات الفتنة والاضلال ، وهذه الصفة هى ان رشـاد خليفة ظل يكذب على نفسه وعلى الناس ، ويستمرىء الكذب ، ويسعد بممارستـه حتى تكونت عنده ملكة غريبة هى ملكة عشق الكذب على نحو ما ظهر لنا فى كذبه على الله وعلى الناس فى دعواه الرسالة ، وفى دعواه أن الله قد أجرى على يديه معجزة .

لاحظ صديقه أحمد صبحى منصور عليه هذه الصفة بعد أن اقترب منه اشد الاقتراب ، فكتب ضمن رسالة أعدها للنشر فى اللغة الانجليزية ، لبيان كذب رشاد خليفة فى دعواه النبوة قال : **[... ان رسول توسان يكذب فى كل نفس من انفاسـه ، ويحمل الكذب بين جوانحه ، فاسم والده عبد الحليم ، ولكنه جعله خليفة ، وفى نفس الوقت أمر اتباعه بان يحتفظوا باسماء آبائهم الحقيقية ، هذا واحد من اختراعاته وتلفيقاته](١)** .

واذا كان هناك من احتياج الى تأكيد صفة الكذب عند رشاد خليفة ، فاننا لن نذهب بعيدا ، ولكننا سنشير فقط الى عنصرى المعجزة التى ادعاها لنفسـه ، اذ ليس بصحيح أنه مبتكر فكرة أن كل عـدد يقابله رقم ، فذلك موجود فى اليهودية منذ القدم ، وليس بصحيح أنه هو مبتكر دعوى قداسة العدد تسعة عشر ، فقد اهتم به البهائيون من قبل ، وكتبهم المقدسة كلها

---

(١) من رسالة لأحمد صبحى بعنوان (رشاد خليفة هل هو رسول الله أم رسول الشيطان) مرجع سبق ذكره .

دائرة عليه على نحو ما يظهر لنا من كتاب البيان الذى أوحى به « على محمد الباب » شيطان البابية الى عباده .

انك حين تقرأ البيان فى لغته العربية أو الفارسية تجد أنه مرتب على تسعة عشر واحدا ، كل واحد من هذه التسعة عشر مرتب على تسعة عشر بابا ، وما من فقرة من فقرات هذا الكتاب المقدس الا وهى دائرة على هذا الرقم ، حتى علاقاتهم الاجتماعية ، وحتى تأريخهم ، وحتى عباداتهم ، بـل وأسلوبهم فى الدعوى ، كل ذلك قائم على قداسة هذا العدد ورفع مكانته(١) .

وما كان لبشر أن يصدق رشاد خليفة فيما يدعيه أنه معجزة مادام قد وقف على هذه الحقائق .

اما أولا : فلأنه قد أقام كلامه على فكرة أو أفكار واهية .

وأما ثانيا : فانه قد نسب لنفسه ابتكار أشياء لا يشرفه ولا يشرف غيره انه مبتكرها ، وهى فى الحقيقة من ابتكارات غيره .

والحق ما قاله رشاد خليفة عن تقييمه للناس ، والشيطان قد يصدق فى بعض الأحيان ، كما قال النبى عن الشيطان فى موقف من مواقفه « لقـد صدقك وانه لكذوب » .

قيم رشاد خليفة الناس بعد اعلان دعوته ، وبين أنه قد خدع به بعض المسلمين ، الا أنه قد لاحظ أن أحدا من العرب لم ينخدع به ، بل عارضـه بعضهم بصراحة ووضوح ، وهو لذلك يئن من الألم وأخذ يشكو بثه وحزنه الى الشيطان ، والشيطان يسخر منه ويهزأ .

يقول فى تعليق على محاضرة القاها بعد أن دعا اليها الناس ليعرض على مسامعهم معجزته التى تثبت نبوته [... **وعندما حان الوقت لالقـاء**

---

(١) راجع البهائية وسائل وغايات للمؤلف .

محاضرتى استجاب الكثير من الكنديين المسيحيين الى الاعلانات . وجاءوا ليشاهدوا المعجزة .

وعندما انتهيت قام بعض المستوطنين العرب فى فانكوفر بالاتصـــال بالسفير السعودى فى اوتاوا . وفى الحال ارسل الرجل الثانى فى الوثنية الى فانكوفر ليواجهنى . وبمجرد ان انتهيت وقف الشيخ محمد القاعود (مسئول العقيدة السعودى) وانكر كل جزئية ذكرتها .

واعترض على بما يلى ...

ولكن الكنديين المسيحيين الذين حضروا المحاضرة لم يعرفوا ذلك ، لذلك تركوا المحاضرة خائبى الآمال ، بينما فشلنا نحن فى اثبات ان القرآن هو آخر رسالات الله الى العالم .

ان معجزة القرآن قد اثبتها الكمبيوتر فى مسجد توسان منذ سنوات ، وحتى الآن . والمسجد له فروع كثيرة فى العالم .

آلاف قد فهموا وقدروا المعجزة وقد قوى ايمانهم .

ان الناس الذين اهتدوا بالنور فى العالم والناس الذين يقومون على خدمة مسجدنا على اسس منظمة منهم :

الأمريكان — الكنديون — البريطـــانيون — الأتراك — الماليزيون — الايرانيـــون — اليابانيون — المصريون — الاندونيســـيون — الأفارقة — الاوربيون — الباكستانيون — الهنود ، وكثيرون من قوميات مختلفة . ولكن لا يوجد عربى واحد ...](١) .

وهكذا تعلق رشاد خليفة بما أوهم الناس أنه معجزة ، فانخدع بعضهم به ، ثم أفاق الجميع على اليقين من أنه كاذب يتحرى الكذب .

---

(١) من منشورات رشاد خليفة ابريل ١٩٨٥ م — ترجمة د. صلاح العجيمى .

٣ ـــ ما جاء به رشاد خليفة دليل على كذبه فيما ادعاه :

انتظرنا قدر ما انتظرنا علنا نجد رشاد خليفة يذيع بين الناس عقـــائد وتشريعات تزيد على ما فى أيدى الناس من حيث القيمة ، وترتفع فوقه درجة أو درجات ، غير أن رشاد خليفة قد أحجم عن أن يزيد شيئا الا ما هو نادر أو قليل ، وادعى انه رسول بغير رسالة ، وهو نبى بغير نبأ ، وليس له من مهمة الا انه مصدق لما بين يديه ، أو بين يدى الناس من القرآن .

تلك قضيته فى اجمالها ، ولكنه لم يصبر على هذه المهمة ، لأن أعداء الاسلام لم يختاروه من أجل سواد عينيه ، ولم ينصبوه من أجل أن يترك الأمة على دينها بدون ازعاج أو تشويش .

ولذا فاننا قد وجدناه تحدث فى شىء من العقائد ، وتحدث فى شىء من التشريع ، وأغلب الظن انه سيتابع حديثه فى الأيام القادمة أن كانت قد بقيت له أيام ، وسينسج على نفس المنوال فيما يستقبل له من الزمان ، ان قدر الله له مستقبلا من الزمان .

وسأعرض عليك أيها القارىء بعض ما يراه من العقائد ، وما يذيعه بين الناس لعله يتمكن من تقطيع الأواصر فيما بينهم ، أو حل العرى التى تربط بين قلوبهم .

ومن العقائد التى يذيعها بين الناس فى الفترة الأخيرة فكرتى الحلول والاتحاد ، بعد أن زاوج بينهما بأسلوب غامض .

وسنحاول أن نعرضه بأسلوب مختصر واضح كى يعرف القارىء رشاد خليفة وعلى أى أرضية يقف .

انه يرى أنه ما من مخلوق أو موجود الا وفيه جزء من الله عز وجل .

معنى ذلك أن الله قد حل فى هذا العالم ، ومعناه فى نفس الوقت أنه ليست هناك ثنائية فى هذا الوجود ، فالعالم والله عنده شيء واحد .

ولعلك حين تسمع هذا النبأ تقول ، وما الذى فعل رشاد خليفة ، اكثر من أنه ردد مقولة قديمة .

وكان بودى أن اوافقك ايها القارىء على ما ذهبت اليه من استنتاج ، لولا أن رشاد خليفة قد رتب على هذه الفكرة العقدية فكرة عقدية أخرى ، وهى انكار الحساب والجزاء .

ان رشاد خليفة قد أنكر فكرة الجزاء بعد ان قال بوحدة الوجود ، وهو يتساءل فى عجب بين أصدقائه واحبابه عن العقاب كيف يمكن تنفيذه فينا ، ونحن فى الحقيقة نحتوى على جزء من الله يوجد فى كل واحد منا ، ومادام الأمر كذلك فانه يستحيل استحالة مطلقة ان يعذبنا الله عز وجل .

ولك أن تتخيل معى ما يترتب على هذه الفكرة الأخيرة من آثار .

أن الجزاء ركن أساسى فى مفهوم الفكرة الأخلاقية ، وهو ركن أساسى كذلك من أركان القانون الذى ينظم العلاقة الانسانية .

وحين نسقط فكرة الجزاء من حسابنا ، فان فكرتى المسئولية والجزاء بالتالى يصبحان من الأمور التى تفقد معناها ، أو من الأمور التى لا تحتفظ من الوجود الا بقدر هزيل لا أثر له فى حركتنا الاجتماعية أو علاقاتنا الانسانية .

والذين تابعوا رشاد خليفة واقتربوا منه غاية القرب ، قد وجدوا أنه ملح الالحاح كله على هاتين الفكرتين من أفكار العقيدة .

وقد استنتجوا كما استنتجنا ان رشاد خليفة لا يهدف من هذا كله ٤

الا الى فصم اواصر العلاقات بين أبناء المجتمع الانسانى ، وهى غاية رسمت من قبله لآخرين ممن استعملتهم تلك المنظمات السرية .

يقول الرجل الثانى — فى هذا التآمر الجديد ، والذى يتلو رشاد خليفة مباشرة — فى هذا الصدد [... ان لرشاد مفاهيمه الخاصة عن الله ، وهى مفاهيم تذهب فى مجموعها الى ما يخالف القرآن والاسلام ، فهو يعتقد أن بداخل كل انسان جزءا من روح الله ، والاكثر من ذلك انه يعتقد ان كل جماد وكل حيوان يمثل جزءا من الله ، وفى ترجمته للقرآن يتعمد الخطأ فى ترجمة الآيات التى تخالف افكاره وعلى سبيل المثال يقول الله تعالى فى سورة الزخرف : وجعلوا له من عباده جزءا » . « ان الانسان لكفور مبين » ويترجم رشاد هذه الآية كما يلى ليشوه ويغير معناها (انهم نصبوا أصناما من بين عباده ، حقا ان الانسان غير مقدر لنفسه) .

انه يعتقد اننا نحتوى على جزء من الله بداخلنا . وعليه ، فان أعمالنا صادرة من الله وليست صادرة منا ، لذا فانه يوضح قائلا : « ان الله يفعل كل شيء » وهذا يعنى أن الله مرتكب لخطايانا ومفاسدنا وانحلالنا . واذا فلماذا يعاقبنا ؟ .

هذه الفكرة الشيطانية تهدم وتشوه اى علاقة او رابطة اجتماعية خاصة اذا كانت هذه الرابطة لها اتصال بالعقيدة](١) .

لعلنا قد لاحظنا من خلال فكرتى رشاد خليفة وما ترتب عليهما ، انه يوجههما جميعا الى غاية واحدة ، وهى أسقاط التكاليف بعد رفع المسئولية والجزاء .

---

(١) احمد صبحى ، هل رشاد خليفة رسول الله أم رسول الشيطان ؟ ترجمة د. محمد حسب الله .

ويبدو لى كما صرحت بذلك سلفا انها هى الغاية الكبرى التى ما وجد رشاد خليفة ، الا من أجل تحقيقها ، والعمل طوال حياته على ابرازها بشكل أوضـــح .

وما يزال فى جعبة رشاد خليفة فكرة عقدية ثالثة ، نطرحها كما يلى :

لقد حدثت عن رشاد خليفة حديثا مطولا ، ارى انه من حقى ومن حق محدثى ان اذيع حديثه بشىء من الاختصار ، مجردا عن أسماء قائليه ورواته ، الا بعض الأسماء التى عرضت نفسها للشهرة ، ان كان فى ذكرها ما يؤكد هذا الحديث الشخصى .

قال لى محدثى : ان رشاد خليفة قد داب فى هذه الأيام على شرح فكرة مؤداها : ان العالم ليس كله ملكا لله ، وانما هناك بعض العوامل التى يملكها الشيطان ، ولا سلطان لله عليه فيها .

ثم استطرد محدثى قائلا : ان هذا الجزء الذى راى رشاد خليفة انه لا سلطان الله عليه قد خصص للشيطان ، واصبح مملكة خاصـــة يتصرف الشيطان فيها كيف يشاء .

واستشهد صاحبنا على مقولته تلك بما سمعه من رشاد خليفة مباشرة ، وبما سطره رشاد خليفة فى ترجمته لبعض آيات القرآن .

ان رشاد خليفة قد حاول أن يترجم القرآن الكريم على هواه ، واصدر من ذلك طبعة من جزء واحد تحتوى على ما يراه وما يفهمه من آيات القرآن الكريم مترجما الى اللغة الانجليزية .

وفى بدايات سورة الفاتحة قوله تعالى : ((**الحمد لله رب العالمين**)) .

قال محدثى ان الذين يقرءون العربية ويفهمون فيها أو لا يفهمون يعلمون أن كلمة « عالمين » جمع « عالم » ، واذا قلنا : ((**الحمد لله رب العالمين**)) فان

معناها يكون ان هذه العوالم كلها مربوبة لله عز وجل ، ومحتاجة اليـــه ، وخاضعة لسلطانه العظيم ، لا يشذ عنها واحد ، ولا يخرج عن طاعة الله منها ، والاحتياج اليه لا فتيلا ، ولا قطميرا .

قال محدثى : وهذا الذى يفهمه قراء العربية منصوص عليه فى آيات القرآن الكريم فى غير موضع .

ثم قال : الا ان ترجمة رشاد خليفة للقرآن الكريم لا تقر هـــذا الفهم ولا تعترف به .

واكد محدثى ان هذا ليس عن جهل منه بالعربية ، وانما هو يقصد الى تاكيد فكرته بطريقة عملية وهو يترجم للقرآن الكريم .

انك حين تقرأ ترجمته للقرآن فى هذه الآية بالذات تجده ينقـــل الى الانجليزية كلمة « العالمين » الى — Univers —

ثم قال محدثى ما نصـــه بالحرف الواحد : [**ان كلمة** Univers **لا تعنى اكثر من عالم واحد هو العالم المادى بينما يوجد عدة عوالم اخرى ، فان كان الله الها لعالم واحد فمن يكون رب العوالم الأخرى ؟**] .

ولقد اكد لى محدثى وهو يعلم اننى لا اجيد الانجليزية قائلا : أظنك تعلم ان كلمة عالم اذا أريد لها أن تترجم ترجمة صحيحة ، كانت الكلمة التى يتعين النقل اليها فى الانجليزية — world — واذا أريد جمع هذه الكلمة فى لغتها قيل — worlds — لكن رشاد خليفة حين سيطرت عليه فكرة معينة ، حاول أن يسخر القرآن لخدمة هذه الفكرة ، فاختار من الفاظ الانجليزية ما يناسبها ، والذى يظهر من كلام رشاد خليفة لنا أنه يقسم هذه العوالم بين الله وبين الشيطان ، فيترك لله العالم المادى يتصرف فيه ، ويترك للشيطان العـــوالم الأخرى .

قلت لصاحبي معقبا في شيء من التقاط الأنفاس : انني لا اجد غرابة في مسلك رشاد خليفة هذا ، بل بالعكس لقد عرفت جزء الطريق التي يسلكها من حديثك هذا .

ان الذين يريدون ان ينصبوا الشيطان الها لهذه العوالم ، أصـــبحوا معروفين لكل مشتغل بالثقافة والعلوم والآداب ، وقد أصبحوا معروفين كذلك لكل مشغول بالسياسة وأحداثها وقضاياها .

منذ فترة من الزمن احرقت الصواعق عددا من البشر لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة ، وعند محاولة انتشال جثثهم فوجئت الدنيا أن معهم رســـائل تكشف عن جمعية سرية ملحدة ، كان الناس يدركون آثارها ، ولا يعرفون على وجه اليقين اصولها التي تعتمد عليها ، ويدعو أصحابها الناس اليها ، وكان من بين ما حملته هذه الوثائق أن هذه الجمعية السرية تدعو الى الاسراع الى تخريب العالم ، حتى تعود المملكة الى ربها الحقيقي ، وهذا الرب الحقيقي عندهم هو الشيطان .

فليس بغريب اذن والحالة هذه أن يبدأ رشاد خليفة بتقسيم العالم بين الله والشيطان ، لكي يضمن في صفه أدعياء بعض الحضارات القديمة ، ثم يتدرج بعد ذلك الى تخليص الناس من كل فكرة ايمانية ، وتمحيص طاعتهم للشـــيطان .

واقول لصاحبي وللناس : ان هذه الأموال التي وضعت في يد رشـــاد خليفة ، وهذا السلطان الذي أتيح له حتى في الكنجرس الأمريكي ، لن يفيد شيئا في الدعوة الى فكرته ، فالله عز وجل قد قطع عليه وعلى أمثاله الطريق ، والمحاولة ليست حديثة ، بل هل تضرب في التاريخ الى عمق بعيد ، وقد تولاها أناس قبله لا يستطيع هو ان يبلغ عشر معشار الواحد منهم ، والظروف في الماضي كانت متاحة لهم بشكل اكثر مما هي عليه الآن ، وما بدلوا وما غيروا ،

وكانوا يملكون من المال ما يعد الى جواره ممتلكات رشاد خليفة شيئا مهملا فى احدى زوايا مقبرة ، وضاعت الأموال ، ولم تتحقق الاهداف ، واصيب الذين انفقوها بالحسرة فى دنياهم وفى الآخرة عذاب اليم .

وهذا قول الله فيهم وفى امثالهم : ((**ان الذين كفروا ينفقــون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا ويجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون ، قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ، وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير ، وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير**))(١) .

ونحب قبل أن ننفض أيدينا من عرض المسائل التى تحدث فيها رشاد خليفة ، أن ننبه الى أمر لعله قد اتضح فى ذهن القارىء ، وهو ان رشاد خليفة لم يقصد الى مسألة فيشرحها ، أو الى قضية ليحللها وانما هى شذرات يلقيها القاء لا يعرف لها معنى ، وتفاريق من المسائل لا يجمع بينها جامع الا الرغبة فى التشويش ، وامشاج واخلاط من اجزاء يعود كل جزء منها الى اصل أو اصول تختلف عن أصول الأجزاء الأخرى ، وهو فى كل ذلك عاجز عن الادراك ، عيى عن البيان ، بعيد الصلة عن هذه المجالات مبتوت العلاقة بالدين الصحيح ، ومفاهيمه القيمة .

وفى مجال التشريع لم نجده حتى الآن يتحدث الا فى قضية واحدة هى قضية بدء المسئولية ، وبداية الالزام ، وتحديد السن التى يكون الانســان عندها مكلفا .

والفكرة التى الح عليها هنا هى فكرة رفع سن الطفولة ، وتأجيل سن التكليف الى حد الأربعين .

---

(١) الأنفال : الآيات ٣٦ : ٤٠ .

فالانسان عنده لا يعد مسئولا بحق عن عمله فعلا وقولا ، واعتقادا ، وايمانا الا اذا بلغ الأربعين ، وهو قبل الأربعين يعد طفلا غير مسئول ، حبله على غاربه ، يفعل ما يشاء ويقول ما يريد من غير أن يكون مسئولا عن شيء مما يقول أو يفعل .

ولعلك تعجب معى هنا عن هذا التناقض الصارخ ، بين ما قاله فى الاعتقادات ، وما يقوله هنا .

انه فى مجال الاعتقادات يلغى أفعال العباد ، لا على اساس من طلاقة ارادة الله وقدرته ، وانما على أساس من أن الانسان كغيره من سائر الموجودات فيه جزء لاهوتى ، والفعل الذى يصدر عنه هو صادر فى الحقيقة عن الله .

ولذلك ذهب الى الغاء فكرتى الثواب والعقاب .

وهو هنا يفرق بين مرحلتين من العمر ، مرحلة لا يكون فيها الانسان مسئولا عن عمله ، ومرحلة يكون فيها الانسان فى قمة المسئولية عما يفعل .

وان كنت تستغرب ما تسمع ، وان كنت تستنكر ما أحدثك به عن رشاد خليفة فى هذا المجال ، فانى لا أستنكره ، ولا أستغربه ، ورجائى أن لا تستنكر ذلك ، ولا تستغربه ، وخصوصا وانت وأنا جميعا نعلم أنه من سنن الله عز وجل أن يظهر لعباده كذب أولئك الذين يدعون أنهم أنبياء ، حتى لا يلتبس الأمر على العباد .

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله »(١) .

---

(١) الأنعام : ٩٣ .

نبى ظلى :

حين ادعى رشاد خليفة انه نبى وجد نفسه محاصرا حصارا شديدا من جميع اقطاره .

ومن اهم ما يحاصره ويأخذ بتلابيبه تلك المطالبة الجادة التى تحدثنا عنها قبل ، انه حين يدعى النبوة لابد أن تكون له رسالة ، لابد أن يدعو الى عقيدة، ولابد أن يدعو الى شريعة ، ونحن نقبل منه أن تكون دعواه الى العقيدة موافقة لدعوى الأنبياء السابقين ونرفض منه أن يدعو الى عقيدة تخالف ما جاء به الأنبياء من عقائد . ولكن أيضا نقبل منه ما يدعو اليه من تشريع ، ولكن بشرط أن يكون التشريع الذى جاء به موافقا لفترة الانسان مترقيا به معالجا لقضايا فى المجتمع عجزت الشرائع القديمة أو السابقة على شريعتـــه أن تحلها أو تعالجهـــا .

انه حين يدعى النبوة فيجوز أن يكون مع هذه الدعوى رفع وعى الأمة بالتوحيد وأصلاح ما عندها من السلوك بالتشريع الذى جاء به .

ورشاد خليفة يعلم والمخططون له يدركون قبله أنهم واقعون فى هـــذا المازق لا محالة ، فقام رشاد خليفة ليدعى أنه ما جاء ليكون نبيا مستقلا وانما كل مهمته وغايته ان يجعلنا نصدق بما جاء به النبى محمد صلى الله عليـــه وسلم قبله ويكون هو النبى المصدق بما جاء به من الكتاب .

وعجيب هذا الكلام ولكنه مفيد فى هذا الوقت ، انه مفيد لأنه يضحك الثكلى اللائى فقدن اولادهن حتى لا يعتصرهم الالم أو يأكلهم الحزن ، وليس وراء ذلك من الفوائد شىء فان اغتمت الثكلى لما يقول واستاءت حين تسمع ما يصدر عنه من الحديث فقدت رسالته قيمتها وأصبحت عديمة الجـــدوى ، ولا أظن النساء الا فاعلات ذلك .

انه رسول كل غايته أن يكون مصدقا لما بين يديه من الكتاب .

واذا كان كل مصدق لرسالة محمد نبيا او رسولا جديدا كنا جميعا انبياء ورسل ، وكنا جميعا اعلى كعبا من رشاد خليفة فى ميزان الرسالة والنبوة ، فنحن أكثر منه اعتزازا برسالة النبى ان كان فى قلبه اعتزاز بها ونحن جميعا مقدرون للقرآن والنبى وهو غير مقدر للنبى ولا للقرآن ، بل هو ممن قال الله فيهم : **(وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)(١) .**

ومن العبث العابث أنه يحاول الاستدلال على موقفه هذا بآيات القرآن الكريم فى مجالات كثيرة ، انه يقول : ان طبيعة رسالتى منصوص عليها فى آيات القرآن ، وان الله قد جمع لى الأنبياء واعطونى القهر والميثاق بالنصرة وأشهدهم الله على أنفسهم وأشهدهم على تصديقا لقوله تعالى :

(واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين)(٢) .

ثم هو يقول : (الله قد ورد اسمه فى القرآن أوله وآخره ، فهو يقول مثلا عن اسمه الأول : (رشاد) (ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشـــاد) .

ونحن أيها القارىء معك نرتضى لرشاد ما ارتضاه لنفسه . ان هذه الآية حكاية عن قول فرعون ، نسب لنفسه فيها ما نسبه فرعون مصر لنفسه دون ما يعى أو يدرك ما يقول فمطلع الآية : **(قال فرعون ما اريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد)(٣) .**

---

(١) الزمر : ٦٧ .
(٢) آل عمران : ٨١ .
(٣) غافر : ٢٩ .

ثم هو يحاول أن يوهمك ويوهم غيرك انه هو المقصود بخطاب الله للملائكة : **(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة)**(١) .

بل هو المقصود بقوله تعالى خطابا لداود : **(يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض)**(٢) .

هكذا يسير رشاد خليفة فى هذياناته غير مقدر لعقل أو محترم لفطرة ، سلبوه عقله ، وعصبوا له عينيه فسار فى طريق دون أن يدرى ما يقول ولا يبصر مواقع أقدامه .

وانا اتأمل هذه الحركة من رشاد خليفة فأذكر ماض غير بعيد واذكر منطقة جغرافية وبيئة اجتماعية على بعد يسير منى ، انى اذكر منطقة الهند قبل أن تنشطر الى الهند وباكستان أذكرها حين اغمض القرن التاسع عشر عينيه مستسلما وهو يودع هذا الكون ، اذكرها والقرن العشرون يولد ، وما يزال رضيعا .

مع أخريات القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن العشرين شهدت الدنيا مأفونا كهذا المأفون وأحمقا هو نظير لهذا الأحمق ، هو غلام أحمـــد القاديانى ، تدرج فى دعواه الكاذبة حتى قال : انه رسول ، ثم شعر أنه لابد من رسالة وأصدر نشرات ، وكانت له مجلة تماما مثل ما لرشاد خليفة ، وكانت له مدينة مقدسة ، ومسجد فى قديان ثم الربوة بعد ذلك فى باكستان أو لاهور عاصمة الشعبة الثانية فى باكستان كذلك ، مأفون يشبه مأفونا وأحمق يشبه احمقـــا .

أصدر غلام احمد مجموعة من الأخلاط والأمشاج فى العقيدة وكانت مهمته فى التشريع منحصرة فى أمرين :

---

(١) البقرة : ٣٠ .
(٢) ص : ٢٦ .

الغاء فكرة الجهاد ، وحفز المسلمين الى أن يكونوا خدما لصاحبة الجلالة العظمى ملكة بريطانيا التى لم تغب الشمس عن ممتلكاتها .

فلما طالبه الناس بالتشريع ، قال : انه ليس بنبى مستقل ، وانما هو نبى ظلى يدور فى فلك النبى محمد صلى الله عليه وسلم(١) .

ما الفرق بين هذا المتنبى فى قديان والمتنبى فى توسان ؟

الفرق بينهما زمن ومكان وتعبيرات مختلفة للدلالة على حقيقة بعينها .

(أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)(٢) .

* * *

(١) راجع للمؤلف : القديانية ومصيرها فى التاريخ .
(٢) المجادلة : ١٩ .

رشاد خليفة وموقفه من عقيدة ختم النبوة

سنحاول بمشيئة الله ان نفرد عقيدة ختم النبوة فى الاسلام بقسم خاص ، نذكر فيه ادلة هذه العقيدة النقلية والعقلية من غير أن نلتزم هناك بأسلوب القدماء ومنهجهم ، وان كنا سنحاول ان نستفيد بما تعلمناه على أيديهم من افكار وآراء .

ولذا فاننا لن نتحدث فى هذه الفقرة عن عقيدة ختم النبوة ، وانما سيكون حديثنا عن موقف رشاد خليفة من هذه العقيدة .

ان رشاد خليفة حين يدعى أنه نبى بعد أن حاول ان يتجاوز جميع المعضلات ، بأسلوب يتسم بالبلطجة او التشويش على الأفكار على نحو ما بيناه ، او ابنا عن بعضه ، نجده هنا يحتاج الى تحديد موقفه بجلاء من عقيدة ختم النبوة ، ولن يخلص له القول قبل ان يقنع سامعيه وقارئيه بأن باب النبوة مازال مفتوحا ، خلافا لما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل خلافا لما اكده القرآن الكريم .

واسلوب رشاد هو نفس الأسلوب المبنى على المغالطة ، ومحاولة توظيف ظاهرة عزوف الناس عن القراءة فى الدين فيما يخدم فكرته ، ويسهل عليه مهمته .

انه اولا يفرق بين أمرين : وهما النبى والرسول على هذا النحو :

ان النبى عنده هو ما أوحى الله اليه بشرع جديد ، وأمره بالتبليغ .

اما الرسول فانه ليس بشرط ان يوحى الله اليه بشرع جديد ، وانما يكفيه ان يكلفه الله عز وجل بتصحيح شرع غيره .

وبناء عليه فان باب النبوة قد ختم بنص القرآن الكريم فى قوله تعالى :
« ما كان محمد أبا احد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين »(١) .

أما الرسالة فانها مازالت مفتوحة ، بحيث يرسل الله فى اى وقت من يشاء الى من يريد .

ورشاد خليفة كما قلت ينتهز ظاهرة عزوف الناس عن القراءة ، ونقص وعيهم باللغة وعلوم الدين ليتقول على الله ما شاء له شيطانه ان يتقول على الله ، ويتقول على اللغة ما شاء له شياطينه أن يتقول على اللغة ، من غير أن يجد له معارضا ، أو أن يجد له من يوقفه على الحقيقـــة ، هكذا ظن ، وهكذا يظن أبدا .

ومن المعروف أن النبى يسمى نبيا : لأنه قد نبىء ، اى تلقى من الله عز وجل خبرا ، بوسيلة معينة هى وسيلة الوحى .

وأن الرسول يسمى رسولا : لأنه يبعث من الله الى اناس يطلب منه أن يبلغهم امرا من الله عز وجل .

واذا تأملنا هذا التفسير المبسط جدا ، وهو تفسير لغوى بحت ، نجد العقل والمنطق يحتمان علينا أن لا نقر لرسول برسالته ، الا اذا كان قد وصله نبأ من الله عن طريق الوحى ، اى أن الوصف بالرسول مرحلة تالية للوصف بالنبى ، فالذى لا يتلقى النبأ من الله أو يكون نبيا لا يعقل بحال من الأحوال أن يكون رسولا ، فليس الرسول رسولا الا لأنه يوصل نبأ او خبرا من المرسل بالكسر ، الى المرسل اليهم بالفتح .

واذا أغلق باب التنبؤ الى الأبد فانه من الأمور التابعة لهذا الاغلاق أن باب الرسالة يكون قد أغلق هو الآخر ، اذ لو جاءنا رسول لكان من المحتوم

---

(١) الأحزاب : الآية ٤٠ .

ان نسأله هل نبئت ؟ هل اتاك من الله نبأ عن طريق الوحى ؟ أو بعبارة اخرى هل انت نبى قد أوحى الله اليك بشىء ؟ .

فان قال انى لم أنبأ ، ولكنى فقط رسول سخرنا منه واعتبرناه فاقد العقل ، ميئوس من شفائه وبرئه ، اذ المعلوم للعقلاء أنه لا رســول بغير رسالة ، ولا رسالة بغير وحى ، وانباء من الله عز وجل .

ورحمة برشاد خليفة قد نتنازل عن هذا المبدأ قليلا ، لنوافقه ولو للحظات على مفهومه لحقيقتى النبى والرسول ، فاننا بعد أن نوافقه سنحتاج أن نسأله عن تفسيره للرسول ، فان قال لنا : ان الرسول انسان مهمته تصديق ما بين يديه واصلاحه مما طرأ عليه من الاعوجاج ، وألم به من التحريف كان من حقنا ان نسأل ، اى اعوجاج طرأ على القرآن حتى يأتى رشاد خليفة ليصلحه ، واى خلل الم بهذا الكتاب المقدس ، حتى يأتى متخصص الفاكهة البرارية فيصلح عوجه .

انه لا شىء قد طرأ على الساحة من قبل ، بل ان الله عز وجل قد اكد لنا فى القرآن نفسه أن لم يستحفظ أحدا على الكتاب ، وانما حفظه وتولى حفظه بنفسه ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**))(١) .

وفى اطار هذا الهذيان المغرق فى الحمق ، يعمد رشاد خليفة الى آية الأحزاب السالفة الذكر ، فيقول : ان باب النبوة قد ختم بنص القرآن ، ولكن باب الرسالة ما يزال مفتوحا(٢) .

وهذه أول قضية من قضايا الهذيان ، والخلط المتعمد ، والتشويش على المسلمين فى مجال عقيدة ختم النبوة .

---

(١) الحجر : الآية ٩ .
(٢) انظر الملاحق آخر الكتاب .

والقضية الثانية فى هذا المجال وهى شبيهة بالقضية الأولى فى اسلوبها وطريقة عرضها .

انه يتوجه الى المسلمين الذين تواتر بينهم الاعتقاد فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وكأنه يقول لهم : انكم من اولكم الى آخركم حمقى ، وانكم من أولكم الى آخركم جاهلون ، وانكم من أولكم الى آخركم تكذبون على الله فى اعتقادكم أن محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين .

ثم يحاول أن يدمغ هذه الدعوى الكاذبة على المسلمين بدليل زوره على القرآن الكريم ، انه يقول : ان الأمم السابقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، كل أمة منهـــا ادعت ختم النبوة بنبيها ، وأدعت انتهاء الرســـالة برسولها ، واستشهد بآية غافر الواردة فى شأن سيدنا يوســـف وقومه : **((ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضـــل الله من هـــو مسرف مرتاب))(١) .**

والذى يتأمل استشهاده بهذه الآية يجد أنه يتعمد الخلط والتشويش .

أما اولا : فلأن هذه الآية قد أكدت أن قوم يوسف عليه السلام كان موقفهم موقفا شائنا مع نبيهم ، متناقضا تناقضا يستحق أن يسجل عليهم ، وان يلاموا عليه اشد اللوم ، ذلك لأنهم فى حياته شككوا فيه غاية التشكيك ، وهم بعد موته قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا .

وانا حين أتأمل هذا الموقف المتناقض فى ظاهرة أراه يخضع الى فلسفة واحدة تقف وراء طرفى التناقض الظاهرى ، وهى أن هؤلاء القـــوم من بنى اسرائيل وفى طباعهم أنهم لا يريدون أن يلتزموا بشرع الله ، فحين كان بينهم

---

(١) غافر : الآية ٣٤ .

النبى امرا واتما شككوا فيه حتى لا يتابعوه على ما يقول ، وحين انتقل الى ربه قالوا : لن يبعث الله بعده رسولا ، حتى يعفوا انفسهم من متابعة اى رســول .

ومن اجل هذا سجل الله عليهم هذا الموقف بغاية الادانة والتحقير ثم ختمه بقوله : ((**كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب**)) .

لا تصح الآية مع هذا الوجه بحال من الأحوال ولو حتى بمجرد الاشتباه أن تدل على ما قال رشاد خليفة .

وأما ثانيا : فان هذه الآية لا تقول بأن الله ختم الرسالة بيوسف ، وانما هى تسجل موقفا لأناس يكذبون على الله كما يكذب رشاد خليفة على ربه .

وعجبا : لهؤلاء القوم :

- قبل أن يغلق الله باب النبوة والرسالة يقولون ان الله اغلق باب النبوة والرسالة ، وحين يغلق الله باب النبوة والرسالة بالفعل يسخرون بعض خدامهم فى الديانات المختلفة ليقولوا ان باب الرسالة مفتوح .

اقول عجبا لبنى اسرائيل ، ولا أمل من الاشارة الى السبب الذى يقف وراء المواقف المتناقضة فى ظاهرها .

انهم يدعون اغلاق باب الرسالة حين يكون باب الرسالة مفتوحا ، وهم يدعون أن باب الرسالة مفتوح حين يغلق الله باب الرسالات ، والسبب هو السبب الذى أشرنا اليه من قبل .

انهم لا يريدون الالتزام بشرع الله ، فان رأوا الشريعة قد غابت أو حرفت فى الماضى قالوا ان باب الرســـالات قد اغلق كى يســـتمروا فى تحللهم من الرسالات ، واذا ما راوا أن الشريعة الاسلامية قد استقرت ولم يتمكنوا من تحريفها قالوا : ان باب الرسالة مفتوح ، وجاءوا بألف متنبى كذاب لينشروا على يديه كل تحلل وكل فساد فى العقيدة والتشريع .

هكذا فعلوا وهكذا يفعلون .

« فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هــذا من عنــد الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون »(١) .

ونحن حين نتأمل هذا الوجه فى مفهومنا للآية التى يستدل بها رشاد خليفة على موقفه هذا والخاصة بسيدنا يوسف وقومه نجد أن الآية من هذا الوجه ايضا ليست فى صالح فكرته وانما هى تسجل على بنى اسرائيل فى عصر من العصور أنهم كاذبون ، كما نسجل نحن اليوم على رشاد خليفة بأنه كاذب الا أن القوم حين كذبوا فى الماضى فانهم قد كذبوا حين ادعوا أن باب الرسالات قد اغلق وهو ما يزال مفتوحا **« ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا »** .

ورشاد خليفة حين أمر بالكذب على الله وائتمر كذب فقال : ان باب الرسالة والنبوة ما يزال مفتوحا فى حين أن الله قد أغلقه . **« ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين .. »** .

تلك قضية ثانية من قضايا رشاد خليفة يحاول من خلالها أن يستدل على موقفه بآية من آيات القرآن وقد وجدناها تسمه على الخرطوم بسمات التزييف والتضليل .

وهو فى مجال عرضه لموقفه من عقيدة ختم النبوة يتعلق بفكرة ثالثة خلاصتها أنه حين أدعى أنه رسول وقف الناس فى وجهه وحقروه .

وكأنى به يتخذ من تحقير الناس له دليلا على صدق نبوته ورسالته ، وهو يقول : ان الله ما بعث قبله من نبى ولا رسول الا وقومه ينالون منه(١) ونحن نقره على ما يقول ونخالفه فيما يقول .

---

(١) البقرة : الآية ٧٩ .
(١) انظر الملاحق آخر الكتاب .

وبيان ذلك ان الأنبياء حين يبعثهم الله فى أقوامهم تفترق أممهم أول الأمر الى فريقين :

فريق مؤيد يجد فى الرسالة التى جاءتهم سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وخلاصهم من الظلم والضيم ، ورفعتهم الى مكان العزة والسؤدد .

وهؤلاء القوم يكونون غالبا من عامة الناس وسواد الأمة .

وفريق معارض :

وهذا الفريق كثيرا ما يكون من علية القوم ، والمنتمون الى هذا الفريق غالبا ما تكون لهم مصالح دنيوية تتصل بمنافعهم المالية ، أو مراكزهم الاجتماعية اتصالا مباشرا ، بحيث يريهم الشيطان أن الرسالة أو الدين الجديد فيه خطر شديد عليهم وعلى مصالحهم من كل وجه ، فيدفعون فى وجه هذا الدين بكل ما يملكون من وسائل الدفع أو المعارضة .

وفى كل عصر من العصور نجد المواقف من الدين الصحيح منقسمة هذا الانقسام ، ومفترقة هذا النوع من الافتراق .

ورشاد خليفة حين تنبأ كان كغيره من المتنبئين ، له قلة من الأتباع توافقه ، وضده جمهرة الأمة أو الأمم يعارضهم ويعارضونه . وبقليل من التأمل نجد الحال معه ومع الأنبياء الصادقين معكوسة غاية العكس ، متناقضة غاية التناقض لمن يتأمل الموقفين لأول مرة .

ان حاشية رشاد خليفة واشباهه من المشبوهين والنفعيين والذين هم لا خلاق لهم ولا احترام فى وسط اجتماعى أو دينى ولا هدف لهم الا المنفعة من ناحية ، وفصم عرى العلاقات الاجتماعية فى كل جماعة يؤلف الله بين افرادها من ناحية أخرى .

أما الأنبياء فحالهم غير هذا الحال ، أخلاقهم عالية يتربعون سنام الفضيلة ، ويأخذون بأعنة الأخلاق ، ويرفعون الأمة من السفح الهابط الى

القمة السامقة ، يقدرهم اتباعهم ويزدادون يوما بعد يوم ، ويأكل الضمير الحى نفوس معارضيهم فيلجأون اليهم بغاية التوبة والندم فلا يجدون منهم الا صدرا واسعا وقلبا رحيما .

ان هؤلاء هم الأنبياء وكفى ، وان خاتمهم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا مزيد **وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا** .

ان الله فى خلقه سننا ، ومن سنن الله فى خلقه أن لا يترك للكاذبين الحبل على الغارب ، وان لله فى خلقه نظاما ، وان من نظام الله فى خلقه أن ينصر الحق بما يشاء وبمن يريد .

رشاد خليفة حلقة فى سلسلة طويلة من مدعى النبوة والرسالة .

وانه لمن المنطق المعقول والمقبول أن يدافع هؤلاء الكذابون بعضهم عن بعض ، ويلتف بعضهم حول البعض الآخر حتى يكونوا قوة شيطانية تتمكن من الحق فتعتصره اعتصارا غير ان الله عز وجل لم يترك لهذه القلوب سبيلا للائتلاف ، وانما مهد لهم كل طريق للفرقة والاختلاف حتى يعلم الناس حقيقة أمرهم .

فى العصور الحديثة دفع أعداء الاسلام بمجموعة من المسلمين تنبأت بل تألهت ، ووضع أعداء الاسلام على السنة هؤلاء ما يفرقون به وحـدة المسلمين ويشككونهم فى الاسلام .

ومن بين هؤلاء البابية والبهائية فى ايران والقاديانية بفرعيها فى الهند وباكستان .

وكنا نظن الى اللحظات الأخيرة أن رشاد خليفة سيكون مع هؤلاء يحبهم ويتعاطف مع مبادئهم وأعداء الاسلام هم اعداء النصرانية فى نفس الوقت مهما كانت علاقتنا بالنصرانية ، ولذا فانهم دفعوا بأناس من النصارى فى القديم وفى الحديث لكى يتنبئوا فى النصرانية ، والقوا على ألسنتهم بما يفرق

بين المجتمع النصرانى ويرفع من بين النصارى ما عسى أن يكون بينهم من تقدير للدين واحترام لما يأمرهم به .

وكنا نظن ان رشاد خليفة سيقدر هؤلاء المتنبئين ويحترمهم وينجذب الى مبادئهم غير أن مشيئة الله فوق كل مشيئة فتهيأ رشاد خليفة طبقا لمشيئة الله عز وجل الى سب المتنبئين قبله ، ولعنهم بكل ما يستطيع من بيان وما يملك من قوة ، فأعلن أنهم كذابون ، وأنهم قد افتروا على الله الكذب وأنهم تألهوا فى النصرانية والاسلام ، وان الله عز وجل قد انتدبه ليعلن كذب هؤلاء بين الناس . « **منذ عهد محمد رسول الله وآخر الأنبياء (٣٣ — ٤٠) ظهر العديد من الناس الذين ادعوا النبوة . من هؤلاء بهاء الله الايرانى ، وغلام احمد القاديانى (بباكستان) وجوزيف سميث قائد المورمونية لم يعط اى منهم اى دليل على انه رسول الله . لقد كانت كل عظاتهم متخمة بتاليه محمد او عيسى او كليهما معا .**

قال الرب لى : ان هؤلاء الأنبياء الذين يتفوهون باسمى يكذبون ، وانا لم ارسلهم ، ولم أعطهم اوامر ، ولم اكلمهم ، انها رؤى كاذبة ، ورجم بالغيب احمق . ان احلامهم التى يوحون بها لهى من صنع خيالاتهم »(١) .

وبعد حملته التى شنها بعنف على المتنبئين قبله بلفظه هو وبما نسبه زورا الى الله عز وجل . وجدناه يتلمس بنفسه ادلة ظن أنها تؤيد موقفه وهى على اية حال تتوجه اليه كما تتوجه الى المتنبئين قبله باللوم واللعنة .

استشهد من الانجيل بنص واستشهد من القرآن بنص ولا ينفعه ما استشهد به من الانجيل كما لا يفيده ما استشهد به من القرآن .

---

(١) رسالة الى العالم كتبها بالانجليزية رشاد خليفة ونقلها الى العربية دكتور / صلاح العجيمى . انظر ملاحق الكتاب .

وتلك عبارته : [(يقول ارميا النبى ١٤ — ١٤) « قد حذرتك من الانبياء المزيفين الذين يأتون اليك فى ثوب الحمل ومن تحتها ذئاب مفترسة . سوف تعرفهم من اعمالهم » (متا ٧ — ١٥ — ١٦) .

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح اليه شيء » (القرآن الانعام ٩٣)](١) .

هكذا فعل رشاد خليفة وهكذا لعن رشاد خليفة كل متنبىء قبله .

« وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون »(٢) .

صديق وظيفته لعن المتنبي الجديد :

فعل رشاد خليفة بالسابقين عليه الذين تنبؤا قبله ما فعل وظن انه بذلك قد تربع قمة النبوة وخلصت له الرسالة واصبح بريئا عن التهم منزها عن أن يلعنه غيره .

لقد استخلص رشاد خليفة لنفسه إستاذا مساعدا بجامعة الأزهر سابقا ورفعه الى مرتبة تلى مرتبته مباشرة فى الولايات المتحدة الأمريكية وهى مرتبة ممتازة لا شك وهى مرتبة يحلم بها كل من كان خالى الوفاض من دينه قليل الانتماء الى اهله وعشيرته .

وحدث ما حدث من اشياء ربما احدثك عنها عما قريب جعلت الرجل الثانى يعود الى مصر .

ومن خلال حديث خاص وجه الى الرجل الثانى بعد مقدمه الى مصر كان هذا السؤال :

هل تعتقد يا عزيزى أن رشاد خليفة ادعى النبوة بالفعل ؟

---

(١) انظر المرجع السابق .
(٢) الأنعام : ١٢٩ .

اعتدل الرجل فى جلسته وتأمل السائل تأمل المتعجب المغرق فى العجب ثم قال : لقد عرض على النبوة أولا قبل أن يدعيها لنفسه وقال لى : ما الذى يمنعك يا . . . من أن تدعى بين الناس من انك نبى وأن جبريل قد أتاك بالوحى خصوصا وأن آيات القرآن الكريم قد اشتملت على اسمك وبشر عيسى عليه السلام من قبل بهذا الاسم .

يقول الرجل الثانى بعد رشاد خليفة فى حديث خاص لقد انكرت عليه ولم أقبل منه هذا العرض = هكذا بكل بساطة = فلم يلبث أن ادعى النبوة لنفسه وكان تاريخ ادعائه للنبوة هو شهر مايو من عام ١٩٨٨ = اهـ = .

والى هنا اتوقف عن النقل من هذا الحديث الخاص للرجل الثانى فما توسان لاقول ان هذا الحديث عجيب ينضم لعشرات المواقف من الأعاجيب التى صدرت عن رشاد خليفة وعن الرجل الثانى بعده .

لقد ادعى رشاد خليفة أن الوحى قد هبط عليه فى ســـن الخامســـة والاربعين من عمره الميمون اى فى سنة ١٩٨٠ ورجله الثانى يقول انه قبل شهر مايو المذكور لم يكن قد خطر بباله النبوة ولم يكن قد تهيأ لها .

ولا ندرى على وجه اليقين من الكاذب ومن الصادق من الرجلين .

أما الرجل الثانى فهو يرى ويصرح بما رآه أن رشاد خليفة كاذب فى كل نفس من انفاسه وقد ظل يكذب ويتحرى الكذب حتى خالط الكذب كل خلية من خلايا لحمه وعظمه ويؤكد الرجل الثانى أن رشاد خليفة حين ادعى النبوة والرسالة فانه بدعواه تلك قد وضح انه نبى للشيطان ورسول لابليس ولا يعقل أن يكون نبيا لله عز وجل .

والشىء العجيب والذى يحتاج الى تفسير أن الرجل الثانى حين توجهنا اليه بسؤال مؤداه لماذا لا تعلن براءتك من رشاد خليفة فى مصر بين أهلك وذويك أجاب بهذه الاجابة العجيبة والرخيصة سأحاول أن اذكرها بالفاظ

قريبة من الفاظه التي اجاب بها قال مستنكرا : وماذا أفعل بهؤلاء الذين يعيشون فى مصر ؟ اننى لم اعد أهتم بهؤلاء اننى أصبحت رجلا عالميا يتلقف الاعلام فى الخارج ما اكتب وما أقول ثم قال متشفيا لقد كنت فى السجن قبل ان أسافر الى توسان فما الذى صنعه لى المصريون حتى أحترم مشاعرهم ؟ على أية حال انى أكتب الى الناس فى الخارج انى اكتب الى الأمريكان وغيرهم ممن لا يتحدثون العربية . لقد كتبت خطاب البراءة من رشاد خليفة وكتبت رسالة فى الانجليزية من اربع صفحات وارسلت بها الى أمريكا لتنشر من هناك(١) .

وانت حين تتأمل رشاد خليفة فى تنبؤه هذا ربما يتضح لك أن الله قد سلط عليه صديقه الأول الذى عرض عليه أن يكون نبيا أول الأمر وما اظنه قد رفض ولكن المخرج فى توزيع الأدوار دائما تكون له كلمة الفصل .

الرجل الثانى وصيانة الاحتمال :

ان حركة التآمر ضد الاسلام قد أصابها الله بنوع من الجمود جعلها تظهر فى العصور المتأخرة ما أظهرته من قبل فى عصور سابقة عليها .

وفى موضوع رشاد خليفة ورجله الذى يليه رأينا أمورا لم تبد لنا غريبة على نحو من الأنحاء .

فى احدى الجلسات الخاصة صرح الرجل الثانى فى حركة توسان بعد أن جاء الى مصر بتصريحات لها دلالتها فى حركة التآمر ولها نظائرها فى التاريخ القريب لقد قال وهو فى نشوة الطاووس انه قد هاجر لله مرتين الأولى : من مصر الى توسان والثانية من توسان الى مصر وانه على عداء شديد لرشاد خليفة الآن وكان من اشد اصدقائه ومن أخلص رجاله قبل شـــهر مايو من عام ١٩٨٨ .

---

(١) انظر هذه الرسالة ضمن الملاحق آخر الكتاب فى لغتها العربية .

وقد سأله أحدهم عن مكانته ومكانة رشاد خليفة فى توسان فأجاب قائلا : ان رشاد خليفة له مكانة أدبية ومركز مالى ممتاز .

اما مركزه المالى فالدليل عليه ما يملكه من أموال لا يعلم حجمها وعددها الا الله . ثم قال للسائل اياك أن تظن بمسجد توسان انه مسجد هزيل قليل القيمة انه مركز ضخم تحيط به الحدائق والمساكن وفيه كثرة هائلة من الامكانات الضخمة التى تحتاج العديد والعديد من الأموال ورشاد خليفة ينفق على كل هذا من ماله الخاص (هكذا من ماله الخاص) .

اما مكانته الأدبية (والحديث ما يزال للرجل الثانى فى حركة توسان) فيكفى استدلالا عليها كيفية خروجى من مصر اننى قد خرجت من مصر بعد أن عرض موضوعى على الكونجرس الأمريكى وطلب رشاد خليفة من الكونجرس الموافقة على استقدامى الى أمريكا واعتبارى لاجئا سياسيا .

وقد وافق الكونجرس على ما يريد رشـــاد خليفة وذهبت الى امريكا لاجئا سياسيا .

وحين ذهبت الى هناك تخطى بى رشاد خليفة كل الحدود والحواجز ورتب لى اللقاءات وهيئت لالقاء المحاضرات ... وعلى الجملة لقد أصبحت الرجل الثانى .

والى هنا أريد أن اقول ان الرجل صادق فى كل ما أدلى به لقـد كان بالفعل الرجل الثانى ولا يزال هو الرجل الثانى وان رشاد خليفة يتمتـع بامكانات مادية لا يملك منها الا الانتفاع بها بالقدر وبالاسلوب الذى يراد له من خلالهما أن ينتفع بها ، ولرشاد خليفة كذلك مكانة وكلمة مسموعة لكن بشرط ان تكون الكلمة فى حدود ما يزلزل فى نفوس الناس العقيدة ويقطـع الروابط الاجتماعيـة .

اقول ان رجل حركة توسان الثانى يبدو الى هذا الحد صادقا ولكنه عاد الى طبيعته . طبيعته التى لم تتحمل الصدق على طول الخط ولم يقدر لها ان تطيقه طويلا أو تصبر عليه حينا من الزمن لقد بدأ فى الكذب خاصة عندما طلب منه الاجابة على هذا السؤال لماذا تركت أمريكا مع أن الظروف قد هيئت لك واتيت الى مصر وانت تعلم أنك ليس لك فيها ود ولا عمل ؟

لقد أجاب على هذا التساؤل باجابات تفوح منها رائحة الكذب انه قال فى هذا المجال كلاما كثيرا خلاصته انه طرد من أمريكا لخلافه فى مسألة النبوة مع رشاد خليفة ولكنه ما يزال له هناك رجال (كما قال) يحرصون على تدبير معايشة وهو هنا ثم اسرع بالقول كى يحافظ على شىء من ماء وجهه . انما ياتينى من أموال وما يتوفر لى من أسباب المعايش انما يأتى فى مقابل ما أكتب واذيع من فكر وآراء (نعم من فكر وآراء) غير أن محدثه ساله سؤالا حاسما يضعنا مباشرة على حقيقة العلاقة التى تربط بين الرجل الثـانى فى حركة توسان وبين رشاد خليفة الرجل الأول فيها وهذا السؤال الحاسم هو هل مازلت على رايك بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم ومازلت تعتقد انه غير معصوم وأن السنة انما هى من عمل الشيطان ؟ أجاب بحدة قائلا ان المسألة هنا مسألة عقيدة ولا يصح أن يتنازل الرجل عن عقيدته ؟

اننى اكد لك انها عقيدة وليست فكرا وسواء كنت هنا فى مصر أو هناك فى توسان .

فان عقيدتى هى عقيدتى لا تتغير .

اننا من خلال هذا الحديث لرجل حركة توسان الثانى نستطيع أن نقف على حقيقة العلاقة بينه وبين رشاد خليفة .

وسوف اشرح ببساطة هذه العلاقة مستشهدا لما أقول بنظير هـذه الحركة فى الماضى القريب .

حين استقطب خونة الاسلام رشاد خليفة الى صفوفهم واستخدموه لخيانة أمته ودينه وظلوا يدفعون به نحو قمة التآمر شيئا فشيئا وفى كل مرحلة من مراحل التآمر يصل اليها رشاد خليفة يجمع خونة الاسلام حوله الكثير من الاتباع والصحاب الذين يشاطرونه خلائقه ويقاسمونه صفاته .

وحين طلب خونة الاسلام من رشاد خليفة أن يدعى النبوة أشعرتهم تجاربهم الماضية ان بعض رفاقه سينفضون من حوله وهو أمر أثبتته تجربة ايران فى البابية والبهائية كما أثبتته تجارب اخرى فى غير ايران .

معنى ذلك أن هناك احتمالا قويا أن بعض الناس سينفضون من حول رشاد خليفة حين يدعى رشاد خليفة انه نبى .

انه احتمال ولابد من الاحتياط لنتائج هذا الاحتمال والاحتياط الوحيد المقبول أن يقوم أحد الرجال المرموقين على قدم وساق فيكذبون رشاد خليفة فى دعواه للنبوة ويتعهد مركز توسان نفسه بنشر هذا التكذيب تحت ستار الحرية المكذوبة .

وهكذا يبدو فى الحركة الواحدة اتجاهان مختلفان وهما فى الواقع اتجاه واحد . وهذان لاتجاهان هما :

رشاد خليفة المتنبى الجديد وحوله من الأتباع ما حوله والرجل الثانى الذى ينشط فى تكذيبه فى دعواه النبوة وفى دعواه النبوة فقط مع تمسكه بجميع المبادىء التى قام عليها مسجد الضرار فى توسان .

وسوف يستفيد دعاة التآمر من هذا التقسيم فائدتين فى نفس الوقت .

الأولى : انهم يضمنون ان المنشقين على رشاد خليفة حين يدعى رشاد خليفة النبوة لن يخرجوا بحال من الأحوال عن خيانتهم التى سلكوا الطريق اليها وانهم لن يعودا بحال من الأحوال الى الانتماء الى دينهم وأمتهم واهلهم وذويهم وانما الذى سيخرج منهم معارضا لرشاد خليفة بامكانه أن ينضم الى

الجناح الثانى المعارض لرشاد خليفة فى دعوى النبوة والموافق له بعد ذلك فى كل ما ادعاه .

والمتأمل فى هذا التقسيم والمتصور لهذا التخطيط حين يستحضر امامه ما حدث هناك على ارض الهند لا يرتاب فى صدق ما قلناه .

لقد سبق القول منا ونحن نتحدث عن القاديانى والقاديانية أن الرجل الثانى فى قاديان كان هو محمد على اللاهورى لقد ظل محمد على خادما امينا لغلام أحمد يحرر له جريدته ويشرف على ما فيها من افكار ويترجم له القرآن ترجمة مضللة وفجأة حين ادعى غلام احمد انه نبى بدأ الناس يختلفون عليه وبدأت الأمة تضيق عليه الخناق ولم يكن دعاة التآمر قد أعدوا بعد للأمر عدته ولم يكن فى حسبانهم ان احدا سينفض عن غلام أحمد بعد دعواه النبوة .

ومات غلام أحمد فى سنة ١٩٠٨ وتولى امر القاديانيين بعدهم حكيم نور الدين وكان من الشخصيات التى لها وزنها فى التآمر ومات الحكيم نور الدين فى سنة ١٩١٤ ميلادية وترك القاديانيين فى حالة لا يحسدون عليها وكان على الرابضين خلف حركة التآمر أن يجدوا الحل وهداهم شيطانهم الى أن يقسموا القاديانية الى شعبتين : شعبة يتولها نجل غلام احمد وهو بشير الدين محمود وتظل على عهدها القديم وأخرى يتولاها محمد على اللاهورى وتكون هـذه الفرقة على عهدها كله مع تغيير يسير خلاصته أن يقوم محمد على بانـكار فكرة النبوة التى ادعاها غلام احمد والاكتفاء بالقول بأن غلام احمد قد جاء فقط ليجدد للأمة امر دينها .

وظل خونة الاسلام يدربون محمد على على ما ينبغى ان يقول احد عشر عاما من الزمان ثم أعلن عن جناح جديد للقاديانية مركزه فى لاهور بباكستان سنة ١٩٢٥ ميلادية يقر بما يقر به رجال قاديان فيما عدا ادعاء غلام أحمد بأنه نبى .

استطاع خونة الاسلام بهذه الحيلة أن يحتاطوا للأمر كله فالفارون من قاديان لجئوا الى الجناح الثانى فى لاهور وكلاهما تجرى دماء شرايينه حين يضخ الدم فى هذه الشرايين قلب واحد هناك وراء الكواليس .

ويعود رشاد خليفة فى حركته هو ورجله الذى يليه ليمثلا الدور بعينه مع فارق واحد وهو ان خونة الاسلام لم يدخلوا هذا المشهد الأخير فى خطتهم الا فى وقت متأخر .

ولكنهم هنا قد أعدوا للأمر عدته منذ البداية .

ان الفائدة الأولى التى قصد اليها هؤلاء القوم اذن هى : الحفاظ على جميع الرفاق كى لا يخرج منهم واحد .

اما الفائدة الثانية : فهى احتمال ان يتوحد اتباع رشاد خليفة حتى ولو على الضلال والوحدة أمر مقلق لخونة الاسلام على طول الزمان وعرضه .—

وحتى لا يتمكن هؤلاء الرفاق من توحيد صفوفهم قام القوم بتجزئتهم وتقسيمهم الى فريقين .

« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »(١) .

معجزة النبى الخاتم لا تكون الا له :

مرت سنوات طويلة ورشاد خليفة يتحدث عن القرآن حديثا مطولا ومعـــادا .

وما كنا نظن وما كان رشاد خليفة يظن يوما أن هـــذا الحديث المطول والمعاد ، قد قصد من ورائه أن يكون معجزة لتنبؤ رشاد خليفة ، حين تكون الفرصة مواتية لتنبؤه .

---

(١) الأنفال : الآية ٣٠ .

وفى الايام الاخيرة أمن رشاد خليفة بالتنبؤ متنبا ، وادعى أن معجزته التى تؤيد تنبأه هى القرآن الكريم نفسه ، وما فيه من وجه اعجاز يثبت أنه من عند الله .

ونحن لا نريد أن نعود الى هذيانات الأعداد والأرقام من جديد ، حتى نرحم ذهن القارىء وأذنيه من تكرار العبث على مسامعه وفكره ، ولكننا هنا نريد أن نكشف عن مغالطة تضم الى عشرات المغالطات ، التى يهدف اليهـا ويتبعها زعماء التآمر واتباعهم .

لنفترض ان رشاد خليفة اكتشف دون غيره وجها من وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم ، فهل يعد هذا اللون من الاكتشاف معجزة له ، أو تأكيداً لمعجزة نبى اثبتت صدق نبوة نبى قبله فيما ادعاه ؟ !

لقد جاء النبى صلى الله عليه وسلم بين قومه وذويه ، وادعى أنه نبى ورسول وادعى أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأيده الله بما أيده من المعجزات على مختلف الوانها ، ثم أيده مع ذلك بالقرآن الكريم .

ومعجزة القرآن معجزة فريدة تختلف عن غيرها من المعجزات ، سواء منها ما اظهره الله على يد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، أو ما اظهره على يد الأنبياء من قبله .

وما تتميز به معجزة القرآن أنها معجزة دائمة العطاء ، مستمرة التحدى ، حتى بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى .

وهذه الميزة فى معجزة القرآن الكريم هى نفسها دليل على أن النبى خاتم الأنبياء والمرسلين .

وبيان ذلك أن النبى حين يدعى أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، فانه بهذه الدعوى يقول للنـــاس أجمعين ، لا تنتظروا بعدى نبيا يرفع نســبة وعيكم

بالتوحيد ، أو يصطلح مساركم فى الحياة بتشريع جديد ، أو اصلاح ما بين يديكم من التشريع .

ومن رحمة الله بأمة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، انه حفظ عليهم هذه المعجزة الدائمة القرآن ، وجعلها تظهر فى كل عصر بما يعجز اهله ، وجعل العلماء من هذه الأمة يستنبطون منها فى كل عصر ما يتحدى المعاصرين فى ارقى ما وصلوا اليه ، فيعجزهم فيه .

هكذا يستجيب القرآن لمتطلبات كل عصر ، وهكذا يتحدى القرآن على القمة فى كل عصر .

والعلماء فى كل هذا يقولون : ان القرآن هو معجزة النبى الدائمة التى تثبت صدقه فى دعوى النبوة والرسالة ، وفى دعوى ختم النبوة والرسالة ، وهم فى كل هذا يعتقدون أن دورهم الحقيقى ، هو أن يجلسوا بين يدى القرآن فى كل عصر ، بعد أن يستقرئوا مشاكل عصرهم ، ويقرأوا الحلول المقترحة لها ، ثم يعرضوا ذلك على القرآن الكريم ليجدوا فيه الحل الذى يخالف جميع الحلول ان كانت الحلول مارقة ، ويستكملها ان كانت قاصرة ، وهو فى كل ذلك يظهر آية من الاعجاز ربما لم تكن قد ظهرت لمن سبق من اناس عاشوا فى عصور متقدمة ، وان كان قد ظهر لهم من وجوه الاعجاز غير ما يظهر للمحدثين .

القرآن اذن يظهر لأهل كل عصر فى الثوب الذى يعجزهم ، ولا يقبل القرآن التحدى الا على القمة .

ويبدو لى اننا جميعا نعلم هذا ، وندركه ونعيه ، ولا يغيب عن واحد منا من هذا شيء ، حتى ولو كانت بضاعته فى العلم قليلة ، أو صلته بالاسلام يسيرة .

اكتشف العلماء فى الماضى بعض أسرار القرآن ، ووقفوا على بعض وجوه اعجازه ، وكان ما ذكروه من وجوه الاعجاز ، تتناسب مع عظمة القرآن وجلاله ، وما رأينا واحدا من العلماء ادعى أنه نبى ، واتخذ من اكتشـــافه لبعض وجوه اعجاز القرآن معجزة تؤكد دعواه أنه نبى .

وقد شاء الله أن نعيش حتى نرى رشاد خليفة يدعى أنه نبى ، ويدعى أن القرآن الكريم الذى هو معجزة النبى محمد معجزة له ، ولما رأى موقفه ورأى أنه لا يحسد عليه حور فى العبارة وبدل ، وقال : انه لا يدعى القرآن معجزة له فى الحقيقة ، وانما معجزته على حد ما يقول : هى أنه الكاشف لوجه الاعجاز الحقيقى للقرآن الكريم ، ووجه الاعجاز عنده أن القرآن الكريم يدور بتمامه على العدد تسعة عشر ، وأن العدد تسعة عشر بمثابة التوقيع الالهى على كل فقرة من فقرات القرآن الكريم اعتمادا لها ، وبيانا أنها كلام الله المنزل على النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ونحن نبرىء القرآن من أن يكون مثل هذا الموقف التافه ، وننزهه من أن تكون هذه الفكرة الهزيلة وجه اعجاز للقرآن ، فضلا عن أن تكون هى وجه الاعجاز الوحيد .

ونحن نتنزل مع رشاد خليفة فى النقاش كما نتنزل مع الصبيان لنرضيهم ، أو لندرك ما عندهم فنقول : لنفترض أن ما ذكره رشاد خليفة وجها من وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم ، أو لنفترض أن ما ذكره رشاد خليفة هذا الوجه الوحيد لاعجاز القرآن الكريم ، ولنفترض أن رشاد خليفة هو وحده من دون العالمين الذى اكتشف هذا الوجه ، ثم نسأل اذا كان رشاد خليفة قد اكتشف وجه اعجاز القرآن الكريم ، فهل يعد هذا الاكتشاف معجزة له ، أو يعد تأكيدا لمعجزة النبى صلى الله عليه وسلم ؟ !

لم يقل عاقل أو مجنون على طول التاريخ وعرضه ، أن ادراك وجـــه الاعجاز يعد معجزة لمن ادركه ، وانما اتفق العقلاء والمجانين جميعا على أن المعجزة أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد مدعى النبوة ، ويدرك المدعوون الى متابعة النبى ما فى هذه المعجزة من وجه الاعجاز ، والا لكانت المعجزة عديمة القيمـــة .

ثم لنا ان نسأل رشاد خليفة عن وجه الاعجاز الذى أدركه ، هل اكتشفه هكذا بغير آلة ، أو اكتشفه بآلة مصنوعة ؟ ان رشاد قد صرح أن هذا النظام الحسابى فى القرآن قد اكتشفه بواسطة الكمبيوتر ، تلك الآلة الحديثة التى بهرت العقول ، واغشت الأبصار .

ورشاد خليفة بتصريحه هذا كأنه يقول لنا من طرف خفى ، انه قد قام بتصميم هذا النظام الحسابى على هواه ، ووضعه فى الكمبيوتر مبرمجا ، ثم استصحب معه هذه الآلة لتظهر على الناس ، واستدعى على شـــاشتها ما استبطنها اياه من البرامج التى خطها بيده ، ونظمها بفكره المشـــئوم ، وخياله المريض .

ونحن نرفض أن يكون مثل هذا وجها لاعجاز القرآن الكريم ، فالقرآن لا يتحدى الا على القمة .

ويبقى رشاد خليفة يستعمله من يستعمله ، ويوجهه من يوجهه الى ان يقضى الله فيه بأقرب الأجلين ، اما التوبة ، واما الموت على ما هو عليه .

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »(١) .

---

(١) الشعراء : الآية ٢٢٧ .

القسم الثانى

مع عقيدة ختم النبوة فى الاسلام

بين يدى الموضوع

اننا نحاول أن نكتب شيئا عن عقيدة ختم النبوة فى الاسلام بعد رحلة طويلة مع المتنبى لم نستفد فيها علما ، ولم تسترح النفس فيها شيئا من الاسترواح ، فالحديث عن المتنبى لا يفيد علما لأن ما يعالجه من الأمور تتصل بالخيال والتزوير ، ولا صلة لها بالحقيقة أو الأمور الواقعية ، وهى فى الوقت نفسه ليست من قبيل الأدب أو الفن الجمالى لا فى أساليبه ، ولا فى جمله ، ولا فى موضوعاته التى يعالجها ، وانما ما يعرض به رشاد خليفة أفكاره انما هو نوع من الأسلوب الركيك ، والجمل المهلهلة التى لا تمتع فؤادا ، ولا تربى ملكة فى وجدان .

نتحدث عن عقيدة ختم النبوة فى الاسلام بعد هذه الرحلة الشاقة والمضنية ، لنعيد للعقل نشاطه ، ولنعيد للوجدان استقامته ، ولنعيد للسنان صلاحه اللغوى بعد أن مل العقل ، وفسد الوجدان ، واعوج اللسان .

نتحدث عن عقيدة ختم النبوة فى الاسلام هنا لنعيد للنفس شخصيتها واستقامتها ، ولنعيد للانسانية ثقتها فى أبنائها بعد أن غرر بها الضلال والاضلال تحت أضواء شديدة اللمعان ، ووسط أصوات شديدة القرع قوية الذبذبات .

وكان لابد أن نتناول هذا الموضوع هنا ، وفى كل محاولة من المحاولات السابقة على هذه المحاولة ، والتى تناولنا فيها قصص المتنبئين الذين سلكوا طريق هذا المتنبى الجديد قبله ، وارتادوه قبل أن يرتاده ، وتعرفوا على معالمه بعد أن قطعوه ، قبل أن يتعرف هو على تلك المعالم أو يدرى عنها شيئا .

نتحدث عن عقيدة ختم النبوة فى الاسلام هنا ، لأن الحديث عنها ضرورى ، وكان الحديث عنها ضروريا فى المحاولات السابقة ، ولكننا نعتذر عن أننا لم نذكرها هناك فى حديثنا عن القاديانية ومصيرها فى التاريخ ، ونعتذر أيضـــا لأننا لم نذكرها هناك اثناء حديثنا عن البهائية وسائل وغايات ، حيث أننا كنا نظن أنه يكفى أن نحيل على كتاب كنا قد كتبناه قبل تلك المحاولات ، قد ذكرنا فيه هذه القضية باستفاضة ، وأسميناه نظرية النبوة فى الاسلام .

غير اننا نرى فى هذه المحاولة مع هذا المتنبى الجديد أن نعيد الحديث عن هذه القضية .

اولا : لأن العهد قد طال بين كتابة هذه المحاولة ، وكتابة نظرية النبوة فى الاسلام ، وفى هذا الزمان الذى يفصل بين المحاولتين ، قد شبت أجيال لم تعرف عن المحاولة الأولى شيئا ، وربما لم يقع فى يدها كتابنا نظرية النبوة فى الاســـلام .

وثانيا : لأنه قد حدثت متغيرات جديدة ، وغير أصحاب الجمعيات السرية فى حديثهم بصدد مناوءة ختم النبوة فى الاسلام تغييرا هو الى المناورة أقرب ، وبمحاولة اتخاذ موقع جديد لعله يفيد فى تقويض تلك العقيدة أشد التصاقا .

لهذا كله وكثير غيره رأينا أن نكتب من جديد فى شىء من الاختصار غير المخل عقيدة ختم النبوة فى الاسلام ، بأسلوب يلائم هذه الهجمة الجديدة ، ويتناسب مع هذا العبث المستحدث آملين أن يكون فيما نكتب هـــذه المرة راحة لنفس القارىء ، وحافزا لقلب الباحث الشيحان الغيور على دينـــه وأمته ، فينطلق الى تعميق الفكرة ، وتوسيع البحث ، ورد كيد أعداء الاسلام عن الاســـلام .

حاجة البشر الى الرسالة

لم نحاول هنا ان ندخل فى جدل مع أولئك النفر الذين يدعون أنه لا حاجة بالبشرية الى نبى أو رسول ، ولا تحتاج الانسانية قط الى تشريع له أدنى صلة بالسماء ، لن ندخل فى جدل مع هؤلاء ، فليس من قصدنا الآن أن ندخل فى جدل مع هؤلاء ، وانما قصدنا من أول البحث الى آخره ان نعايش المتنبى فى مدعاه ، كما عايشنا المتنبئين قبله فيما ادعوه ، والمتنبى لم يدع أن الناس لا يحتاجون الى الرسالة او النبوة ، والا لما كان لتنبئه معنى يذكر ، فلنبق مع المتنبى ، ولا ندخل فى نقاش جانبى ، مع اننا نعلم علم اليقين أن المتنبى بما يدعيه من النبوة ، والعلمانيين ، وما يدعونه من وجوب البعد عن الدين ، ووجوب أن نقلب له ظهر المجن قد نبتوا جميعا من أصل واحد ، وتحركهم جميعا جمعية سرية تعينها فى خطة متكاملة ، المراد منها احداث هزات عنيفة فى نفوس المسلمين أو المتدينين ، بقصد فصلهم عن دينهم حتى يتفرد الشيطان بعد ذلك بالألوهية كما يقولون ، ويتفرد وحده بتوجيه الخلائق الى ما يريد على نحو ما يشتهون . ولن يمكنهم الله من ذلك . **« ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين »**(١) .

لن ندخل فى جدل مع العلمانيين ، وانما سنستبقى الجهد كله لشرح حاجة البشر الى الرسالة مستندين الى البدهيات التى لا تقبل الجدل ، والأوليات التى لا تحتمل النقاش .

فنقول : والله المستعان ان الانسان تحيط به ثلاث دوائر كلها له بها علاقة ، ولا يستطيع أن ينفصل عن واحدة من هذا الكل .

---

(١) الحجر : ٤٢ .

الدائرة الأولى : وهى ترمز الى ما ينبغى أن يكون فى القلب من اعتقاد وتصـــور .

والقلب يحتاج أن يتصور امورا ، ويعتقد فى مسائل ليس من السهل عليه ان يصل اليها بنفسه ، أو ان يدركها بمفرده ، لأن ما يملكه من وسائل الادراك اقل كفاءة من أن يصل الى حقيقة مثل هذه المسائل ، وما يتاح له من المناهج العلمية اضعف من ان يدرك به حقيقة ما يبتغيه منها .

وحين يعز على الانسان الادراك ولا يستطيع أن يصل الى كنه شيء معين فانه لا يكون أمامه الا احد امرين . اما أن يظل جاهلا به جهلا لا يفارقه . واما أنه يؤمن به من طريق تام الاستدلال على صحته . وثبت اليقين بأنه لا يخطىء .

وليس وراء هذين الطريقين الا الوهم والضلال .

ولأن يظـــل المرء جاهلا ببعض القضايا التى يحتاج الى معرفتها كى تستقيم حياته ويعتدل حاله لأمر فيه من الخطر ما فيه .

وبناء على هذا فان الانسان بحكم ذاته واحتياجه وبحكم الظروف التى تحيط به .

يجب عليه أن يلجأ الى الطريق الآمن ليأخذ منه المعلومة اليقينية فيما يتصل بالقضايا التى تهمه ليتكون عنده نوع جديد من المعرفة تخالف المعرفة التى تأتيه عن طريق الاستدلال والتى يأخذها بمنهجه البشرى .

وهذا اللون من المعارف هو ما نطلق عليه فى اصطلاحنا معاشر المتدينين مصطلح — الايمان — وما يستقر منه فى القلب وينعقد عليه نسميه — عقيدة .

ومن أمثلة هذا النوع الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر .

وهى أمثلة وردت فى الحديث النبوى الشريف والمشهور بين النـــاس بحديث (جبريل) .

وهذا اللون من الاعتقاد ، منه ما يتصل بالانسان بداية ومصيرا ومنه ما يتعلق بوعى الانسان بربه ذاتا وصفتا فى حدود ما أمر الله به وفى نطـــاق ما كشفه لنا من معلومات ، ومنه ما يتعلق بالأنبياء باعتبارهم وسطاء بين الله وبين عباده ومنه ما يتعلق بالكون وتصوره . تصوره من حيث نشـــأته . وتصوره من حيث علاقته بالله بداية وانتهاءا .

وجميع هذه الأنواع من الاعتقادات والتصورات من الصعب على الانسان بل من المستحيل أن يصل اليها بقدراته هو الشخصية أو بوسائله الذاتية .

ولذا كان من رحمة الله عز وجل أن كشف له عن كل ما يحتاج منهـــا فحدثه عن أصله كما حدثه عن أصل الكون ، وحدثه عن مصيره كما حدثه عن مصير جميع الكائنـــات ، وحدثه عن الاله والرب الذى ينبغى ان يتوجه اليه بالعبادة ويلتجأ اليه بالطلب فى كل ما يحتاج اليه . حدثه عن الله وحدثه عن ربه بقدر ما يستطيع الانسان أن يفهم ، وأبان له من هذه المسألة بمقـــدار ما يدرك أو يعى .

من رحمة الله عز وجل انه علم الانسان أمورا كان من المستحيل عليه أن يعلمها لأنه لا يملك الوسائل الى معرفتها فأتاه بها يقينية عن طريق الوحى واوصلها له عن طريق النبى الذى ثبت عنده انه صادق فى البلاغ عن ربه .

غير أن الانسان هو الانسان يدعو بما يضره ويطلب ما لا ينفعه حمقا منه أو جهلا فهو يحاول أن يعادى الدين أحيانا ويطلب فى مسائل الاعتقاد معرفة عن طريق الدليل أو المنهج المادى فيخطىء الطريق ويضل لأنه اقحم نفسه فى مفاوز لا يملك الوسائل لقطعها ولا يملك الزاد الذى يساعده على

اجتيازها ثم يقول اذا انا لم افعل ذلك كنت انسانا ناقصا فى ذاته وناقصا فى حريته ولا يجوز أن اومن الا بما استقام لى فيه الدليل ولا اعتقد الا بما كان فى اطار المنهج ، تسائل الانسان على هذا النحو وهو فى حالة من غرور النفس والاعتزاز بما عنده منذ قرون مضت من الزمان وحاول أن يرسم لنفسه طريقا فى مسائل الاعتقاد غير طريق الايمان بما جاء به الرسل وفشلت جميع المحاولات وانقسم الناس مذاهب وشيعا .

فمنهم من نفض اليد جملة من المسائل الاعتقادية .

ومنهم من سار فى الاعتقاد على اساس من الوهم والخيال وقيـــاس الغائب على الشاهد . ومنهم غير ذلك .

وفى جميع هذه المحاولات ضلال لا يستقيم على هدى وشطط فى القول والراى لا يستقيم على جادة الطريق والاعتدال فى القول والفكر .

وجماهير الناس يرون كما نرى أن الله كان ولا يزال بعباده رءوفا رحيما . حيث لم يكلفهم أن يتوصلوا الى المسائل الاعتقادية بأنفسهم ولو أن الله فعل بعباده ذلك لكان قد كلفهم مالا يُطيقون تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والقول الفصل فى هذه القضية او فى هذه الدائرة على العمـــوم أن الانسان على اتساع كلمة الانسان يحتاج الى الرسالة فى مجال الاعتقاد .

الدائرة الثانية : وهى ترمز الى مجموعة التشريعات التى تنظم للانسان سلوكه مع نفسه ومع بنى نوعه ومع ربه على كل حال .

انه لمن المعلوم أن الانسان غامض بل انه ليكتنفه الغموض فى تكوينه وفى كل ما يأتى وما يدع من الأمور .

والانسان حين تنشـــأ بينه وبين بنى نوعه علاقات ترتبط بســـلوكه وسلوكهم فان هذه العلاقات تشكل لونا من الظواهر تشبه الظواهر الطبيعية من جهة وتخالفها من سائر الجهات .

اما انها تشبه الظواهر الطبيعية فلأن كلّ منهما قد خلقه الله خاضعا للقانون مرتبطا بنظام لا ينفك عنه ولا يخرج عن اطاره .

واما ان الظاهرة او الظواهر الاجتماعية التى تربط بين الانسان واخيه الانسان تنبثق عن العلاقات الكائنة بينهما اما كون هذه الظاهرة تفارق الظاهرة الاجتماعية من سائر الوجوه فذلك لأن الظواهر الاجتماعية لها مجموعة من العلاقات الخفية والمؤثرات المتداخلة .

فمؤثرات الحركة او الثبات فى الظاهرة الاجتماعية لا تكون واضحة غاية الوضوح ولا هى بالجلية اشد الجلاء .

ومن هذا الوجه تخالف الظواهر الاجتماعية الظواهر الطبيعية اذ الظاهرة الطبيعية اذا ما كشف الانسان القانون الذى يربطها كشفا تاما ووقف عليه بغاية اليقين استطاع ان يتحكم فى الظاهرة وجوداً وعدما ، حركة وسكونا ، قوتا وضعفا .

ومن الصعب ان يفعل ذلك فى الظاهرة الانسانية .

واذا كانت الظاهرة الانسانية هى ناتج من نتاج العلاقات بين الانسان واخيه الانسان فان هذه العلاقات تحتاج الى تقنين وتنظيم بحيث لا ينتج هذا التنظيم من السلوك الا افضله ولا يترتب عليه من الظواهر الاجتماعية الا ارقاها واكثرها ملائمة لرقى الانسان وكمالاته .

والانسان فى علاقته مع اخيه الانسان قابل لأن يحكم بتشريع جيد كما انه قابل بأن يحكم بتشريع او تشريعات رديئة والتشريع الجيد يحتاج الى مواصفات خاصة فى المشرع لا يخلص عشر معشارها الى البشر مجتمعين .

وتلك شهادة التاريخ على لسان بعض الفلاسفة الاجتماعيين(١) الذين

---

(١) اقرأ فى هذا الموضوع نحو العقد الاجتماعى جان جاك روسو وآخرون فى ترجمته العربية .

أقروا بهذه الحقيقة ثم رفضوا أن يستسلموا لله فكانوا علمانيين .

على ان هناك نوعا من العلاقة بين الانسان وربه خاصة فيما اصطلح عليه علماء الفقه بقسم العبادات .

وهى تشمل القسم الخاص بالصلاة وشروطها ومقدماتها والصوم والحج والزكاة . وهذا النوع الخاص من علاقة الانسان بربه هو اظهر انواع السلوك الانسانى وأبرزها فى الدلالة على أن الانسان ليس بقادر على ان يشرع أو يقنن لنفســـه .

والحديث فى هذه الدائرة يحتاج الى نوع من الاسترسال ســـنذكره فى موضعه من هذا البحث وقد ذكرناه من قبل فى بعض الكتب التى صدرت لنا قبل هذا البحث(١) .

ولكن لا يفوتنا أن ننبه هنا أن العبادة لله لا يمثلها فقط الاستجابة له عز وجل فيما شرع من الصلاة بشروطها ومن الصوم والحج والزكاة وانما يمتد نطاق العبادة لله عز وجل ليشمل الاستجابة له سبحانه فى كل ما شرعه لكى ينظم سلوك الانسان على جميع مستويات هذا السلوك .

ونقول فى هذه الدائرة كما قلنا فى الدائرة السابقة عليها من أن الانسان عاجز غاية العجز أن يشرع لنفسه تشريعا يضبط به سلوكه فى أى ناحية من نواحيـــه .

ويبدو الانسان أكثر عجزا حين يريد أن يشرع لنفسه فى مجال الصلاة والصوم والحج والزكاة .

ولكنه يبدو أكثر رعونة فى علاقاته بين نوعه وما يحكم تلك العلاقات من قوانين وتشريعات .

---

(١) راجع نظرية النبوة فى الاسلام الدكتور طه الدسوقى مرجع سبق ذكره .

ولقد هيىء للانسان وما زال يهيأ له انه قادر على ان يشرع لنفسه القوانين التى تضبط سلوكه .

ولحكمة لا نعلمها امهل الله بنى الانسان وتركهم فشرعوا لأنفسهم وشقوا بما شرعوا لأنفسهم والتفتت الجماهير منهم الى الخاصة تشكوا مظالمها وترجوا العدل وتأمل أن يسلك الخاصة بهم طريق السعادة والرخاء .

وكثيرا ما يتوجه كل زعيم الى امته يعدهم ويمنيهم ويهيأ النفوس للوعد والتمنى فينتظرون وعده وامانيه فيرفع القانون حتى يتسع الخرق على الراقع فيغير القانون ويبدله ويفرح الناس لما غير وبدل واذا بهم يفاجئون بأن التالى أسوأ من المتلو فلا يفيق الدهماء من خمرة فرحهم الا على أسـواط بأسهم فتختلط الضحكات بالدموع والفأل باليأس .

وهكذا أبدا يكون(١) .

والشىء الذى لا ينبغى أن نغفله لأنه مأساة كبرى تضاف الى سائر المآسى العظام .

أن قوانين البشر برغم انها لا تجدى وبرغم أنها لا تغنى البشر شيئا فى مجال المصلحة الاجتماعية أو الشخصية فان المشرعين يتنازعون التشريع فيما بينهم أفرادا وجماعات وكل يدعى أن التشريع عنده وأنه وحده هو ربه(٢) وهو القادر عليه فاذا ما تصدى ليشرع تصدى له غيره من بنى نوعه وعارضه بتشريع آخر مخالف له فى الوسائل ومخالف له فى الأهداف ، مخالف له فى قاعدة الانطلاق ومخالف له فى الغايات التى ينتهى اليها كل منهما .

---

(١) انظر عقيدتنا للمؤلف مرجع سبق ذكره .

(٢) راجع بحث لنا بعنوان المسألة الاجتماعية والحلول المطروحة بحولية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة ١٩٨٨ .

والمتأمل فى كليهما يجد كثرة هائلة من العيوب والمثالب ومن النقص والقصـــور .

فلا هذا قد وصل الى غايته ولا ذاك قد حقق شيئا من أمانيه أو أمانى أمته لأن الانسان فى مجال التشريع قاصر مهما بذل من محاولات .

وللشـاعر فى الماضى قول حكيم :

وكل يدعى وصـــــلا بليلى وليلى لا تقـــر لهم بذاك

الم يأن للانسـان أن يقنع ويخشـع ويدرك أن التشريع كله لله .

الدائرة الثالثة : وهى ترمز الى علاقة الانسـان بالكون وما يحتويه هذا الكون من أشـياء حية أو غير حية .

ونحن حين نتأمل الكون وعلاقتنا به فانها تبدو للباحثين على مسـتويين :

اما المستوى الأول : فهو الذى يظهر من خلال طبيعة الانسان الطلعة التى تحمله على معرفة الأسرار الخفية المتعلقة ببداية هذا الكون ومتى وكيف خلق أو المتعلقة بمحاولة كشف السر او العلة الغائية من خلق هذا الكون وفى هذا المجال يبدأ الانسان بمحاولة الاجابة عن الكون لماذا خلق ومتى وكيف خلق ؟ .

وتلك اسئلة جسام ، والاجابات عليها اجابات عظام لا سبيل اليها الا أن يخبرنا الله عز وجل عنها .

وحين نعلم ذلك نعلم معه فى نفس الوقت أن الاجابات على مثل هـــذه التساؤلات انما تدخل فى مجال العقيدة أو فى دائرة الايمان وهى تلك الدائرة الأولى التى أشرنا اليها قبل .

أما المستوى الثانى : فهو يدور حول محاولة كشف القوانين التى تحكم الظواهر الكونية ومحاولة وصف الظاهرة وارتباطها بقانونها .

وفى هذا المجال شاءت قدرة الله عز وجل أن تمنحنا الطاقة عليه والقدرة على التعامل معه .

ثم شاءت حكمة الله أن البشر يجمعون على القانون الطبيعى حين يكتشفون القانون الطبيعى فلا تكاد تجد خلافا عليه بين مؤمن أو كافر ، ولا بين شرقى وغربى ، ولا بين قاص أو دان .

وانها لحكمة بالغة أن يجد الناس أنفسهم لا يكادون يختلفون حول القوانين الطبيعية ماداموا فى اطار وصفها وفى نطاق شرح علاقتها بالظواهر .

أما حين يكون الحديث عن التعليل أو السؤال « بلم » فانك تجد الأمر يختلف غاية الاختلاف .

ولما كان الناس لا يختلفون حول القانون الطبيعى وارتباطه بالظاهرة أو الظواهر التى ترتبط به أطلق الله يد العباد اطلاقا فى هذا المجال بل انه حفزهم حفزا كى يسيروا فى الأرض ويقلبوا أبصارهم فى السماء وينظروا فى أنفسهم وفى الأحياء بقصد المزيد من الاكتشافات فى أسرار الكون وكل كشف وكل اطلاع على قانون جديد يعد آية تضاف الى عشرات الآيات فى قلوب المؤمنين فتزيدهم بالله ايمانا على ايمانهم .

أطلق الله اذن يد عباده فى هذا الكون يستفيدون منه فيما كلفهم الله به من عمارة الأرض وتعمير هذا الكون واصلاحه (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب)(١) .

غير اننا لا نريد ان نبرح هذا الموقف قبل أن نؤكد أن الانسان فى علاقاته بالكون يمكن أن يوجد نوعا من التداخل فى علاقاته مع أخيه الانسان فهو مثلا قد يستعمل قانونا طبيعيا فى الضرر أو الاضرار وقد يستخدم ظاهرة من ظواهر الأحياء فى الانتقام من اخيه الانسان وهذا ما يحدث الآن كثيراً .

---

(١) هود : آية ٦١ .

والذى يدين لربه بالعبودية يعلم أن هذا الكون ليس للانسان ، لا خلقا ولا استمراراً وانما الكون لله الذى خلقه وخلق الكون وقد أمره ربه أن يسير فى هذا الكون فينتفع به — فى حدود ما شرع له — غاية الانتفاع وأكمله وحرم عليه أن يضربه نفسه أو غيره بل قد حرم عليه أن يتعرض للكون بالافساد أو التلويث سواء كان ذلك فى بر أو بحر أو هواء .

وهذا البعد الأخلاقى أو الدينى فى تعاملنا مع الكون يعرفه المسلمون معرفة تامة وكانوا يعرفونه فى الماضى معرفة أتم وأكمل فادخلوا هذا البعد فى الماضى وهم يدخلونه الآن بشىء من التقصير على جميع تعاملاتهم مع الكون ، بل انك لواجد هذا البعد الأخلاقى فى مناهج المسلمين الأولى التى ابتدعوها ابتداعا تجده فى مناهجهم التى درسوا بها العلوم الانســـانية ، وتجـــده فى مناهجهم التى درسوا بها علوم الحياة والأحياء .

انك اذن لواجد هذا البعد الأخلاقى يشكل جزءا من أجزاء المنهج العلمى فى كل مجال يطبق فيه المنهج العلمى .

ان هذا البعد الأخلاقى هو الذى يفتقر اليه الآن أكثر دول الأرض تقدما وحضارة .

وننتهى من هذا الحديث كله الى هذا القول المجمل وهو :

ان البشر يحتاجون الى الرسالة احتياجا كاملا فى مجال العقيدة .

وان البشر يحتاجون الى الرسالة احتياجا كاملا فى مجال التشريع .

وان البشر قد أطلق الله يدهم اطلاقا تاما فى كشف أسرار الكون بـــل دفعهم الى هذا الكشف دفعا ، ولكنه حين تتداخـــل الظاهرة الكونيـــة مع الظواهر الأخلاقية أو الاجتماعية تنتقل الظاهرة الاجتماعية تلقائيا الى مجال التشريع فيقنن لها العليم الخبير .

الأدلة الشرعية والعقلية على ختم النبوة والرسالة

اولا — الأدلة الشرعية :

(١) الدليل من القرآن الكريم :

ان المتأمل فى النصوص الشرعية الواردة فى هذا الباب يجد أنها نصوص قطعية ، لا تحتمل الشك أو التأويل ، سواء أكانت هذه النصوص واردة فى الكتاب ، أم احتوتها كتب السنة المعتمدة .

ومن أصرح ما جاء فى القرآن الكريم دالا على هذه القضية ، وقاطعا للنزاع فيها قوله تعالى : « ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما »(١) .

والقاعدة العامة فى فهم اى نص من النصوص أن يفهم مع سابقه ولاحقه ، أما ان يفهم النص على أساس تفسير المفردات فقط ، فانه ربما يؤدى حين يخضع للاجتهاد الى خطورة تنتج عن مصادمة المعنى العام الذى يفيده النص ككل .

وما نحن بصدده الآن من تفسير قوله تعالى : « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » نص قد جاء فى سياق قسط من التشريع يتعلق بحكم الزواج من زوجة المتبنى اذا طلقت وانقضت عدتها .

ولقد كان هذا المتبني فى الجاهلية مشابها للبنوة الحقيقية بحيث يترتب عليه ما يترتب عليها من حقوق وواجبات ، ويتصل به ما يتصل بها من حرمة واباحات .

ولما كانت هذه العادات مخالفة للطبع والذوق والعقل أراد الاسلام أن يضع حدا لهذا الاعوجاج فى الطباع والسلوك ، وهذا الخلل فى التشريع والأحكام .

---

(١) الأحزاب : ٤٠ .

ولو أن الاسلام قد أطلق هذا التعديل وتركه قاعدة نظرية مجردة لكان هناك احتمال أن تترفع النفس عنه ، وان تأبى البشرية فيما بعد تطبيقه ، ويبقى الى آخر الدهر مبدءا نظريا لا صلة له بالواقع التاريخى .

ويحتاج اذا بقى كذلك الى نبى جديد يعدل من خلله ويقيم من اعوجاجه حتى يتأتى أن يكون واقعا عمليا محسا ومجربا .

ولما كانت النبوة ستختم بخاتم النبيين محمد — صلى الله عليه وسلم — اقتضت الحتمية التشريعية أن يطبق النبى الحكم الصحيح فى هذه المسألة على نفسه ليتحمل هو أول الصعوبات النفسية التى تنتج عن تغيير عادة ومسلك اجتماعى تعارفت عليه المجتمعات فى الجاهلية أجيالا بعد أجيال ، بحيث زادها القدم ثبوتا ورسوخا .

والمتأمل فى حياة النبى التشريعية يجد أن معظم هذه المبادىء النظرية والقواعد المجردة قد تحولت على يده هو الى واقع تاريخى محس ، ولذلك كانت السيدة عائشة حين تصفه تقول : « كان خلقه القرآن » .

يتبين من ذلك كله أن وضع كلمة خاتم النبيين فى الآية يفيد بجلاء ووضوح أنها تشبه أن تكون تعليلا لما قبلها ، حيث القصد أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تزوج من زوجة زيد بن حارثة الذى كان يدعى قبل المنع زيد بن محمد بعد أن قضى زيد منها وطره لكى يثبت للأمة بطريقة عملية أن ما تعارف عليه الجاهليون من تحريم الزواج بزوجة المتبنى أمر لا مبرر له الا من الوهم وسوء التفكير ، وما كان للنبى أن يترك فى المبدأ جانبا من جوانبه العملية أو النظرية بغير تطبيق أو توضيح مادام هو خاتم النبيين وآخرهم .

وعلى ذلك فان كلمة خاتم النبيين قد وردت فى الآية لتعليل مسألة تشريعى .

ويشرح الرازى هذه الفكرة فى تفسيره الكبير فيقول :

[(وخاتم النبيين) وذلك لان النبى الذى يكون بعده نبى ان ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من ياتى بعده ، واما من لا نبى بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم واجدى ، اذ هو كوالد لولده الذى ليس له غيره من احد وقوله : (وكان الله بكل شىء عليما) يعنى علمه بكل شىء دخل فيه ان لا نبى بعده فعلم ان من الحكمة اكمال شرع محمد صلى الله عليه وسلم بتزوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع وذلك من حيث ان قول النبى صلى الله عليه وسلم يفيد شرعا لكن اذا امتنع هو عنه يبقى فى بعض النفوس نفرة ، الا ترى انه ذكر بقوله ما فهم منه حل اكل الضب ثم لما لم ياكله بقى فى النفوس شىء ولما اكل لحم الجمل طاب أكله مع أنه فى بعض الملل لا يؤكل ، وكذلك الأرنب](١) .

وجاء فى ظلال القرآن ما نصه :

[« ولكن رســول الله وخاتم النبيين » ومن ثم فهــو يشرع الشرائع الباقية ، لتسير عليها البشرية ، وفق آخر رسالة السماء الى الأرض التى لا تبديل فيها بعد ذلك ولا تغيير](٢) .

وهناك كثرة غالبة من المفسرين تهتم بهذا المسلك الذى لوحنا اليه الآن وهو فهم النص فى اطار عام من السوابق واللواحق .

على اننا لو حاولنا فهم هذه الآية من خلال المنهج التحليلى المجرد الذى يركز فى الأغلب على فهم مدلول اللفظ ، بصرف النظر عما قبله أو بعده ، سوف تجد هذا النص الذى بين أيدينا مؤكدا للقضية التى نحن بصددها .

فالمتأمل فى لفظة « **وخاتم النبيين** » يجد أن لها دلالتها الواضحة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو العاقب فلا نبى بعده .

---

(١) التفسير الكبير — للرازى — جـ ٢٥ — ص ٢١٤ .
(٢) ظلال القرآن — سيد قطب جـ ٥ ص ٢٨٧٠ .

ولقد ثبت ان هذه اللفظة ((خاتم)) قد قرأت هكذا بفتح الياء .

وهى حين تقرأ بفتح التاء تكون دالة على الخاتم الذي هو الأداة التي تختم الرسائل بها من أسفل .

ويكون النبى صلى الله عليه وسلم على هذه القراءة مشبها بالخاتم الذى تختم الرسائل به ، ولما كان من المتعارف عليه أنه لا يكتب شيء فى أسفل الرسالة بعد الخاتم الا اذا كان على سبيل التزييف والتزوير كان النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الصورة التشبيهية هو خاتم النبيين لا يجوز أن يدعى بعده النبوة أحد الا اذا كان دعيا مزيفا ، أو صاحب هوى يعمل لخدمة شيطانه أو شياطينه .

على أن هذه القراءة للخاتم بفتح التاء ، ليست هى القراءة الوحيدة الواردة وانما هناك القراءة بكسرها ((خاتم)) والخاتم كما نعلم اسم فاعل وهو يفيد أنه آخر الأنبياء فلا نبى بعده على سبيل الحقيقة ، **او انه بالنسبة للأنبياء مثل الخاتم حول الأصبع فلا يجوز أن يكون بعده نبى** .

والقراءتان معا يوضحان المعنى بغاية الجلاء والوضوح بالاضافة الى الأحاديث النبوية التي شرحت ذلك شرحا كافيا .

يقول البيضاوى فى شرحه لهذه الآية : **[((وخاتم النبيين)) وآخرهم الذى ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح](١)** .

وقال الشهاب فى الحاشية تعليقا على البيضاوى : **[(قوله وآخرهم) هو على قراءة الكسر لأنه اسم فاعل بمعنى الذى ختم وقوله (او ختموا به) على قراءة الفتح لأنه اسم آلة لما يفعل به كالطابع لما يطبع به ، والقالب وان كان مآل معناه للآخر ايضا فقوله (على قراءة عاصم) قيد للثانى](٢)** .

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى — ج ٧ — ص ١٧٥ .

(٢) المرجع السابق ج ٧ — ص ١٧٥ .

ويتبين من هذا كله اننا حين نفهم الآية على وجهها الصحيح بأى منهج من مناهج الفهم ، فاننا لن نجد صعوبة فى ادراك أنها قطعية الدلالة على أن النبى صلى الله عليه وسلم **خاتم النبيين ولا نبى بعده** .

(ب) الدليل من السنة :

على ان نصوص السنة النبوية هى الأخرى مؤكدة لهذا المعنى تأكيدا متواترا بين الأمة .

وسنحاول ان نذكر بعض الأحاديث المختارة من كتب السنة المعتمـــدة التى لا نحتاج الى تأويل فى استنباط هذا المعنى منها :

١ — قال النبى صلى الله عليه وسلم : ((كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبى خلفه نبى ، وانه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء))(١) .

٢ — قال النبى صلى الله عليه وسلم : ((ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعـــل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فانا اللبنة وانا خاتم النبيين))(٢) .

٣ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فضلت على الانبيـــاء بست : اعطيت جوامع الكلم . ونصرت بالرعب . واحلت لى الغنائم . وجعلت لى الارض مسـجدا وطهـورا . وارسـلت الى الخـلق كافة . وختم بى النبيون))(٣) .

---

(١) رواه البخارى : كتاب المناقب ، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل .
(٢) رواه البخارى : كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين .
(٣) رواه مسلم والترمذى وابن ماجة ، فى كتاب المساجد .

٤ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى »(١) .

٥ — قال النبى صلى الله عليه وسلم : « انا محمد ، وانا احمد وانا الماحى الذى يمحى بى الكفر ، وانا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبه ، وانا العاقب الذى ليس بعده نبى »(٢) .

ان هذه الأحاديث تعتبر نماذج مختارة من بين الأحاديث الكثيرة التى تتآزر كلها للنص على بيان ان النبوة ختمت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولن يكون هناك مجال بعدها لحديث عن نبى يدعى النبوة صادقا فى دعواه ، وان كان هناك مجالات لأدعياء النبوة الذين استجابوا للشيطان والهوى ، وخالفوا صريح النصوص ، وجرحوا شعور الأمة .

الأساس الفكرى او الدليل العقلى لعقيدة ختم النبوة :

وبالاضافة الى هذه النصوص الصريحة سواء كانت من القرآن أو من السنة ، نجد ان هناك مجالات فكرية متعددة يستطيع المرء من خلالها — وبقليل من التأمل — أن يدرك اقتضاء العناية الالهية ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، واغلاق بابها اغلاقا تاما .

على ان التأمل العقلى ، والتدبر الفكرى لن يكون مقطوع الصلة بالطابع العام للنصوص الشرعية فى الرسالة الخاتمة ، أو الطابع العام للبيئة الرسالية فى عهد النبى ، وما بعده .

---

(١) رواه الترمذى فى سننه : كتاب الرؤيا ، باب ذهاب النبوة وقد اخرجه الامام أحمد فى مسنده فى مرويات أنس بن مالك .

(٢) رواه الشيخان فى صحيحهما : كتاب الفضائل ، باب أسماء النبى ، والترمذى فى سننه : كتاب الآداب باب أسماء النبى ، والامام مالك فى الموطأ : كتاب أسماء النبى . والحاكم فى مستدركه : كتاب التاريخ ، باب أسماء النبى .

وسوف نحاول فى هذه العجالة التركيز على نقطتين :

القرآن الكريم ودلالته بوجه عام على ختم النبوة .

وعموم الرسالة المحمدية ، وما فى هذا العموم من دلالة على انهاء الرسالات .

طبيعة الرسالة الخاتمة :

اما حين يدعى النبى محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبى ورسول ، وأن الرسالة والنبوة بعده قد انتهت والى الأبد ، فانه لابد وأن يحمل من المعجزات ما يؤكد هذه الدعوى الجديدة ، ولابد وأن تكون رسالته قد تغيرت فى طبعها عن الرسالات السابقة عليها .

وبعبارة اكثر وضوحا فان هذا النبى الجديد جاء ليعلن أنه نبى الى الناس كافة ، من وجد منهم فى الجزيرة العربية ومن وجد خارجها ، ومن عاصر النبى فى زمانه ، ومن تلاه فى جميع الأزمان .

والنبى حين يعلن ذلك لابد وأن تكون رسالته قادرة على أن تتخلص من كل المعضلات الفكرية ، والصعوبات العملية التى كانت تعترض الرسالات السابقة عليه ، والتى أتيح لها قدر من العموم والشمولية .

ان الأنبياء الذين تقدموا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قد قدر لرسالاتهم أن تستمر بفضل ما أرسله الله من الأنبياء لدعم هذه الرسالات وتصحيح مسارها ، وهذه هى العقبة الكئود التى سوف تحتاج الى حل فى الرسالة الخاتمة .

ومن جانب آخر فان التقدم العلمى قد أتاح قدرا كبيرا من الاتصال بين جميع أرجاء العالم ، وهذا التقدم العلمى نفسه الذى استطاع أن يذيب فوارق المكان ، لم يستطع أن يذيب فوارق الوجدانات واختلاف الطباع ، وتعدد الشخصيات .

وتلك هى العقبة الاخرى التى يتعين على الرسالة الخاتمة أن تتصرف فيها سواء عند وضع القانون أو عند تطبيقه على الواقع العملى المشاهد .

ومن هنا يتضح أن هناك عقبتين اساسيتين تقفان أمام ادعاء ختم النبوة ، تتعلق احداهما بكيفية اقناع الخلف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع استحالة ارسال نبى بعده اقناعا يعتمد على اصول ودعائم لهما من قوة الصمود ما يضمن لتلك الرسالة أن تستمر .

اما العقبة الثانية ، فهى تتصل بوحدة التشريع مع اختلاف الأمزجة والوجدانات ، وتلك هى الأخرى تحتاج الى مبرر فكرى قوى والى تطبيق عملى واجرائى منسجم العناصر واضح المعالم بين الغايات والأهداف .

القرآن معجزة النبى الخالدة :

ونحن على يقين من أن الله سبحانه وتعالى قد اظهر على يد النبى محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات المادية العدد الكافى لاقناع الشهود الذين عاصروا النبى صلى الله عليه وسلم اقناعا حاسما لا يقتصر على ذوى الأحلام والنهى منهم ، وانما هو اقناع يمتد طولا وعرضا ليشمل الخاصة والدهماء جميعا بغير استثناء ، أو اهمال لأحد .

وهذه المعجزات المادية حين تظهر على يد النبى الخاتم تجعله لا يقل من هذه الجهة عن اخوانه الأنبياء الذين سبقوه ، حتى لا يترك مجالا لمتقول أو مرتاب .

ومن هنا يتبين أن اظهار المعجزة المادية على يد النبى الخاتم له قدر لا يستهان به من الأهمية التى تتعلق بالهدف النهائى للرسالة ، ولكن اهمية ابراز المعجزة المادية ليست هى جميع الوسائل المتاحة امام النبى الخاتم لاقناع جميع الأفراد على اتساع الزمان والمكان .

ونحن حين نتأمل القرآن الكريم فى مناقشته للمشركين الأوائل الذين عاصروا النبى ، نجد فيه لفتة قوية قادرة على التوجيه الى أسلوب جديد فى الاقتنـــاع .

« فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون »(١) « فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين »(٢) .

ونحن نرى أن ما فعله الله سبحانه وتعالى مع هذه الأمة لم يجر على نحو ما فعله بالأمم السالفة .

فهو لم يسترسل مع أمة الرسالة الخاتمة فى اظهار الخوارق الحسية والمعجزات الكونية زيادة عن القدر اللازم أو الضرورى .

وفى هذا دلالة واضحة على أن الحق يريد أن يلفتنا الى لون من الاعجاز العقلى والتحدى فى مجال الفكر والمعرفة .

والمعرفة والفكر لهما من القوانين والنظام المنضبط ما يشبه قوانين الطبيعة والحياة النامية ، الا أن قوانين الفكر والمنطق ارادية ، وقد تكون قيمية اذا تعلقت برقى الانسان وسموه .

وهذا هو المجال الجديد الذى سوف تتعلق به المعجزة الخالدة التى ظهرت على يد النبى الخاتم .

وقد اتفق العلماء والدهماء على أن معجزة النبى الخاتم الخالدة انما هى القرآن الكريم .

---

(١) الأعراف : الآية ١٦٢ .
(٢) الأعراف : الآية ١٦٦ .

وجه الاعجاز فى القرآن الكريم :

لقد تناولنا موضوع اعجاز القرآن الكريم فى أكثر من كتاب مبسوطا مرة ، وموجزا اخرى(١) . ولا نجد من انفسنا اغراء قويا للاسهاب فى هذا الموضوع .

لقد سال المشركون النبى أن يستمر فى ابراز خوارق العادات ، بعد ما شاهدوا العدد الذى يكفيهم للاقتناع ، ولو استجاب الحق اليهم فى مطالبهم لانقضى زمان الرسالة والرسول فى ابراز طائفة من خوارق العادات من غير هدف صحيح ، أو تصحيح لفكرة النبوة الخاطئة فى اذهانهم .

وتأمل هذه الآيات من سورة الاسراء : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا »(٢) .

والقارىء لهذه الآيات وأمثالها يستطيع أن يفهم فيما يفهم أن الحد من مثل هذه المعجزات سببه هذا العناد المتعمد ، والصد المستمر عن منهج الله « وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهـــدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رســـولا »(٣) .

ولكننا من الممكن كذلك أن نفهم من هذا الاحجام عن المجاراة فى الطلب شيئا آخر جديدا يتصل بالتعديل فى طبيعة المعجزات التى كانت تظهر على يد الأنبيـــاء .

---

(١) انظر نظرية النبوة فى الاسلام ص ١٢٤ وما بعدها ، والأخلاق فى اطار النظرة التطورية . وكلاهما للمؤلف .

(٢) الاسراء : الآيات ٩٠ : ٩٣ .

(٣) الاسراء : الآية ٩٤ .

اذ انه كان من الممكن ان يستمر الحق فى استدراجهم ، ويطيل لهم فى أمر الاقناع كى يظهر عنادهم وجدلهم .

او يقطع هذا العناد والجدل بأسلوب معجز كذلك كما فعل مع موسى عليه السلام وقومه من بنى اسرائيل « واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون »(١) .

على وجه يزيد على ما ذكرناه فيه ، ولكننا حسب طبيعة هذا البحث سوف نحاول أن نوجز هذه الفكرة ايجازا لا يؤدى الى الخلل أو الغموض .

ووجه اعجاز القرآن الكريم تناوله العلماء قديما وحديثا بمحاولات الدرس والفحص ، فمنهم من قصر ومنهم من اخطأ ، ومنهم من قصد الى التشكيك ، ومنهم من حاول ان يجزم برأى يراه صالحا لكى يعبر عن وجه اعجاز القرآن دون سواه من الآراء والاتجاهات .

فمن الآراء الخاطئة رأى ارتكب جريرة الاثم فيه ابراهيم بن سيار النظام وتابعه غيره من الذاهبين مذهبه ، وخلاصة هذا الرأى فى لبابه أن أصحابه يرون أن القرآن معجز بالصدفة ، فالقرآن عندهم ليس ســوى ضرب من الكلام العادى الذى لا يعجز انسا ولا جان من حيث هو ولم لا ! أو ليس القرآن مكونا من حروف انتظمت فشكلت كلمات ، ثم أنتظمت هذه الكلمات فشكلت جملا ؟ ! اذا كان الأمر كذلك فان الانسان بما هو انسان يستطيع أن يفعل بالحروف والكلمات مثل ما يشبه القرآن الكريم ويساويه فى نسيج الجمل وتكوين الحروف .

وخطأ القول عند النظام قد سرى اليه من التفكير الهندى حين وجد فى طبيعته استعدادا للتأثر بهذا الوافد الجديد .

---

(١) الأعراف : الآية ١٧١ .

وبيان ذلك أن الديانات الهندية القديمة كانت تعتقد ان لها كتابا منزلا من لدن ربهم الذى يعبدونه ويسلمون القيادة اليه ، ورأى الواضع البشرى لهذا الكتاب ان يحيطه بشىء من القداسة فنسبه لالههم الذى يعبدونه ، وقال ان الاله قد منعهم من محاكاته والاتيان بمثله

ولم تحدد الروايات الهندية أسلوب هذا المنع ، وكيفية ذلك الخطر ، ومن هنا فاننا لا نعلم على سبيل اليقين ما اذا كان صاحب هذه المقولة يقصد انهم ممنوعون من المحاكاة بحكم قانون تشريعى ، أم بحكم قانون طبيعى بمعنى اننا لا ندرى ما اذا كان ربهم قد سلبهم القدرة على المحاكاة ، أو أمرهم بعدم المحاكاة مع القدرة عليها .

وأيا ما كان الأمر فان هذه المعانى قد ترجمت الى اللغة العربية ، وافتتن الناس بها كما يفتتنون بكل جديد وافد فى الكثير الأغلب ، وكان النظام من بين المفتتنين بهذه الثقافة الواردة ، فادعى ان القول بالصرفة هو وجه اعجـاز القرآن الكريم دون سواه .

وهذا الرأى كان يكفى فى خطئه الابانة عن مصدره ، ولكننا نضيف الى ذلك امعانا فى الاقناع أن الله لم يمنع الناس من محاكاة القرآن ، بل هـو قد أمرهم أمر تحدى ، وطلب منهم طلب استنفار واستجماع للقوى ، واستفزاز للملكات والقرائح أن يأتوا بمثل القرآن فيعجزوا فطالبهم بعشر سور فعجزوا الى أقل سورة من القرآن من حيث الطول فعجزوا ، فقال فى حقهم رب العزة وفى حق القرآن « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(١) .

والتاريخ الثبت شاهد على هذه المحاولات المتكررة من العرب لمحاكاة القرآن أو الاستمتاع ببلاغته والاعلان المتكرر انه ليس من صنع بشر .

---

(١) الاسراء : آية ٨٨ .

على ان هناك آراء اخرى فى بيان اعجاز القرآن قاصرة وان لم تـكن خاطئة كل الخطأ .

فمن بين هذه الآراء الرأى القائل بأن القرآن معجز ببلاغته اللغوية ، حيث ان القرآن الكريم يعبر عن المعنى بالألفاظ التى تبين عنها بغير ضرورة فوق زيادة الايضاح ، ولا نقص يحدث خللا فى البيان ، وانما هو يطنب فى المعنى اذا كانت هناك ضرورة للاطناب بغير ملل يترتب على ذلك الاطناب ، وهو يوجز اذا كانت هناك ضرورة للايجاز ، بشرط ان لا يكون الايجاز مخلا فى اداء الألفاظ لمعانيها التى تناط بها .

كل هذا موجود فى القرآن على شكل اعجز كبراء العرب ، وتحـدى فصحاءهم وهم أرباب البلاغة والبيان .

ولكنه من قبيل المجازفة العلمية أن نعتبر بلاغة القرآن وفصاحته فى القول ، هما الوجه الحقيقى والوحيد الذى لا يحتاج الى شىء فوقه لكى يعاضده فى ابراز اعجاز القرآن ، والابانة عن محور ذلك الاعجاز .

والقرآن بليغ لا شك فى ذلك ، واعجز العرب فى زمانه بغير ريب ، ولكن القرآن ليس موجها بتكاليفه وآدابه الخلقية والاجتماعية والدينية الى العرب وحدهم ، وانما هو موجه بآدابه وتكاليفه والزاماته الى الناس كافة العربى منهم وغير العربى .

ولابد وان يكون القرآن ملزما بحجته للعربى وغير العربى .

واذا كان غير العربى لا يدرك فصاحة العرب وبلاغتهم ، ولا يستشعر جمال الأداء فى لغتهم وآدابهم ، فانه لا يتأتى ان نقول ان القرآن قد اعجز غير العرب ببلاغته وفصاحته لأنه يمكن أن يقال أن القرآن لذلك يتحدى الأعزل وينازل المجرد من السلاح بأعتى القوى وأمضى سلاح .

القرآن اذن بليغ وقد تحدى العرب فعرفوا سر الاعجاز البلاغى فيه ، ولكنه لا يكفى وحده لكى يكون سر الاعجاز المطلق فى القرآن .

ولما تقدم العلم والعلماء ووقف الكثيرون على أسرار قانون المادة ، وبعض نظريات الحياة ، رأوا القرآن يعبر عن ظواهر كونية ، ويربطها بقوانينها ، أو مظاهر للحياة ويعود بها الى سر وجودها ، وكيفية حركتها .

ورأوا أن ذلك كله كان يقوله النبى محمد صلى الله عليه وسلم من غير أن يستخدم الوسائط العلمية ، أو يرتكز على المقدمات النظرية ، وانما هو يتحدث عن نتائج القانون الذى يحتاج الى استدلال على انه بديهية من البديهيات التى يراها الانسان ، ويكتشفها اكتشافا فجا دون أن يحتاج فيها الى مقدمة أو استدلال .

وتلك درجة عالية من الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم لا شك فيها ولا ريب .

ولكن هذه وحدها لا تكفى أن تكون دليل اعجاز القرآن حيث توجد الكثرة من العامة والدهماء ، والمتخصصون فى غير مجالات العلم ، ولا علاقة لهم بما يجرى وراء جدران المعامل ، أو داخل اطار حقول التجارب ، وهم قطاع من الناس لا يستهان به ، بل هم الكثرة الغالبة من البشر الذين توجه اليهم القرآن بالتكليف ، ومن حقهم أن يدركوا بامكاناتهم وجه الاعجاز فى القرآن الكريم .

القرآن اذن معجز بما له من سبق علمى من غير الاعتماد على مقدمات العلم ووسائط المعرفة ، ولكن هذا السبق العلمى لا يعدو أن يكون عنصرا من مجموعة العناصر الكثيرة التى تعلن عن اعجاز القرآن الكريم لجميع الكائنات وتتحدى جميع الخلائق .

ويذهب البعض الى أن القرآن معجز لأنه يخبر عن المغيبات سواء أكانت فى العمق الضارب فى بطن التاريخ الى أقصى مداه ، أو كانت تتعلق بالمستقبل الذى يتطلع الانسان اليه ، والى ما يفاجئه به دون أن يعرف شيئا من أسراره ، أو يدرك شيئا من محتواه ، وحين يخبر القرآن عن بعض أحداث التاريخ الماضى ، فهو لا يتناول فقط ما يتناوله المؤرخون من أحداث ، وانما هو يتحدث مع ذلك عن خلجات النفوس وما يدق فيها ، وعن دقائق الأمور ، وعن كيفية توجيهها لانه يتحدث عن رؤية وعلم ، وعن معرفة وسمع لا يخطىء ولا يتأتى له ان يخطىء .

وحين يخبر عن الغيب المأمول لا يطلق كلمات موهمة كما يفعل السحرة والمشعوذون ، وانما يتحدث عن أشياء دقيقة محددة الوصف ، واضحة المعالم ، ولا يفعل هذا الا من يجازف بمستقبله كله أو يكون متأكدا مما سيقع تأكد الرائى والناظر له أثناء وقوعه وحدوثه من غير احتمال لتخلف يوجب الاعتذار أو تمحل الحجج « غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »(١) .

ولا يرتاب مرتاب فى أن القرآن أخبر عن الغيب بهذا المعنى المفهوم ، وأن الانس والجان وغيرهما لا يستطيعون أن يفعلوا مثل ما فعل .

غير أن القرآن ليس كله اخبارا عن الغيب ، ولم يخصص فقط لهذه المهمة ، وانما بعضه يتحدث عن حركة التاريخ فى الماضى ، وآمال المستقبل وما يشبههما ، فى حين أن البعض الآخر لا علاقة له بهذا المجال ، ولو أننا قصرنا دلائل الاعجاز على فكرة الاعجاز بالاخبار عن الغيب ، لأوقعنا هذا القصر نفسه فى معضلة عقائدية مؤداها أن القرآن بعضه سيكون معجزا ،

---

(١) الروم : آية ٢ : ٥ .

والبعض الآخر لا اعجاز فيه فى نفس الوقت الذى لا يشك فيه مسلم فى اعجاز القرآن كله جملة وتفصيلا لجميع الخلائق جملة وتفصيلا .

والقرآن اذن معجز باخباره عن الغيب لكن الاخبار عن الغيب ليس وحده كافيا لكى يعبر عن دلائل الاعجاز فيه .

ونحن نضيف الى هذه الآراء رأيا خلاصته ان القرآن معجز بتشريعه ، وهذا الاعجاز التشريعى قد سبق أن لمسناه لمسا خفيفا فيما سطرناه قبل من صفحات(١) ، وسوف نعود اليه مرة أخرى فيما يستقبل من حديث ، ولكننا نعجل فنقول ان القرآن بتشريعه يعد ضربا من الاعجاز فى مجال التشريع ، بعد أن خاضت الانسانية تجربة مريرة فى مجالى التنظيم والتشريع(٢) .

ولكنه من خطل الرأى وسوء التدبير ان نعتبر الاعجـــاز التشريعى فى القرآن هو غاية المأمول فى الابانة عن وجوه اعجاز القرآن .

ما نرتضيه فى هذا المجال :

ولو اننا تأملنا الآراء والمذاهب فى الابانة عن وجـــوه اعجـــاز القرآن لوجدناها على قسمين : قسم قد انحرف به الحديث فجاء رأيه خاطىء ظاهر الخطأ ، وقسم عرف الطريق من حيث بدايته ، ولكنه لم يسلك الطريق الى منتهاه فكان صحيحا فيما رآه ، قاصرا لأنه لم يعبر عن العناصر الباقية ممن لم يشاهده ولم يره .

ولو اننا تأملنا القرآن الكريم فى عصوره الماضية لاتضحت لنا حقيقتان هامتان هما : فصل المقال فى هذا المجال .

أولاهما : أن القرآن ظهر فى كل عصر ليعجز فحوله فى مجال تخصصهم دون أن يدعى هو لنفسه تخصص أو انحصار .

---

(١) انظر نظرية النبوة فى الاسلام — للمؤلف .
(٢) راجع القسم الأول من كتاب عقيدتنا — للمؤلف .

فهو قد ظهر للعرب المتخصصين فى صناعة القول وبلاغة الحديث ، فوقفوا أمامه مكبرين له معظمين لبلاغته وفصاحته ، وحين اختفى الحس البلاغى بقصور ملكة الادراك لسبب من الأسباب بقى القرآن بليغا كما هو ، وتغير عند الناس احساس البلاغة والتذوق والادراك .

وحين انشغل الناس بالعلوم المادية ، والابانة عن قوانينها ظهر القرآن ليعلن للعلماء انه معجز فى هذا المجال سابق فيه سبقا يجعلهم يشهدون بأنه من عند الله لا من عند غيره .

وحين ظهر فى العالم من يدعون التخصص فى معرفة المغيبات فى المستقبل ، أو من يدعون معرفة التاريخ الماضى بانتهاج المنهج الاستردادى ، قدم لهم القرآن نفسه على أنه فارس الميدان الذى لا يبارى .

وحين اختلفت الانسانية فيما بينها فى وسائل التشريع ، وكيفية ضوابط السلوك ، واكتشفت أرقى الأمم فى الحديث والقديم على السواء أنها عاجزة عن وضع قانون لضبط السلوك الانسانى لا يقبل التغيير ولا التبديل ، تقدم القرآن نفسه كتجربة عملية يصلح لقيادة البشر من غير احتياج الى تغيير أو تعديل .

والنتيجة التى تترتب على هذا كله هى : أن القرآن يظهر فى كل زمان بما يعجز أهله ، ولسنا ندرى بماذا سيطلع علينا الزمان المستقبل وبأى شىء سيعجزهم القرآن فيه .

ولقد اصبحت الأرضية الآن ممهدة لننتقل الى النقطة الثانية .

ثانيتهما : هى أنه لا يستطيع أن يحكم على القرآن الا من هو فى مستوى القرآن أو أعلى منه ، وتلك قاعدة عامة ندركها من أنفسنا ، فاننا نقول دائما : الحكم على الشىء فرع عن تصوره ، ولسنا نستطيع أن نتصور القرآن أو ندرك أسراره أو نحيط بدقائقه ، ولذلك فانه من العبث أن نحاول أن نحكم

بصفة قطعية على القرآن حكما جازما فى أى مجال من مجالاته ســوى أن نقول : « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين »(١) .

وتبين من هذا كله أن القرآن الكريم معجزة دائمة ، وان هذه المعجزة الدائمة لم تعط لأحد قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى ادعى فى وقت واحد أنه نبى كسائر الأنبياء ، واثبت للناس نبــوته ، ثم بين لهم انه خاتم المرســلين .

والمعجزة الدائمة جاءت لتخدم القضيتين معا .

فهى جاءت لتؤكد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كسائر المعجزات الأخرى ، بل انها أوكد واشد .

وجاءت لتخدم القضية الثانية قضية ختم النبوة حيث يظل القرآن المعجز بعد النبى صلى الله عليه وسلم وسيلة صحيحة تغنى عما عداها من الوسائل فى مجال تصحيح العقيدة ، والعودة الى حظيرة الدين الصحيح ، كما نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا تحتاج البيئة الرسالية على اتســاعها الى انبياء جدد ، وانما تحتاج فقط الى علماء يجيدون الفهم فى القرآن الكريم والأخذ عنه ، من غير احتياج الى القول بأن له ظاهر غــير مراد ، وباطن مستور هو المراد .

وفى الأثر ما يؤكد ذلك : « علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل » .

عالمية الاســلام :

ان من الأشياء الهامة التى لا يجب اغفالها حين يكون الحديث عن ختم النبوة عالمية الدعوة الاسلامية .

---

(١) الشعراء : آية ١٩٢ : ١٩٥ .

وعالمية الدعوة الاسلامية تحتاج الى بذل المجهود فى الوقوف على أسرار تلك الحقيقة فلا يكفى أن تكون الأمثلة غاية فى الوضوح وانما لابد لهذه الأمثلة الواقعية من مرتكز فكرى تعتمد عليه ، وأساس نظرى يجمع هذا الشتات الموجود فى المجتمع من تشريعات وعقائد .

وحين يبحث الانسان عن هذا الأساس الفكرى يكون بذلك قد تلمس الطريق الصحيح لحل هذه المعضلة .

على أن الاسلام لا يخشى مواجهة الأفكار الانسانية حين تتم بينهما المواجهة لما له من أصالة التنظير وعمق التقنين .

وتلك مقدمة تحتاج فى شرحها الى شىء من التفصيل وهو ما نحاول عمله الآن .

اننى أريد فى هذه المقالة ان ابدأ فى تحديد الفرق بين ان يكون هذا التشريع أو ذاك عالميا أو محليا ، بين أن يكون عاما شاملا ، أو يكون خاصا محددا ، بين أن يكون صالحا لكل زمان ومكان أو قاصرا على حقبة من الزمن أو بقعة من الأرض .

ان الانسان يعيش فى بيئة لها عاداتها وتقاليدها لها سلوكها وآدابها ، لها طرائق معايشها وأساليب التعامل فيما بينها ، وهذه الآداب وتلك العادات والتقاليد تعارفت عليها هذه البيئة دون غيرها واتفقت على أن يلتزم بهذه الآداب الأفراد والجماعات .

وهؤلاء الأفراد الذين يعيشون فى بيئة خاصة لهم فى نفس الوقت جوانب عامة يشاركون فيها جميع أبناء النوع الانسانى ، فلهم الأحاسيس والوجدانات ولهم الرغبات الفطرية والدوافع والنوازع التى جبلوا عليها الى غير ذلك مما يمكن أن يأخذ طابع العموم والشمول .

فاذا جاء القانون أو التشريع ليلمس الآداب الخاصة ، والعرف المحدود ، والطرائق التى لا تخرج عن اطار هذه البيئة كان هذا القانون أو ذلك التشريع محليا بطبعه لا يصـــلح لغير هذه البيئة ، ولا ينطبق على غير هؤلاء الأفراد الا اذا كانت لهم نفس الظروف وتلك الآداب وهيهات .

اما اذا جاء التشريع والقانون يلمس الجوانب العامة بحيث ينطلق منها ويعتبرها هى القاعدة الصالحة للتخاطب ، والمركز الذى ينبغى أن يعول عليه كان القانون فى هذه الحالة عالميا ، وكان عاما وشاملا لا يتأتى له بحال أن يكون موضع النقد الا من المغرضين ، ولا يتأتى أن يكون مستهدفا للتشكيك الا من المارقين الحاقدين الذين لا يريدون للانسان تقدما ولا يهدفون الى رقيه وكمـــاله .

ونريد فى ضوء هذه القاعدة أن نتحدث عن عالمية الاسلام فى غاية من الموضوعية مصطحبين معنا القاعدة والمثال ، مستهدفين النتائج العلمية دون سواها من النتائج ، فان ذلك أدعى الى التصـــديق واقرب الى الوفاق بين وجهات النظر المتعارضة فى قضية بعينها .

الظاهرة الانسانية بين الحركة والثبات :

ونعنى بالظاهرة الانســانية ما يختلف غاية الاختـــلاف عن الظاهرة الطبيعيـــة .

فالظاهرة الطبيعية نتاج قانون فى الطبيعة منذ أن خلق الله المادة والحياة ، والى أن يشاء الله أمرا آخر فى المادة والحياة ، وهى ظواهر فى الطبيعة ثابتة لثبات القانون ، تارة لاستقرار الظروف المحيطة التى تؤدى نتائج بعينها .

أما الانسان فهو يخضع الى مثل هذا القانون الطبيعى بمادته وجسمه ، ولكنه يخضع الى قانون آخر بأحاسيسه وسلوكه ، بأعماله ، وأشواقه .

وفيما يتعلق بالجانب المادى فى الانسان الذى يخضع للقانون الطبيعى فنحن نريد أن نسقطه من حسابنا الآن لأنه موضوع دراسة الفيزيقاء وعلوم الحيـاة .

بقى امامنا من الظواهر الانسانية تلك التى تتعلق بسلوك الانسـان واشواقه ، وما ينظم تلك السلوك والأشواق من تشريعات وقوانين ، ولنطلق على هذا النوع من الظواهر اسم الظاهرة الانسانية .

ومنذ التاريخ القديم للأفكار الانسانية قسم العلماء الظاهرة الانسانية الى ما هو ثابت وما هو متحرك ، فالثابت عندهم هو الذى يخضع بالضرورة لقانون ثابت وموضوع ثابت ولثبات القانون والموضوع كانت الظاهرة بالضرورة ثابتة ، ولابد فى التشريع الذى سينظم هذه الظواهر الثابتة من عنصر الثبات والاستقرار .

وهناك نوع آخر من الظواهر الانسانية يتصف بالتغير وعدم الثبات ، وهو يخضع الى الحركة الدائمة المستمرة ، لأن موضوعه ربما لا يكون دائما ولا مستمرا ، والقانون الذى يحكمه ليس فيه شىء من الثبات والاستمرار النمطى ، ولذلك يجب أن يكون التشريع الذى سينظم هذه الظواهر المتحركة متميزا بما يشبه ان يكون اطارا عاما تتحرك فى داخله هذه الظواهر التى لا ثبات لها ولا استقرار ، بحيث يضـمن لها أن تحـافظ على طبيعتها من الحركة المستمرة ، ويحافظ عليها فى نفس الوقت من الشطط أو النشاذ[1] .

---

(١) يرى المتأخرون عن علماء الاجتماع أن الظاهرة الديناميكية يمكن التحكم فيها بواسطة التشريعـات من ناحيتين : احداهما سرعة الحركة ، والأخرى : توجيـه تلك الحركة . انظر علـم الاجتمـاع بين ابن خلدون وأوجست كونت للمؤلف .

تلك هى حقيقة الظاهرة الانسانية وحقيقة القانون الذى ينبغى له أن يحافظ على الظاهرة وأن يتلاءم مع طبعها .

وتقسيم الظاهرة الانسانية الى ما هو ثابت والى ما هو متحرك موجود منذ أن اتجه العقل الانسانى الى التفكير فى ظواهر الانسان وسلوكه ، فهو فى فكر الغزالى موجود بصورة هشة وتلقائية لم يقصد الرجل الى تفصيل القول فيها ، مثله مثل غيره من معاصريه أو السابقين عليه .

ولكن هـذه الفكرة فى كتابات ابن خلدون اكثر تنظيما لأن الرجل كان يقصد الى الكتابة فى الظاهرة الانسانية قصدا ، وقد اختصها بكثير من العناية حين ابان عن نفسـه كأول رائد يكتب فى علوم العمران البشرى ، أو علم الاجتماع على نحو ما سمى بعد ذلك .

ثم رقدت هذه الافـكار بعد أبن خلدون رقدة لم تستيقظ الا على يد اوجست كونت فى فرنسا بعد حقبة طويلة من الزمن ، ولقد حاول فيلسوف الوضعية الاجتماعية أن يجعل الظاهرة الاجتماعية غاية همه ، فميز فيها بين موضوعين فى الظاهرة الانسانية يختص كل واحد منها بخصائص لا تتوفر لغيره ، ميز بين الثابت من الظواهر الاجتماعية (الاستاتيكى) وبين المتحرك من الظواهر (الديناميكى) .

وكانت النتائج فى هذه الجزئية هى نفس النتائج .

ولو اننا احتكمنا الى وقائع التاريخ فى مئات والوف السنين لوجدنا هذا التمييز بين هذين النوعين باديا لا سترة به .

وهذه الحقائق الثابتة لا يمكن أن تغيب عن بال المشرع اذا أراد أن يكون القانون الذى يريد وضعه قانونا عاما وعالميا ، اما اذا لم يرد المشرع أن يحقق لتشريعه هذه الصفة فلا عليه أن يفعل ما يشاء حسبما يناسب بيئته المحلية .

وبما أن الاسلام دين عالمى فانه قد تعامل مع هذه الحقيقة باعتبارها أمرا يختص بالانسان تعاملا فاق به كل مثال ، وطغى به على كل نموذج ، واستسلم له كل عقل راشد ، وفكر مستنير .

نظرة الاسلام الى الظاهرة الثابتة :

لقد تحدث الاسلام عن الظواهر الثابتة على الانسان حديثا ثابتا ومستقرا ، ووضع لها من القوانين والنظم ما يتلاءم مع هذا الثبات والاستقرار .

ونريد أن نأكد ذلك بمجموعة من القضايا التى تعبر عن الظواهر الثابتة فى حياة الفرد والجماعة .

ففى فاتحة سورة النساء ، وهى السورة الرابعة فى ترتيب المصحف يقول الله عز وجل : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

هذه الآية الكريمة قد لمست بغير استرسال أو اطناب مجموعة من القضايا الثابتة فى حياة الانسان يستشعرها كل انسان من ذاته لأنها تمس الانسان على اختلاف الزمان والمكان .

ومن القضايا التى تعالجها هذه الآية الكريمة ولها صفة الثبات والاستمرار قضية العقيدة ، انه يقول : « يا أيها الناس اتقوا ربكم » وهذا الخطاب متوجه الى الناس أجمعين مؤمنهم وكافرهم ، تقيهم وفاجرهم « يا أيها الناس » وهى قضية تحمل فى ثناياها دليل وجودها ، وبرهان التصديق بها ، ويظهر ذلك من التعبير بالرب دون سواه ، فالربوبية تعنى التعهد بالتربية والتنشئة ومد الكائن الانسانى بأسباب وجوده واستمرار حياته « اتقوا ربكم » .

ومن يوم ان خلق الله الانسانية فى شخص آدم ليتولى الخلافة عن الله فى الأرض بتطبيق شرعه لم تتخلف هذه القضية ، ولم يطرأ عليها أى تغيير ، فهذه قضية ثابتة فى حياة الانسان يشهد لثباتها توالى الأزمان فى مئات وألوف السنين منذ بداية آدم ككائن تاريخى ، والى أن ينتهى المكلفون بالعبـادة والانقياد الى الله .

القضية اذن ثابتة نادى بها الأنبياء جميعا منذ اولهم الى خاتمهم محمـد عليه السلام .

وقد حدث ان انحرف النوع البشرى كليا أو جزئيا بهذه العقيدة ، فهبط بنفسه الى مستوى الحيوان فاتخذه معبودا ، أو الى مستوى الجماد فخضع له وذل ، او الى مخلوق مثله — حى أو ميت — فدان له بالعبودية واتخذه الها ، أو تطلع الى القبة السماوية فها له ما فيها من أسرار وعجائب فظن انها الآلهة ، أو مظاهر يختفى وراءها الآلهة المحركون للعالم فعبدوا الكواكب والنجوم جهلا منهم بحقيقة هذه العقيدة الثابتة المستقرة .

وهذا الانحراف وحده قد اغرى علماء الاجتماع والفلاسفة الاجتماعيين بالتصريح الخطير الذى مؤداه أن العقيـدة تتطور ، وأن التعلق بالظاهرة الدينية تعلق بمتغير فى موضوعها ، وفى الطقوس التى تؤدى تقربا لهـذا الموضـوع .

وعلماء الاجتماع حين يصرحون بأن العقيدة ظاهرة متغيرة ، فان ذلك يعبر عن مجازفة علمية ، وسقوط فكرى فى وهدة يصعب على من يسقط فيها أن يجد لنفسه مخرجا أو خلاصا .

وسبب هذه المجازفة العلمية ، أمران غاية فى الوضوح :

احدهما : ان موضوع العقيدة لا يمكن أن يكون فى المرمى المؤثر لمناهج

علم الاجتماع وانما ما يدرسه علم الاجتماع انما هى الظاهرة الدينية فى احسن مظاهرها التى هى الطقوس والممارسات(١) .

وثانيهما : أنهم قــد خالفوا منهجهم الذى يوصـــف غالبا بالعلميـــة والموضوعية ، فلكى يصلوا الى نتيجة صحيحة فى مثل هذه القضية لابد أن ينتخبوا من عناصر الظاهرة ما يعبر عن حقيقتها ، ولا يصح لعـــالم يدعى السلامة لنتائجه أن يبنى النتائج على بعض المقدمات والعناصر التى تعبر عن جزء الحقيقة لا الحقيقة كلها .

والذى يقرأ فى كتاب علم الاجتماع فى موضوع العقيدة وتطورها عندهم لا يجد الا حشدا هائلا من النماذج التى تعبر عن ديانات وضعها البشر فى لحظة انحراف عن جادة الطريق واعوجاج عن الفطرة الانسانية السليمة ، وكأن علماء الاجتماع بجرة قلم قد حذفوا من تاريخ الانسانية الحافل ما فيه من تاريخ الأنبياء والرسل ، وما جاءوا به من فكرة موحدة عن العقيدة مهما تباعدت بينهم حقب التاريخ .

ولو أن علماء الاجتماع لم يجاذفوا بمثل هذا الذى جاذفوا به لما كان لهم أن يدرسوا هذه الظاهرة ، وان درسوها ، لا يدرسوها الا فى جانب العبادات أو الممارسات الفعلية ، ويبقى الحديث عن العقيدة قصرا على علماء الدين الذين يستلهمون فرتها مما جاء به الأنبياء والرسل .

وفيما عدا هذا الانحراف الفكرى والعملى للانسان ، فان العقيدة فى الله هى خط الانسانية الثابت عملا وفكرا ، أشواقا وممارسات (وتلك قضـــية ثابتـــة) .

---

(١) سبق أن تناولنا هذا الموضوع فى أكثر من بحث راجع مشكلة الالوهية بين الشهرستانى وابن سينا للمؤلف — جـ ١ — مخطوط بكلية أصول الدين — جامعة الأزهر .

واذا كان قد تعين على الانسانية جميعا أن تتوجه بالتقوى والعبادة الى الله وحده ، فان هذه العبادة نفسها تحتاج الى تشريع وتنظيم ، ويحتاج التشريع والتنظيم الى قانون العقوبات والردع الذى يحميه ، ومن يؤمن بهذا القانون وينفذ مبادءه يكون قد حقق فى نفسه العبودية المطلقة لواضع القانون ، ويكون واضع القانون فى نفس الوقت هو الاله المستحق للعبادة (وتلك هى الأخرى قضية ثابتة لأنها ترتبت على قضية ثابتة) .

وفى الآية الكريمة قضية ثانية تلى قضية العبودية لله فى الترتيب ، وهى قضية وحدة الأصل للنوع الانسانى كله « الذى خلقكم من نفس واحدة » ، ووحدة الأصل على هذا النحو لا يمارى فيها أحد من الناس ، المتدينون وغير المتدينين ، الجميع متفقون على أن النوع الانسانى كله يرجع الى نفس واحدة .

وأصحاب نظرية التطور كدارون وغيره ، وان كانوا يقولون بأن الانسان صاعد على أصل حيوانى فانهم يؤمنون بأن هذا الانسان الذى تحول عن أعلى درجات سلم التطور فى الحيوان قد اعتبر أصلا لهذه الطوائف المتنوعة من البشر ، والحشد الانسانى العظيم الذى ملأ بقاع الأرض على طول الزمان وعرضه .

ولسنا هنا نريد أن نتعرض الى نظرية التطور الا بمقدار هذا القدر المشترك بين أصحاب هذه النظرية وسائر المفكرين لتصبح القضية من هذه الزاوية قد حظيت باجماع الآراء عليها(١) « الذى خلقكم من نفس واحدة » ولذا تكون هذه القضية قضية عالمية لا ينال منها تطور التاريخ ، ولا يزحزحها عن مكانها توالى الحدثان .

---

(١) راجع موقفنا من فكرة بدء الخليقة فى كتاب عقيدتنا وأثرها فى الكون والحياة — للمؤلف .

ويترتب على هذه القضية ترتبا منطقيا اخوة النوع الانسانى لأنه قد انحدر من اصل واحد ، ويتصل بهذه الأخوة طائفة ضخمة من التشريعات ، أهمها التشريعات الأخلاقية التى تحدد مسئولية الانسان عن أخيه الانسان ، وهى مسئولية يرعاها الاسلام على مستويات ثلاث :

(ا) فالانسان مسئول عن اخيه الانسان فى جانبه المادى فان احتاج الى المال وجب على المجتمع المسلم أن يرعاه ، وان احتاج الى أن يحمل على دابته أو يدفع عنه مصيبة حلت به على اى مستوى كانت هذه المصيبة ، فان المسلمين افرادا وجماعات مسئولون مسئولية مباشرة فى حدود امكاناتهم أن يدفعوا عن أخيهم ما حل به .

(ب) والانسان مسئول ايضا عن اخيه الانسان فى جانبه المعنوى حين يقع على نفسه ما يؤلمها ، أو ينال منه حدث طارىء فيقلق راحته ، أو يشككه فى ذاته ، أو يقلل من آماله واشواقه فى المستقبل والحياة .

(ج) وتتعدى مسئولية الانسان عن اخيه الانسان كل حدود وتفوق كل مقياس حين يطالبنا الاسلام أن نتحمل مسئوليتنا الكاملة حين يلم بأحد أفراد الانسانية مرض يؤدى الى انحرافه فى سلوك أو اخلاق (انصر اخاك ظالما أو مظلوما ، قالوا ننصره مظلوما ولكن كيف ننصره ظالما) وتكون الاجابة على لسان المشرع (تمنعه عن ظلمه) .

وهذه المستويات الثلاث تجد لها براهين قوية وادلة ومحفزات فى اطار الاسلام تتطلبها طلبا حثيثا . وتشدد عليها بحيث يأثم من يفرط فى مستوى واحد منها (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم » « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيىء الى أمر الله فان فاءت

فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان) .

مبدأ الاخوة فى الاسلام وما يتصل به من تشريعات يترتب على قضية وحدة النوع البشرى ، ووحدة الأصل الذى ينحدر عنه ذلك النوع ، ولما كانت القضية الأولى قضية ثابتة وعالمية كانت القضية المترتبة عليها وما يتصل بها من مبادىء وتشريعات هى الأخرى ثابتة وعالمية .

وهناك قضية ثالثة فى الآية الكريمة « وخلق منها زوجها » .

وهذه القضية انما تعبر عن تلك الصلة الأكيدة بين الرجل والمرأة فى هذه الحياة ، وما يترتب على هذه الصلة من وظائف تضمن استمرار تحقيق معنى الخلافة فى الأرض .

وحين يعبر القرآن عن هذه الصلة بالوحدة فانه لا يعنى بالقطع وحدة الانحدار أو انسلاخ الجزء عن الكل ، وانما اللفظ يعنى فيما يعنى وحدة النوع ، فآدم الأصل وحواء الأصل انما هما من نوع واحد هو النوع الانسانى ، وحينئذ فهما يشتركان فى الأحاسيس ، والآمال وفى التطلعات والأشواق ، وفى الغرائز والطباع ، وفى الميول والرغبات ... الى آخره مما ييسر سهولة التعامل وتحقيق الوظيفة المناطة بهما .

وتلك قضية لا تحتاج منا أن نقف عندها طويلا لنبين ما اذا كان المراد من الوحدة هى وحدة الجزء مع كله أم انها هى وحدة النوع ، تلك مسألة لها مناسبة غير هذه المناسبة ، ولكن ما نريد أن نعجل به ان اللفظ فى الآية صريح فى الدلالة على ما قصدنا اليه .

ووحدة النوع الانسانى — لرجلا كان أو امرأة — فى الطباع والأشواق

والتطلعات الوحدة النوعية الكاملة قضية ثابتة ومستقرة لا ينال منها التاريخ ، ولا يزحزحها عن مكانها تعاقب الأجيال وتوالى السنين .

ويترتب على هذه القضية ان كلا من الرجل والمراة له حقـوق وعليه واجبات بحيث تتناسب هذه الحقوق وتلك الواجبات مع ما القى على عاتقه من مهمة تحقيق الخلافة فى الأرض .

وتحتاج هذه الحقوق وتلك الواجبات الى تشريع وقانون ينظمها حين تعجز العواطف والوجدانات أن تنظمها أو تحافظ عليها وهذه هى الأخرى قضايا ثابتة ومستقرة لأن موضوعها ثابت ومستقر .

واخيرا فان الآية الكريمة فيها من القضـايا الثابتة المستقرة : « وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » . وهذه الجملة من الآية انما تعبر عن الاجتماع الانسانى ، فان الانسان يعيش فى مجتمع يتكون هذا المجتمع من أفراد ، وهو يعيش فى مجتمع من يوم أن وجد على ظهر هذه الأرض الى الآن ، سواء كان المجتمع صغيرا أو كبيرا ، رعويا أو زراعيا أو صناعيا ، متخلفا او متحضرا هذا كله لا يهم ، المهم انه يعيش فى مجتمع ، وان المجتمع يتكون من افراد . تلك حقيقة ثابتة لا يزحزحه عن مكانها تطور التاريخ ، ولا ينال منها توالى الأحـداث .

ويترتب على هذه القضية ترتبا منطقيا أن هذا المجتمع المتكون من الأفراد لابد وأن يحافظ على التوازن فيه بين الفرد والجماعة ، بحيث لا يطغى الفرد على المجموع ، ولا يطغى المجموع على الأفراد .

وما نراه او نشاهده من طغيان انما هو انحراف بقضية ثابتة عن مكانها الثابت المستقر .

وبهذا يتبين لنا أن فى التشريع الخاص بالانسان قضايا ثابتة تتصل بهـا قضايا وتشريعات لابد وأن تكون ثابتة كذلك بالضرورة لثبات موضوعها .

الجانب المتطور فى الظاهرة الانسانية :

والى هذا الحد يبدو أننا نتحمس اكثر الى الجانب الثابت فى الانسان ، بحيث يتراءى للقارىء أو السامع أن الاسلام لا ينظر الى الانسان بغير هذا المنظار ، ولا يهتم بغير هذا الجانب فى حين أن هناك جوانب أخرى متغيرة ومتطورة .

والحق أن الاسلام قد اهتم بالجانب الثابت فى الانسان ، فصوره على ما هو عليه ووضع له التشريعات التى لا تقبل التعديل أو التغيير ، وهذا أمر يقبله المنطق ويشهد له العقل الرشيد المستنير ، فكل ما هو ثابت لابد وان تكون التشريعات التى تعالجه ثابتة كذلك لا تقبل التغيير .

غير أن الاسلام فى نفس الوقت قد أقر الجانب المتطور والمتحرك فى الانسان ، ووضع له كذلك تشريعات ونظم ، ولكن هذه التشريعات وتلك النظم لم تكن تشريعات جامدة ، أو نظم نمطية بحيث تكبل الانسان بأبشع الأغلال كما فعلت الكنيسة فى عصور الظلام فى أوربا .

وتلك قاعدة تشرحها الأمثلة .

فالجانب المتطور فى الانسان ما هو ؟ انه يتمثل بوضوح فى عملية الاحتكاك بين عقل الانسان والكون المادى الفسيح ، وهذا الاحتكاك يؤدى الى اكتشاف قانون أو استنباط فكرة او الوقوف على علة ظاهرة من الظواهر ، وعلى الجملة (العلم) انها كلمة ترمز باختصار شديد الى هذا الاحتكاك المستمر الذى لا يعرف الثبات فى العطاء أو الركود فى الحركة .

واذا كانت أوربا فى عصور الظلام قد حاربت العلم ونكلت بالعلماء ، فان الاسلام قد دفع أبناءه دفعا الى البحث عن المعرفة فى اطار شرطين أساسيين يتحرك بشرط أن يكون مراعيا لهما .

الشرط الأول : ان يكون المنطلق والأساس هو أن العلم لله لا لتحقيق الذات ، ولا للمجتمع ، ذلك أن هذه مفاهيم يمكن أن تتضارب ويقع الخلاف فيها : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » .

والشرط الثانى : يترتب على الشرط الأول ترتبا منطقيا وهو أن العلم لابد وأن يحاط بسياج الأخلاق .

واذا كان العلم سيحاط بسياج الأخـلاق فان العالم لن يكون متكبرا ولا محتقرا لخلق الله الذين لم تتح لهم فرص العلم والدرس « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

واذا كان العلم ملحوظا فيه جانب الأخـلاق فانه لا يستغل فى تدمير البشرية ، ولا فى تدمير ما أنتجته من وسائل الانتاج لمواد ضرورية أو ترفيهية .

وحين اتيح للمسلمين ان يستظلوا بدولة الاسلام حقبة من الزمن وصلوا فى العلوم التجريبية الى درجة عالية تحدث عنها — بريفلت — فى كتابه أصول الحضارة الانسانية فى عبارة مطولة خلاصتها ان المسلمين قد استطاعوا أن يستخدموا العلوم التجريبية والمناهج العملية بشكل واسع حين كانت أوربا تسترخى فى عصور الظلام والجهل ، وحين استيقظت أوربا ، انما استيقظت على شعاع النور القادم اليها من الأندلس ، وليس لروجر بيكون ولا لغيره أن يدعى لنفسه حق اكتشاف المنهج التجريبى ، وانما هو قد استفاده كغيره من اساتذة معلميه العرب فى الأندلس .

تلك هى لباب الفكرة التى قالها — بريفلت — وهى تأكد بلا شك أن الاسلام قد دفع المسلمين دفعا فى أطار المنطلق والهدف الى البحث العلمى النشط والكشف عن أسرار الله فى الكون .

وهذا الذى قلناه فى العلم يمكن أن نقوله كذلك فى شكل المجتمع .

ان الاسلام قد وضع تشريعات خاصة بالاجتماع لأن الاجتماع قضية ثابتة ، ولكن شكل المجتمع نفسه لم يتدخل الاســـلام فى تحديده لأنه قابل للتطور ، ولو أن الاسلام وضع نموذجا للاجتماع لتحطم عند أول تغير فى مجتمع الجزيرة العربية نفسها .

لابد للمجتمع فى ظل الاسلام أن يحافظ على التوازن بين الفرد والجماعة تلك هى القضية الثابتة .

وقد تكون هذه المحافظـــة فى ظل مجتمع بدوى أو حضرى ، رعوى أو زراعى أو صناعى ، كل هذا لا يهم ، المهم أن يكون ذلك كله فى ظل الحفاظ على التوازن الاجتماعى .

وما يقال فى العلم وشكل المجتمع يقال فى النظرية السياسية ، وقيادة المجتمع عن طريق الحكومات أمر ضرورى ، ولابد أن تكون هذه الحكومة أو تلك مؤمنة بالقضايا الآتية :

١ — أن تكون الحاكمية لله فى ظل شرعه وتطبيق قانونه .

٢ — أن تحافظ الحكومة على الشورى وترفض الاستبداد بالرأى .

٣ — أن يكون الحـــاكم مدركا لأن وظيفته خدمة ومسئولية يمكن أن يحاسب عليها بحكم القانون .

٤ — وعلى الرعية الطـــاعة والانقيـــاد مادام الحاكم فى طاعة الله مستجيبا لشرعه ، فان عصى فلا طاعة ولا انقياد .

تلك قواعد ثابتة ومستقرة ، أما شكل الحكومة وكيف يكون فهذا مالم يتدخل الاسلام فيه ، وانما تركه للتطور ، بحيث يختار المسلمون الشكل الذى يناسب وضعهم الاجتماعى ، ولكن فى اطار هذه المبادىء العامة .

وأخيراً نريد أن نلفت النظر الى ظاهرة أخرى انها ظاهرة دوران المال فى المجتمع (الاقتصاد) .

لقد وضع الله لنا قاعدتين غاية فى العموم ، ووضع لهما بعض التفاصيل التى تخدمها .

فالاقتصاد فى ظل الاسلام يرتكز على فكرة عدم تكديس المـــال فى يد افراد أو طائفة لأن ذلك يجعل الفقير فقيرا بالوراثة ، والغنى غنيـــا لغنى الأصول من الآباء والأجداد ، وتلك قضية يرفضها الاسلام من حيث المبدأ « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

على أن الاسلام يؤكد من جهة اخرى أن النظرية الاقتصادية ينبغى أن تعتمد فى حركتها فى المجتمع على اساس من الخلق الرشيد الذى يمنع استغلال الانسان لأخيه الانسان ، وفى ظلال هذه القاعدة الخلقية يكون الربا حراما والبيع حلالا ، الغبن والغش حراما ، الكشف عن العيوب خاصة المستور منها فضيلة تستحق الثواب ، السرقة والغصب وأكل مال اليتيم وابتـــذاذ الأموال بغير حق كل هذا حرام ، الاجارة والمضاربة والمزارعة ... حلال فى ظل النظرية الاسلامية لانها لا ظلم فيها ولا غش ولا خداع ، ولا سيطرة على اموال الناس بالباطل .

فى ظل هذه المبادىء العامة يتحرك الاقتصاد الاسلامى حركة نشطة ، لا تكبلها اغلال ، ولا يشلها نظام ثابت لا يتلاءم مع حركتها ، ولا يتناسب مع التطور اللصيق بها .

وهكذا عالج الاسلام قضايا الانسان أيا كان الانســـان فى غاية من الموضوعية التى تتناسب مع كل انسان دون أن يستطيع أن يطاولها عقـــل انســـان .

« قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » .

ولا نريد من هذا الحديث الموجز عن الجانبين الثـــابت والمتحرك فى الانسان ، وما يتبعهما من تشريع أن نقول : ان الاسلام لم يأت الا بمبادىء

عامة ، ولا ينبغى أن يفهم عنا ذلك ، وانما تحدث الاسلام عن المذهب والعلم ، اذا صح التفريق بين المذهب والعلم فى كل جانب من جوانب التشريع .

وهناك من أصول التشريع فى الاسلام ما يحتــوى كل قضية جادة ، وجديدة فى المجتمع الاسلامى أيا كان نوعها ، مادامت هذه القضية تعبر عن لبنة فى صرح الحضارة الانسانية التى تلائم طبع الانسان ، وترتفع بقيمــة الانســـان .

وارجو ان اكون من خلال هذا الموجز السريع عن القرآن وعالمية الاسلام قد وضعت قدم القارىء والباحث على اول طريق الحل للمعضلتين اللتين تواجه من يدعى أنه خاتم الأنبياء ، وكيف من الله علينا بالحل تأييدا لدعوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من انه خاتم الأنبياء والمرسلين ، ليكون حل هاتين القضيتين المعضلتين على هذا النحو المعجز بمنزلة قول الله للأمة على اختلاف زمانها ومكانها (صدق عبدى فى كل ما يبلغه عنى) .

هذا بعض ما يستطيع العقل ان يقدمه فى مجال ختم النبوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فماذا عسى ان يقدم أدعياء النبوة فى هذا المجال تأييدا لدعوى شيطانهم الكاذب أنه هو الاله ، وأنه هو المشرع ، وأن باب النبوة ما يزال مفتوحا ؟؟

مازال صدر الاسلام فسيحا للمناقشة ومقارعة الحجة بالحجة .

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » .

« هل عندكم من سلطان بهذا » .

« وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » .

اما اولئك النفر الذين تركوا دينهم الاسلامى ، وانصرفوا عنه الى دين آخر بعد أن عرفوا أسراره ووقفوا على حقيقته ، فهؤلاء لا يناقشهم الاسلام ، وانما يعاقبهم بأقصى درجات العقوبة ، وهى القتل لما احدثوه فى المجتمع من بلبلة تتصل بالعقيدة التى هى المحور الأساسى الذى تنبنى عليه حضـــارة الانسان ويترتب عليه سعادته الدنيوية والأخروية .

* * *

المتنبي ليتني ما عرفته

لقد خلق الله الانسان وفيه العقل ، والعقل لا يغذيه الا الفكر ، والفكر له مقدماته وله نتائجه يدركهما العلماء والباحثون ، ويستمتع بادراكهما العلماء والباحثون .

وللبحث العلمى منهجه الدقيق الذى يأخذ العلماء أنفسهم به ، ويلتزمون به التزاما يرتفع بهم عن كل نقيصة ، وينأى بهم عما يعيبهم أو يشينهم .

ويتميز المسلمون من بين سائر العلماء بمميزات اهمها فيما يتصل بالمنهج، انهم اضافوا اليه بعدا اخلاقيـــا يزيد فى حرصهم ، ويرتفع بدرجة التزامهم بالحقيقة ، وتحريهم لها والبحث عنها ، التزاما يجعلهم يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبهم غيرهم .

تلك هى حقيقة البحث العلمى الممتع ، وهذه هى سماته التى لا يكاد ينفك عنها .

ومنذ شهرين كاملين وجدت نفسى أمام سؤال ، الاجابة عليه بالنسبة لى محيرة ، واختيار نوع بعينه من الجواب دون غيره من الأنواع أمر فى غاية الصـــعوبة .

علمت فيما علمت أن رشاد خليفة تنبأ ، واشعرنى هذا العلم بأمرين فى نفس الوقت .

اولهما : أن رشاد خليفة بتنبئه يكون قد كتب الفصل الأخير فى مهزلته التى طالت منذ أوائل الستينات الى الآن .

وثانيهما : أن رشاد خليفة كسابقيه من أدعياء النبوة ، قد قصـــد من دعوته تلك اضلال الكثيرين من المسلمين وغير المسلمين ، الذين لم تتضـــح فى أذهانهم فكرة الاسلام بشكل كامل .

ويتخذ لاغراء هؤلاء واضلالهم من الوسائل ما يناسب طباعهم ، ويتلاءم مع وجداناتهم وغرائزهم .

واكثر ما يركز عليه خونة الاسلام هنا هم الشباب ، الشباب بطاقاته وغرائزه ، ويختارون من هؤلاء من كانت بضاعته فى العلم والدين قليلة .

والتركيز على الشباب أمر له دلالته ، انهم يريدون أن يعطلوا طاقة الأمة ، وان يصيبوا بالشلل قوتها الجارفة المتمثلة فى سن الفتوة والشباب .

أدركت هذا كله ، واحسست بهذا كله ، وسألت نفسى يومها هل اجرد نفسى وقلمى لأساهم فى كلمة حق ينبغى ان تقال ، حتى نبصر الشباب بطريقهم، أم انصرف الى ما هو افضل من ذلك واجدى من نحو شرح قضية من قضايا الاسلام ، وتجليتها بقدر الطاقة الممكنة ؟

سؤال طرحته على نفسى ، والاجابة عليه فى غاية الصعوبة ، وكل جواب له ما يبرره ، وله ما يقويه عندى .

اننى حين اختار الكتابة فى قضية من قضايا الاسلام ، فانما انا بهذا الاختيار سأنفع نفسى أولا ، ثم احاول أن انفع من ورائى ، ان قدر الله لى ولغيرى أن ننتفع بما نقرأ ونكتب .

وانا حين اختار ان اناقش رشاد خليفة فانى لن انتفع بشىء الا ما يقدره الله لى من الرضا والرضوان تفضلا منه وكرما ، ولكن ربما ينتفع بعض الناس الذين فتنهم هذا الضلال والاضلال ، حين نبصرهم بحقيقة هذا الضلال والاضلال .

الم اقل لك ان الاختيار صعب .

لقد اختار الله لى ، وانا راض بما قسم الله لى أن اقضى شهرين من عمرى مع هذيانات رشاد خليفة ، وما يتسرب عنه من ضلال ، وما يتفوه به

من كذب وبهتان ، وان اجمع المتناثر من هنا ومن هناك ، وهو لم يكتب في العربية الا القليل ، فكان على أن استعين ببعض الرجال الذين قدموا لى كل معونة ، وترجموا لى ما أحتاج الى ترجمته ، ونقلوا الى العربية من الانجليزية ما يساعدنى على فهم المواقف ، وتجلية الأسرار .

لقد ساعدنى فى هذا المجال رجال يتقدمهم اخى الدكتور محمد احمد حسب الله الذى حمل نفسه بعض المتاعب راجيا من الله مثوبته على ما تحمل من المتاعب والمشقات ، ونقل لى من الانجليزية بعض الرسائل ، اردت ان اثبت بعضها فى الملاحق آخر الكتاب ، وفى الوقت نفسه عثرت على خبير بالانجليزية كان ولا يزال صديقا بل اخا ، أحترم شخصيته وأقدر رجولته هو الدكتور صلاح العجيمى طبيب الفم والأسنان بدمياط ، عرضت عليه أن ينقل لى من الانجليزية ما أريد نقله فلم يتردد فى اعطائى الموافقة على ما أريد ، ووضع تحت تصرفى مجهوده الضخم ، فجزاه الله عنى خيرا ، ووفقه ووفقنى لما يحبه ويرضاه .

رجال عرفتهم فهيئوا لى الحكم على رشاد خليفة .

وهناك رجال آخرون عملوا معى فى صمت ، فهيئوا لى ما اريد من معلومات تتصل بحياة رشاد خليفة قبل وبعد سفره الى أمريكا .

لم اعمل اذن فى المجال وحدى ، وربما كنت اقل العاملين فيه .

ولكنى لم اغتبط بهذا العمل ولن اسر له ، لأنى كنت أدرك من أول الوقت أن من يعاشر المتخلفين ، ويتعامل معهم ، ولا يتعامل مع غيرهم ، ويعيش معهم فترة من الزمن ، فانه فى آخر المدة التى يعايشهم فيها سيخرج ، واقل ما يصيبه من الأذى أنه لم يستفد شيئا جديدا .

شهران كاملان أيها القارىء العزيز وأنا لم استفد فى العلم جديدا ، وانما قد ذهبت الى بيداء رشاد خليفة ومعى عصاى أهش بها عليه ، واحاول

ان ارده ردا جميلا الى اخوانه من البشر ، والى زملائه فى الانسانية ، والى دينه واهله وعشيرته .

ونحن اتباع النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ليس علينا الا النصح بالكلمة ، والارشاد بالقول ، حتى يهيىء الله لأمثال رشاد خليفة أن يتركوا ما هم فيه ، وأن يعودوا الى ربهم حتى لا يقعــوا تحت طائلة هذه الآية :

((وليحملن أثقالهم ، واثقالا مع اثقالهم ، وليسئلن يوم القيامة عمــا كانوا يفترون))(١) .

ونحن ان شاء الله طامعون فى الأجر والمثوبة من الله سواء استجاب رشاد خليفة وأمثاله ، أو لم يستجيبوا .

وانت أيها القارىء العزيز ، يجب أن تعلم أن المهزلة لم تنته بعد ، وان آخر فصل فيها لم يكتب الى الآن ، وان ما قرأته فى هــذه الدراسة ليس الا شيئا قابلا للتجديد ، والتطوير ، والدفع خطوة الى الأمام ، فان كنت ممن يشغلون أنفسهم بالبحث ففى عنقك الدين أن تتابع هذه الحركة الضالة ، وأن تدفع بهذه الدراسة خطوة الى الأمام ، وان كنت من هواة القراءة والمتابعة فقط ، ففى عنقك الدين الذى يحتم عليك أن تراسل المؤلف على جامعة الأزهر ان كان حيا بما يقع تحت يديك من وثائق ، وما يقع تحت عينيك من مطبوعات حتى يتمكن بمشيئة الله من مواصلة الدرس والبحث ، ثم انك على كل حال مدعو من المؤلف برجاء خاص الى اصلاح ما عسى أن يكون قد فاته ، وتصحيح ما عسى أن يكون قد وقع فيه من الأخطاء .

وفى نهاية كلمتى أقول : ان هذا الكتاب مباح لكل من يرى ان فيه القدرة على النشر أن ينشره ، فليست حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، وانما حق الطبع مباح لكل من يرى فى نفسه القدرة على الطبع ، ولكل من يرى فى نفسه

---

(١) العنكبوت : الآية ١٢ .

شوقا الى رضى الله عز وجل ، من غير أن يكون للمؤلف فيه غير الحق الأدبى ، غير ان المؤلف يشترط شرطا واحدا ، وهو ان يعاصر الكتاب وهو يطبع ، فعلى الناشر الذى يريد طبعه ، أن يعود الى الكاتب ليكتب مقدمته يثبت فيها الجديد الذى توصل اليه ، ويصلح الخطأ الذى وقع فيه ، ويزيد ما يريد ان يزيده فى طبعاته الجديدة .

والناشر الذى لا يفعل ذلك لا يجوز له بحال طبع الكتاب ، والا يقع فى مخالفة قانونية هو وحده المسئول عنها .

وفى آخر المطاف لله عز وجل وحده الحمد والمنة وهـو حسبنا ونعم الوكيـل .

ولكل من بذل فيه مجهودا بالخط أو الترجمة ، أو التصحيح ، أو المشورة والرأى اجرا يناسب فضل الله وكرمه ، وفضل الله لا يحد ، وكرمه لا ينتهى — آمين .

ملاحق الكتاب

(ملاحق الكتاب)

ملحق رقم (١)

منظـــور المســـلم

تنشر شهريا من مسجد توسان

عدد ابريل ١٩٨٥ — رجب ١٤٠٥

نقله للعربية دكتور صلاح متولى العجيمى طبيب الفم والأسنان بدمياط

كلمـــة للمترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

اننى فى ترجمتى لهذه الأعداد من المجلة التى يحررها رشاد خليفة فى مسجد توسان حاولت قدر الامكان أن أكون أقرب الى الحرفية فى الترجمة منها الى التصرف حتى تكون العهدة على صاحبها . وان كان ذلك فى مضمونه يخل بسلاسة وحلاوة اللغة العربية العظيمة .

منظـــور المســـلم

ابريل ١٩٨٥ — رجب ١٤٠٥

تصدر شهريا من مسجد توسان

من نحن .. ؟

خلال الأربعة عشر قرنا الأخيرة زحفت على الاسلام نواميس وعادات وخرافات وبدع . حتى اصبحت هذه التحريفات بالتدريج راسخة رســـوخ الاجلال العقائدى . لدرجة أن أى أحد يتسائل عنها يجد نفسه متهما بانه مبتدع خطير ومنشق عن العقيدة .

فالاسلام اليوم اصبح جوهرة ثمينة ولكنها مدفونة تحت اكوام متراكمة من بدع الانسان . وهدفنا هو ازالة هذه الأكوام واظهار جوهر الاســـلام الى العالم .

هل تخلى الله عن العرب ؟

« ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »

الرقم ١٩ هو القيمة العددية لكلمة العربية « واحد » لأن و = ٦ ،
ا = ١ ، ح = ٨ ، د = ٤

∴ ٦ + ١ + ٨ + ٤ = ١٩ .

ان الرسالة « الرب واحد » تشمل القرآن كله من خلال نظام حسابى عجيب . حيث الرقم ١٩ هو العامل المشترك فيه .

هذا النظام يعتمد كلية على حقائق طبيعية لا تنكر . مثل :

حقيقة التسعة عشر حرفا التى فى البسملة .

وحقيقة أن القرآن يتكون من ١١٤ سورة (١٩ x ٦) .

وحقيقة أن الحروف الغامضة التى يبدأ بها نصف القرآن (الم — ق — ن — يس . الخ) . موجودة فى سورها عدد من المرات هو عادة مضاعفات الرقم ١٩ .

وذلك بالاضافة الى الحقائق الطبيعية الثابتة الأخرى .

ان هذه المعجزة الشاملة للقرآن معروفة لدى الرب نفسه كواحدة من المعجزات العظيمة (٧٤ — ٣٥) مع الرقم ١٩ المذكور خصيصا (أنظر ٧٤ : ٣٠ — ٣٥) .

ان المعجزة بسيطة وسوية وقد فهمت تماما وقدرت حق قدرها من قبل آلاف من الناس عبر العالم . فهناك العديدون الذين اعتنقوا الاسلام بسبب هذه المعجزة فقط .

ان هذه المعجزة قد فهمت تماما وقدرت من قبل الأمريكان والكنديين والمصريين والماليزيين والبريطانيين والايرانيين والأتراك والاستراليين

والامارتة والاوربيين والاندونيسـيين والفلبيين واليابانيين والصـينيين . وقوميات اخرى كثيرة ولكن لم يؤمن بها عربى واحد .. لماذا ... هل تخلى الله عن العرب . ؟

انظر التقرير المفصل ...

التقـرير :

ان معجزة ساحقة قد اكتشفت فى القرآن . هذه المعجزة تتميز بأنهـا تتكون كلية من حقائق طبيعية لا تنكر .

فخلال الخمسة عشر عاما الأخيرة وباستخدام الكمبيوتر ظهر نظـام حسابى معقد فى القرآن .. لقد كتبت خمسة كتب والعديد من الملخصات حول العالم لتفصيل هذه المعجزة المرعبة للقرآن .

ان القرآن نفسه اقر ان هذا النظام الحسابى الاعجازى يشتمل على معجزة القرآن .

انظر (١٠ : ١ — ١٢ : ١ — ١٣ : ١ — ١٥ : ١ — ٢٦ : ٢ — ٢٧ : ١ — ٢٨ : ٢ — ٣١ : ٢ — ٧٤ : ٢٥ — ٣٥) .

اضف الى ذلك ان القرآن قد اقر انه يشتمل على سر سـوف يثبت ان القرآن حقيقة هو كلام الله فى يوم من الأيام .

(انظر ٢٥ : ٤ — ٦) وان هذا السر سوف يعرف فى الزمن القـادم (انظر ١٠ : ٢٠) .

ان آلافا من الناس حول العالم قد بحثوا معجزة القرآن هذه وكل هؤلاء الذين فتح الله عليهم وفهموها قد سحقوا جميعا .

ان آلاف الناس قد فهموا وقدروا معجزة القرآن الحسابية والكثيرون انقلبوا الى الاسلام كنتيجة مباشرة لها .

المسلمون من كل الجنسيات والقوميات ومستويات التعليم والعمـل قد دعموا هذه المعجزة بحماس . الاستثناء الوحيد فى ذلك هو العرب .

ان واحدة من الظواهر الغريبة التى لم أرها من قبل هى أن أيا من العرب لم يسمح له أن يفهم أو يقدر معجزة القرآن .

« ليس فقط أن الله لم يفتح على العرب ويفهموا معجزة القرآن الحسابية ولكنهم أيضا الوحيدون فى العالم الذين يحاربونها . نعم يحاربونها . انهم يعتمدون الميزانيات وينفقون الكثير من الأموال لمحاربة الله ومعجزته .

والمثل التالى هو خير ايضاح :

فى يوليو الماضى زرت بلدة فانكوفر لأتحدث عن معجزة القرآن . بعض الأخوة والأخوات فى فانكوفر عملوا معى بنشاط ليعلنوا عن المعجزة . وضعوا الاعلانات فى الصحف اننا نمتلك الآن البرهان بأن القرآن هو رسالة الله الى العــالم .

وعندما حان الوقت لالقاء محاضرتى اســتجاب الكثــير من الكنديين المسيحيين الى الاعلانات . وجاءوا ليشاهدوا المعجزة .

وعندما انتهت قام بعض المســتوطنين العرب فى فانكوفر بالاتصـــال بالسفير السعودى فى أوتاوا . وفى الحال أرسل الرجل الثانى فى الســفارة والمسئول عن الدعوة الدينية الى فانكوفر ليواجهنى . وبمجرد ان انتهيت وقف الشيخ محمد القاعود (مسئول العقيدة السعودى) وأنكر كل جزئية ذكرتها . واعترض على بما يلى :

١ — أن التعبير الافتتاحى للقرآن (البسملة) لا تتكون من ١٩ حرف !!
٢ — أن القرآن لا يتكون من ١١٤ سورة .

ولقد وصل به الحد أيضا أن يقول أن الشمس لا تبزغ من الشرق !! وطبعا فان كل مسلم فى العالم يستطيع أن يعد حروف البسملة ويجد انهم ١٩ حرف . هذه حقيقة طبيعية لا تنكر (أعتقد ذلك) .

وكل مسلم فى العالم يستطيع أن يأخذ نسخة من القرآن ويرى أنهــا تتكون من ١١٤ سورة (١٩ x ٦) .

ولكن الكنديين المسيحيين الذين حضروا المحـــاضرة لم يعرفوا ذلك لذلك تركوا المحاضرة خائبى الآمال بينما نشلنا نحن فى اثبات أن القرآن هو آخر رسالات الله الى العالم .

ان معجزة القرآن قد أثبتها الكمبيوتر فى مسجد توسان منذ سنوات وحتى الآن . والمسجد له فروع كثيرة فى العالم . آلاف قـــد فهموا وقدروا المعجزة وقد قوى ايمانهم (أنظر ٧٤ : ٣١) .

ان الناس الذين اهتدوا بالنور فى العالم والناس الذين يقومون على خدمة مسجدنا على أسس منظمة منهم :

الأمريكان — الكنديون — البريطانيون — المصريون — الأندونيسيون — الماليزيون — الايرانيون — اليابانيون — الأتراك — الأفارقة — الأوربيون — الباكستانيون — الهنود — وكثيرون من قوميات مختلفـــة . ولكن لا يوجد عربى واحـــد .

ان القرآن يقرر فى آخر سورة ٤٧ :

« وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لا لا يكونوا أمثالكم » .

ان العرب قد منحهم الله القرآن لمدة ١٤٠٠ سنة ولكنهم هجروه كلية وقد شغلوا بالفبركات الانسية(١) . (أنظر التفصيلات فى البيان المرفق) . لقد اتضح لذلك أن الله حقا قد نفذ وعده . وقرر أن يستبدل بعض الأقوام مكان العرب . ان الله أخيرا قد تخلى عن العرب لأنهم ابتعدوا عن القرآن (٤٧ — ٣٣) .

ان الرسول أيضا قد تبرأ من العرب (شعبه) يوم القيامة (أنظر ٢٥ : ٣٠) بسبب هجرهم للقرآن .

ان العرب يبدو انهم قد نسوا أن القرآن هو كلام الله الذى جاء من طريق النبى . (انظر ٦٩ : ٣٨ — ٤٧) .

---

(١) يقصد السنة .

ملحق رقم (٢)

« منظور المسلم »

عدد مايو ١٩٨٨ — رمضان ١٤٥٨

نقله الى العربية الدكتور صلاح العجيمى .

[محمد هو آخر الأنبياء لأنه هو الذى أوصل آخر الرســالات . ولكن وحسبما ذكر فى القرآن فانه ليس بآخر المرسلين . (٣٣ : ٤٠)] .

على أى رسول يأتى بعد محمد أن يعظ الناس ويؤكد على الرســالة القائمة (٣ : ٨١) . ولكن لسوء الحظ فان فكرة رسول جديد مكروهة من قبل الناس . أن القرآن ذكر أن محمدا قد استهزىء به من الناس فى عصره فقالوا عنه : « هل هذا هو الذى يدعى أنه رسول الله » .

« هل هذا هو الذى سخر من آلهتكم » .

« لماذا لم يعهد الله برسالته الى رجل أفضل » .

(٢١ : ٣٦ ، ٢٣ : ٤٤ ، ٢٥ : ٤١ ، ٤٣ : ٣١) .

لقد قوبل النبى يوسف بتشكيك واحتقار . وبعد أن مات قال عنه الناس انه آخر الأنبياء . (٤٠ : ٣٤) .

ان الغالبية العظمى من المسلمين يعتقدون أن محمدا كان آخر الرسل على الرغم من أن هذه الفكرة مضادة تماما لما تعلمه محمد (٧ : ٣٥—٣٣ : ٤٠) أن الله قد منحنى برهانا ماديا قويا لاثبات رسالتى باعتبارى رسوله الى العالم الجديد .

« واذ أخــذ الله ميثاق النبيين لما آتينكم من كتاب وحكمة . ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » . (٣ : ٨١) .

« ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » . (٤٣ : ١٣) .

« وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا . قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا » . (١٧ : ٩٤ — ٩٦) .

« ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » . (٤٠ : ٣٤) .

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما » . (٣٣ : ٤٠) .

« قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون » . (٧ : ٧٥) .

تقـــــديم

رسالة الى العالم الجديد

ان الله يحب أمريكا . لقد تأسست أمريكا على اسس حرية العقيدة .

ان العملة الأمريكية هى العملة الوحيدة فى العالم التى يعلن عليهـا « نحن نؤمن بالله » .

الناس فى أمريكا يتمتعون بحرية اكبر من أى مكان آخر فى العـالم . لذلك فان أمريكا هى أحب الشعوب الى الله . ان الحرية هى اعظم هبات الله وان من ينكرون هذه الهبة يغضبون الله ويطردون من رحمته .

ان الله قد بارك أمريكا .. انها على قمة العالم اقتصـاديا وزراعيا وعلميا وعسكريا وادبيا . ولكن أمريكا موجودة فى العالم الجديد وانهـا لم يرسل اليها رسول من الله . ان العالم القديم قد أرسل اليه العديد من الرسل منهم : ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وقد حان الوقت لأن تتلقى أمريكا بركة عظيمة (رسولا من الله) ليساعدهم ويهديهم . ليقوى قيهم الروحية وليوصل المعلومات الضرورية التى يحتاجونها .

ان الرسول سيعطى الاجابات الصحيحة لمعظم الأسئلة الأمريكية الملحة ويعطى الحلول النهائية لمعظم مشـاكل أمريكا المستعصية مثـل العقاقير ، والكحوليات ، والجريمة والفقر ومشاكل السكان المتفاقمة . انه سيغطى النقاط الهامة التالية :

١ — الدليل المادى الأول والمباشر لصحة رسالة الله الى العـالم الجـديد .

٢ — من هو الله — لمحة من عظمة الله .

٣ — السر وراء السعادة الحقيقية الآن والى الابد .

٤ — معنى الحياة — لماذا قد خلقنا . ؟

٥ — الى اين نحن ذاهبون . ماذا سيحدث تماما يوم الحساب . ؟

٦ — لماذا تحدث المآسى .

٧ — متى ينتهى هذا العالم .

انه مع كثرة المخادعين والكذابين فان كل رسول من الله قد أيد من الله بآيات كثيرة : (معجزات لا تقهر) ليثبت أنه مفوض من الله لتبليغ الرسالة . عندما ذهب موسى الى فرعون ألقى بعصاه فأصبحت حية . وعيسى أعاد النظر الى الأعمى . وابرأ السقيم الميئوس منه . واحيى الموتى باذن الله . كذلك فان رسول الله الى العالم الجديد قد جاء بدليل مثبت بالكمبيوتر وهو دليـــل لا يمكن دحضـــه .

أن الله يعلمنا أن نطلب دليلا قاطعا قبل أن نؤمن لأى رسول . ان هؤلاء الذين فحصوا البرهان جيدا وتوصلوا الى قناعة مطلقة انني رسول الله قد تمتعوا بامتياز خاص واعطوا مسئوليات رائعة ومبهجة .

ان الله قد عاهدنا عهدا مقدسا قبل أن نأتى الى هذه الدنيا بأن نؤمن برســـله . (٣ : ٣١) .

ان الله يعلمنا أنه من جانبه سوف يقوى ويدعم ويبارك من يؤمنون برسله ان الرسول الأخير الذى جاء بالرسالة الأخيرة هو محمد . ولكن حسبما جاء فى القرآن فانه ليس آخر الانبياء (٣٣ : ٤٠) وأن أى رسول يأتى بعد محمد عليه أن يعظ وأن يؤكد على رسالة محمد (٣ : ٨١) وعلى الرغم من ذلك فانه توجد كراهية قوية لدى الناس ضد فكرة رسول جديد . ان القرآن يعرفنا أن أى رسول جديد يحارب من قبل الناس فى عصره . (٢١ : ٣٦) (٢٣ : ٤٤) (٢٥ : ٤١) (٤٠ : ٥) ان محمدا قد استهزىء به (أهل هذا هو الذى عهد اليه من الله) .

« هل هذا هو الذى يهاجم آلهتكم » .

ان يوسف كان قد قوبل بانكار واحتقار وعندما مات قال عنه الناس انه آخر الأنبياء . (٤٠ — ٣٤) كذلك فان الغالبية العظمى من المسلمين يعتقدون ان محمدا كان آخر الرسل . على الرغم من أن هذه الفكرة هى تماما عكس ما أنزل على محمد (٧ — ٣٥) (٣٣ — ٤٠) .

ان فضح الأباطيل العقائدية فى العصر الحديث كذلك مؤلفى الأناجيل الذين يطالبون بوعظ الناس لهو من اسباب رسالة الله الى العالم الجديد (٩ : ٣٣ — ٣٤) (٤٨ : ٢٨) .

الدليل فى ايجاز :

منذ عهد محمد رسول الله وآخر الأنبياء (٣٣ — ٤٠١) . ظهر العديد من الناس الذين ادعوا النبوة . من هؤلاء بهاء الله الايرانى ، غلام احمد القاديانى (باكستان) وجوزيف سميث قائد المورمونية .

لم يعط اى منهم اى دليل على انه رسول الله . لقد كانت كل عظاتهم متخمة بتاليه محمد او عيسى او كليهما معا .

« قال الرب لى : ان هؤلاء الأنبياء الذين يتفوهون باسمى يكذبون وأنا لم ارسلهم ولم اعطهم اوامر ولم اكلمهم انها رؤى كاذبة ورجم بالغيب احمق . ان احلامهم التى يوحون بها لهى من صنع خيالاتهم » . (ارميا النبى ١٤ — ١٤) .

« خذ حذرك من الأنبياء المزيفين الذين يأتون اليك فى ثوب الحمل ومن تحتها ذئاب مفترسة . سوف تعرفهم من أعمالهم » . (متا ٧ — ١٥ — ١٦) .

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء » . (القرآن ٦ — ٩٣) .

ان رسالتى باعتبارى مكلف من قبل الله مؤيدة ببرهان مادى لا يمكن ان يدحضه أى باحث شريف . ان البرهان يتمثل فى قانون رياضى هائل ضمن رسالة الهية الى العالم .

هذا القانون أساسه الرقم ١٩ . ان هذا القانون أكبر من قدرات أى انسان .

انه من الصعب أن أفصل تركيبة القرآن الحسابية فى هذا التقديم . لقد ألفت خمسة كتب فى هذا الشأن . ولكننى سوف أذكر هنا أمثلة كافية لأوضح هذه المعجزة التى ترتكز على الرقم ١٩ والتى وصفها الله بنفسه باعتبارها « واحدة من المعجزات العظيمة » (٧٤ : ٣٠ — ٣٥) .

١ — كلمة الله (أهم كلمة) قد ذكرت فى القرآن ٢٦٩٨ مرة ١٩ × ١٤٢ .

٢ — عندما نجمع عدد الآيات التى ذكرت فيها كلمة الله فان الاجمالى يكون :

١١٨١٢٣ وهى أيضا مضاعفات الرقم ١٩ .

١١٨١٢٣ = ١٩ × ٦٢١٧ .

وهذا يثبت ان دقة عدد الآيات يعتبر فوق طاقة البشر .

٣ — كلمة القرآن ذكرت فى القرآن ٥٧ مرة ١٩ × ٣ .

٤ — عندما نجمع عدد الآيات التى ذكرت كلمة القرآن نجد أن الاجمالى يكون ٢٦٦٠ = ١٩ × ١٤٠ .

٥ — كلمة قرآن ذكرت فى ٣٨ سورة ١٩ × ٢ .

٦ — عندما تجمع أرقام السور التى نجد فيها كلمة القرآن على اجمالى أرقام الآيات التى ذكرت أعلاه (٢٦٦٠) فان الاجمالى يكون ٢٦٦٠ + ٣٨ = ٢٦٩٨ وهو يساوى عدد المرات التى ذكرت فيها كلمة الله .

٧ — ان افتتاحية القرآن المشهورة (بسم الله الرحمن الرحيم) تتكون من ١٩ حرف .

٨ — كل كلمة من مكونات أفتتاحية القرآن موجودة فى كل الكتاب عدد من المرات هى مضاعفات الرقم ١٩ .

٩ — القرآن مكون من ١١٤ سورة ١٩ x ٦ .

١٠— مجموع آيات القرآن هو ٦٣٤٦ = ١٩ x ٣٣٤ .

١١— ان أول وحى على الرسول مكون من ١٩ كلمة و ٧٦ حرف اى ١٩ x ٤ .

١٢— آخر سورة (١١٠) تتكون من ١٩ كلمة .

هذه فقط فكرة سريعة حول هذا القانون الرياضى الضخم والمعقـد والساحق . انه يثبت كل صغيرة فى القرآن . عدد السور — عدد الآيات — عدد الكلمات — عدد بعض الحروف المعينة — وحدة وغرابة هجـاء بعض الكلمات — وكثير من عناصر القرآن الأخرى .

كذلك فان القانون الرياضى المعتمد على الرقم ١٩ موجود فى رسالات الله السابقة . وفيما يلى استشهاد مقتبس مباشرة من كتاب بعنوان « دراسات فى التصوف اليهودى » (جمعية الدراسات اليهودية) كمبرديدج . جوزيف دأن وفرانك تالماج ١٩٨٢ ص ٩١ .

... يوجد فقط تسعة عشر مرة حيث يذكر الاسم المقدس (فى ذلك الجزء من صلاة الصباح) .

... وكذلك نجد كلمة الرحيم تسعة عشر مرة .

... وتجد أن اسرائيل قد سميت « أولاد » تسعة عشر مرة .

وهناك أمثلة كثيرة أخرى .

كل هذه التسعة عشرات تحتوى على اسرار كثيرة وهى مجموعة فى اكثر من ثمانى طبعات كبيرة .

ان دور الرقم ١٩ باعتباره (توقيع الله الخاص) على كل شيء خلقه . قد اخذ فى الاعتبار فى طبعتى الجديدة لترجمتى للقرآن (تحت التحضير) .

ان هذا الرقم الآن يلعب دورا أساسيا فى الخلق عبر الكون كله وفى الطبيعة وحتى فى أحداث التاريخ .

اننى بتواضع أقدم هذه الحقائق المعتمدة على الرقم ١٩ كبرهان خاص على أننى رسول الله :

١ — على الرغم من أن قانون الله الرياضى من خلال القرآن بسيط فان آلافا من الدارسين عبر ١٤ قرنا قد غم عليهم أن يروه .

ان هذه الحقائق البسيطة مثل الـ ١٩ حرفا فى افتتاحية القرآن عدد السور (١٩ × ٦) الـ ١٩ كلمة فى أول وحى والـ ١٩ كلمة فى آخر سورة من الوحى وحقيقة أن الرقم ١٩ قد ذكر بالتخصيص مع الذين لا يؤمنون والمدعون أن القرآن من صنع الانسان (٧٤ : ٢٥ — ٣٠) كل هذا كان يجب أن يعرف بسهولة .

٢ — ان القرآن نفسه قد أسمانى باسمى الأول واسمى الأخير على أننى الانسان الذى سيفسر هذا القانون الرياضى .

ان اسمى الأول هو رشاد قد ذكر فى القرآن مرتين (٤٠ — ٢٩)(١) (٤٠ : ٣٨)(٢) .

---

(١) ورد هذا الاسم على لسان فرعون فى مصر وحكاه الله عنه انظر « قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد » ورشاد يستدل بها على نبوته وأن الله قد رشحه ليكون نبيا فبئس النبى الذى يبشر به فرعون . (المؤلف) .

(٢) والمرة الثانية وردت فى سورة غافر كذلك وهى على لسان مؤمن آل فرعون والله عز وجل يحكيها على لسانه ، وليس فيها تبشير =

واسمى الاخير هو خليفـــة ذكر مرتين (٢ : ٣٠)(٣) (٣٨ : ٢٦)[٣] احدى كلمتى خليفة تشير الى الخليفة السيء الذى يفسد فى الأرض ويريق الدماء (أى ابليس) (٢ : ٣٠)(٣) والخليفة الأخرى هى الانسان الخليفـــة الحسن .

عندما نضيف ارقام السور والآيات التى ذكر فيها اسمى الأول رشاد (٤٠ + ٢٩ + ٣٨) مع أرقام السور والآيات التى ذكر فيها اسمى الثانى الخليفة الانسان (٣٨ + ٢٦) فيكون المجموع ١٧١ اى مضاعفات الرقم ١٩ ١٧١ = ١٩ x ٩ .

٣ — ان اصل اسمى الأول رشاد بكل اشكالها قد ذكرت فى القرآن ١٩ مرة . (أنظر المرجع المشهور) دليل كلمـــات القرآن . للمؤلف م . ف عبد الباقى . ص ٣٢٠ .

لستة السور والآيات التى نجد فيها كل انواع كلمة رشاد مبينـــة فى الجدول الآتى :

بأحد ، وانما هى وصف للطريق المستقيم انظر الى الآية : « وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد » أى طريق الخير ، ولم يقل سبيل رشاد فتأمل (المؤلف) .

(٣) انظر الى التضليل ان الآية خطاب للملائكة فى شأن آدم ووظيفته « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » والآية الثانية فى شأن داود عليه السلام وخطاب له « يا داود انا جعلناك فى الأرض خليفة » فأين المتنبى من الآيتين ؟ انه التضليل (المؤلف) .

رقم مسلسل	رقم السورة	رقم الآية	رقم مسلسل	رقم السورة	رقم الآية
١	٢	١٨٦	١١	١٨	٦٦
٢	٢	٢٥٦	١٢	٢١	٥١
٣	٤	٦	١٣	٤٠	٢٩
٤	٧	١٤٦	١٤	٤٠	٣٨
٥	١١	٧٨	١٥	٤٩	٧
٦	١١	٨٧	١٦	٧٢	٢
٧	١١	٩٧	١٧	٧٢	١٠
٨	١٨	١٠	١٨	٧٢	١٤
٩	١٨	١٧	١٩	٧٢	٢١
١٠	١٨	٢٤			

٤ — عندما نجمع كل ارقام كل السور والآيات التى ذكر فيها اسمى الأول واسمى الأخير كما هو مبين بالجدول بدون اعادة فان المجموع أيضا هو مضاعفات الرقم ١٩ .

٢ + ١٨٦ + ٢٥٦ + ٤ + ٦ + ٧ + ١٤٦ + ١١ + ٧٨ × ٨٧
+ ٩٧ + ١٨ + ١٠ + ١٧ × ٢٤ + ٦٦ + ٢١ + ٥١ + ٤٠ × ٢٩
+ ٣٨ + ٤٩ + ٧ + ٧٢ × ٢ + ١٠ + ١٤ + ٢١ + ٣٠ × ٣٨
+ ٢٦ = ١٤٦٣ أى ١٩ × ٧٧ .

٥ — حسبما ذكر فى القرآن (٢٢ : ٧٨) فان الديانة الحقيقية لعالم الجديد بدأت بابراهيم . ان كتابه المقدس قد اوحى به الى **محمد** .

وبواسطة الكمبيوتر فان الله قد باركنى لأننى :

١ — قد اكتشفت البرهان : برهان مادى يثبت الوهية القرآن .

٢ — كشفت أسرار القرآن .

قيمة كلمة ابراهيم كما ذكرت فى القرآن = ١ + ٢ + ٢٠٠ + ٥ + ١٠ + ٤٠ = ٢٥٨ .

قيمة كلمة محمد = ٤٠ + ٨ + ٤٠ + ٤ = ٩٢ .

قيمة كلمة رشاد كما تثبت فى القرآن = ٢٠٠ + ٣٠٠ + ١ + ٤ = ٥٠٥ .

اذا اعتبرت كل واحد منهم على حدة فانها ليست من مضاعفات الرقم ١٩ .

ولكن الاجمالى للأسماء الثلاثة = ٨٥٥ أى ١٩ × ٤٥(١) .

وهذا يعكس حقيقة ان ابراهيم هو الرسول الأساسى .

بينما محمد اوصل رسالته . بينما رشاد قد بورك بأن يكون الموصل لبرهان أن الرسالة من عند الله .

٦ — ان معامل الضرب ٤٥ هو عمرى عندما عهد الى من الله أن أكون وسوله . انا ولدت عام ١٩٣٥ لذلك فان عمرى فى ١٩٨٠ = ٤٥ عاما وبالتمام عام ١٤٠٠ هجرى . ان الله أخبرنا أن الفترة بين محمد والرسول الذى بعده هى سبعة ازواج من القرون (١٥ : ٨٧) وعام ١٩٨٠ ميلادية توافق ١٤٠٠ هجرية .

كل هذه الحقائق المادية فى القرآن حيث انه أوحى به منذ ١٤٠٠ سنة لذلك فان الله قد أعطى برهان حقيقى ومادى بأننى رسوله (١٨ : ٢٩) .

---

(١) انه يعتمد فى كل ما ذكر على القاعدة الخيالية التى تقول ان كل حرف يقابله رقم على طريقة عد أبى جاد . (المؤلف) .

ملحق رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

منظــور المســلم

تنشر شهريا من مسجد توسان

فبراير ١٩٨٨ — جمادى الآخرة ١٤٠٨

المحرر : رشاد خليفة — الدكتوراة الفلسفية

نقله الى العربية / دكتور صلاح العجيمى ٠

الأزهر يكفر بالقرآن

مسلسل تاريخى هام :

بقلم الدكتور : أحمد صبحى منصور

جامعة الأزهر سابقا

وحوارى رشاد خليفة وصاحبه الآن

الموضح اسفله هو صورة مصورة من مقالة رسمية من جامعة الأزهر المشهورة بالقاهرة . المقالة ظهرت فى الاصدار الأخير (يناير ١٩٨٨) من جريدة الأزهر الرسمية (منبر الاسلام) وقد كتبها رئيس التحرير ٠

يقول جهلاء الأزهر :

« فمن المعلوم أن القرآن قد جاء دستوراً ٠ ومن شأن الدساتير (ان صح هذا التعبير بالنسبة للقرآن) أن يكون مجملا فى حاجة الى تفصيل » ٠

ولكن القرآن يقول :

« افغير الله ابتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصــلا » ٠ ٦١ : ١١٤) ٠

« الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ٠ (١ : ١١) ٠

« حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقــوم يعلمون » . (٤١ : ٣) .

« ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . (١١١ : ١٢) .

المشكلة الأزلية للأزهر أنه مسجد سيء الاستخدام (مســجد ضرار) يقوم على حماية التراث البشرى(١) الذى يناقش القرآن ويتهم كتاب الله بأنه غامض يحتاج الى توضيح وأنه ناقص يحتاج الى تفصيل .

ولكن القرآن سهل ومفهوم فقط للذين يؤمنون حقا :

« ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . (٧ — ٥٢) .

وللذين يعلمون :

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » . (٤١ — ٤٣) .

وللذين يذكرون :

« وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون » . (٦ — ١٣٦) .

ومن الواضح أن الأزهريين لا يؤمنون ولا يعلمون ولا يذكرون . لذلك فان الله قد أعماهم عن القرآن الكريم .

« واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا . وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا » . (١٧ : ٤٥ — ٤٦) .

---

(١) يقصد السنة . ومن المعروف أن رشاد خليفة وأحمد صبحى منصور يكفران بالسنة ، ويصرحان بأنها من عمل الشيطان ، كما يلومان على المسلمين تقــديرهم للنبى واحترامهم لشخصه ، ويعتبران أن ذلك من قبيــل الشرك (المؤلف) .

ولقد ادت الاكنة على قلوبهم والوقر فى آذانهم الى تكذيب رب العزة فى تقريره ان القرآن الكريم كامل وتام ومفصل .

« ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (٣٣ — ٦)

« انزل اليكم الكتاب مفصلا » (١١٤ — ٦)

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا » (١١٥ — ٦)

« قل أى شىء اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » . (١٧ : ٦) .

ولم يقل أوحى الى القرآن والسنة .

تعليق المحرر(١) :

كما هو مدعم بالوثيقة فى الصفحة السابقة فان الأزهر يرفض التأكيدات المتكررة للقرآن بأنه كامل وتام ومفصل تماما .

ان الأزهر يأخذ موقفا رسميا من أن القرآن ليس كاملا ولا مفصل .

ومن ثم فان الأزهر يعزز تلك البدع الشيطانية مثل الحديث والسنة .

ان أى مسلم يمتلك اقل قدر من التفكير والبداهة يستطيع أن يرى أن الأزهر لا يحترم ارادة الرب . ولكن يحترم ارادة ابليس .

أحمد صبحى منصور هو أول عالم أزهرى يكتشف الحقيقة ويقف فى وجه السلطات فى قلعة ابليس (الأزهر) . فى هذه السلسلة التاريخية من المقالات أوضح منصور الطبيعة المحمدية للأزهر ودوره فى قلب المسلمين المخلصين الى محمديين مؤلهين للوثنية .

---

(١) يشير الى رشاد خليفة محرر «منظور المسلم» ، وانظر الى عبارته التى تتضح بالأسى لأن المسلمين فى الأزهر وغيره يؤمنون بالسنة ، ويقدرون النبى صلى الله عليه وسلم ، وانه لا يؤمن بالسنة ولا يقدر النبى ، بل يعتبر الصلاة عليه شرك وتقديره كفر ووثنية . فتأمل (المؤلف) .

ملحق رقم (٤)

([ترجمة نص الرسالة التى وجهها د. احمد صبحى منصور الى محمد احمد ليقوم بتصحيحها وطبعها ونشرها اسهاما منه فى الدفاع عن الاسلام]) .

قام بترجمتها من الانجليزية الى العربية : ا.د. محمد احمد حسب الله الأستاذ المساعد بقسم التاريخ والحضارة — كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر .

« رشاد عبد الحليم (خليفة) هل هو رسول الله ام رسول الشيطان » ؟.

دعنا نبحث عن الاجابة فى القرآن الكريم ، وردت كلمة رسول فى القرآن بمعان مختلفة كما سنرى :

١ — وردت بمعنى الملك الذى يرسله الله لمهام معينة مثل ملك الموت يقول القرآن : « حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . وكجبريل رسول الوحى الذى يرسله الله الى كل نبى فلقب بالروح ، يقول القرآن : « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه — وأنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين — الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » وحول هذا المعنى اقرأ ايضا سورة ٣٥ آية ١ ، سورة ٨١ آية ١٩ — ٢٣ .

٢ — الرسول بمعنى القرآن(١) ، يقول القرآن : « ومن يخرج من بيته

---

(١) يتعسف أحمد صبحى منصور هنا غاية التعسف فيحمل كل آية تلقب النبى محمدا بأنه رسول على أن المراد من الرسول فيها هو القرآن ، حتى لا يتورط فى الاقرار بالسنة التى ينكرها أشد الانكار ، وقد سبق أن قلنا أن دور أحمد صبحى مع رشاد خليفة هو دور محمد على اللاهورى مع غلام أحمد القاديانى ، يقر ما يقره رشاد ، وينكر عليه دور النبوة فى الظاهر ، كى يستقبل ويحتضن من ينشقون على رشاد عند دعواه النبوة (المؤلف) .

مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » هذا هـو سبب الهجرة أثناء وبعد زمان محمد ويعنى أن الرسول فى هذه الآية القرآن .

وبوجه عام عندما يقول القرآن : « الله ورسوله » فانها تعنى الله وكلماته فى القرآن ، يقول الله : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » لا فرق بين الله ورسوله الذى يعنى كلماته . اقرأ سورة النساء آية ١٥٠ ، سورة المائدة آية ١١٧ [ن ص ١ — ب ص ٢] .

نحن نطيع كلمات الله التى نطق بها النبى ، ولا نطيع جسده البشرى ، والنبى نفسه أول من يطيع كلمات الله التى نطق بها لسانه ، وعلى العموم فان الرسول يعنى القرآن فى عدة آيات مثل « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » « قد أنزل الله اليكم ذكرا ، رسولا » « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون،بشيراً ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون» .

٣ — الرسول تعنى النبى : كل رسول من الله يكون نبيا ، وكل نبى رسول ، لا فرق بين الكلمتين (النبى — الرسول) محمد خاتم الأنبياء وخاتم المرسلين للجنس البشرى ، لكن ذوى النزعة التقليدية يقولون أن النبى هو صاحب الكتاب المنزل من الله ، والرسول هو الذى لم ينزل عليه كتاب من السماء ، لكن هذا الرأى مخالف للقرآن ، نحن نعرف من القرآن أن هارون لم يكن الشخص الذى يملك العهد القديم ، لقد ترك موسى هارون مع قومه وذهب ليتلقى التوراة ان هارون لم يكن صاحب كتاب منزل من الله ، لكنه نبى طبقا لهذه الآية « ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا » .

ان رسول الله هو الذى يختاره الله وينزل عليه الوحى من السماء سواء كان له كتاب منزل أم لم يكن ، يقول القرآن : « ما كان محمدا أبا أحـد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » فكونه آخر نبى يعنى كونه آخر رسل الله لانه لا يوجد رسول من الله بعد محمد وكل من يخالف ذلك فهو عـدو للاسلام . [ن ص ٢ — ب ص ٣] .

٤ — رسول تعنى شخص ما أرسله شخص آخر ، مثل الرسول الذى أرسله ملك مصر الى يوسف فى السجن يقول القرآن : « فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك » وعن قوم نوح يقول القرآن : « وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم » نحن نعرف أنه لا يوجد رسول فى ذلك الوقت الا نوح ، فمن الذى كذبهم قوم نوح ؟ انهم رسل نوح الى قومه .

وعلى أية حال فالقرآن سماهم رسل نوح لأن رسول الله الوحيد هو نوح .

اقرأ أيضا آية الشعراء « كذبت قوم نوح المرسلين » هذا يذكرنا بآية الأحزاب التى تصف محمداً بأنه آخر الأنبياء والمرسلين من الله « ما كان محمد ... الآيات » تلك الآية تجعلنا نفهم أنه لا يوجد فرق بين الكلمتين (رسول الله — النبى) ومحمد أيضا آخر رسل الله .

القرآن كامل تام مفصل فهو لا يحتاج الى جديد فى أى وقت ، وأى فرد يسمى نفسه رسول الله بعد محمد ويتهم القرآن بأنه غير كامل أو غير مناسب لزماننا فهو مدع للنبوة ورسالته مزيفة ، وعدو لدود لله ولرسوله (القرآن) ، وأى تابع لهذا الرسول المزيف فهو فى حزبه « حزب الشيطان » يقول القرآن : « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ، الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ، ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين » .

لا يوجد بعد القرآن الكامل التام وحى جديد ، يقول الله عن القرآن : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته » « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » [ن ص ٣ ب ص ٤] .

لا يوجد وحى الهى بعد رسول الله الخاتم محمد لأنه لا جديد بعد تمام القرآن لكن وحى الشيطان مستمر فى أى وقت ، وفى أى مكان ، قبل وبعد

اتمام القرآن ولذلك نعرف الكثير ممن ادعى النبوة والرسالة « الأنبيـــاء المزيفون » (مدعو النبوة) فى التاريخ الاسلامى ، وكلهم رســـل الشـــيطان الحقيقيـــون .

لقد حذرنا القرآن من الشيطان ورسله ، ومن وحى الشـــيطان ، لو تفضلت اقرأ بتأمل قول الله تعالى فى سورة الأنعام (الآية ١١٢ — ١١٥) « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن » [لاحظ أن رشاد أظهر عداءه للنبى محمد عندما أعلن فى نشراته أن الصلاة عليه شرك] « يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه » [لاحظ أنه من أجل اختيار المؤمنين يستمر الوحى الشيطانى ليميز بين المؤمنين الحقيقين ومدعى الايمان . وهذا هو السبب فى ان لكل أمة أو جيل عددا من مدعى النبـــوة .

« ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون » [لاحظ أن رشاد يخترع عدة أكاذيب ليقنع اتباعه ، مثل أسطورة الأربعين سنة من العمر ليشجع ويبرر ويسوغ ارتكاب الخطايا والآثام قبـــل الأربعين .

ونحن نبرهن على أن اسطورته هذه ما أنزل الله بها من سلطان .

« أفغير الله ابتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا . . . وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته » لذلك فالقرآن نفسه يدحض ادعاء رشـــاد .

كل ادعاءات رشاد تثبت أنه رسول الشيطان وصاحب الوحى الشيطانى ليس فقط أسطورة الأربعين سنة ولكن أيضا عدة من ادعاءاته تقف فى مواجهة القرآن وعلى سبيل المثال :

١ — يعتقد رشاد فى نفسه أنه صاحب المعرفة السماوية والوحى الالهى المستور من الله [الغيب] وبناء على هذا الادعاء الكاذب يخترع عدة اكاذيب وينسبها الى الله .

لا وحى فى العقيدة [ن ص ٤ ب ص ٥] بعد تمام القرآن ، ولو أن أحدا ادعى وحيا جديدا بعد القرآن ، فهو العدو الحقيقى لله ، يقـول القرآن : « ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ، والى ذلك تشير آيات كثيرة فى القرآن » الأنعام ٢١ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، الأعراف ٣٧ ، يونس ١٧ ، هود ٨ ، الكهف ١٥ ، العنكبوت ٦٨ .

ان اى انسان يدعى انه يعلم الغيب فقد جعل نفسه الها بجانب الله ، لانه هو الوحيد الذى يعلم الغيب ، يقول القرآن فى سورة النمل : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله » والنبى محمد نفسه لا يعرف الغيب والقرآن أمره أن يقول : « قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم » .

وفى الحقيقة لقد وضع رشاد نفسه فى مرتبة أعلى من النبى محمد الذى لا يعرف عن مستقبله شيئا ، ولا يملك لنفسه أو لغيره ضرا ولا نفعا فى يوم القيامة ، اقرأ آية الأعراف « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير » .

محمد لا يملك القوة [السلطة] ، لكن رشاد يدعى لنفسـه القـوة [السلطة] على ايذاء اى انسان يقف ضده ، ولذلك فانه عادة يحكم على اى شخص يناقشه أو يحاوره .

ان المقدرة على الصفح والعقاب هى لله وحده وليست للنبى محمـد ، يقول تعالى لمحمد : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم

ظالمون » ولكن رشاد رسول الشيطان يدعى لنفسه المقدرة على الصفح والعقاب ، وبهذا الادعاء الكاذب يتحكم فى أتباعه .

كل الأنبياء كانوا يخشون الله وعذابه لكن رشاد يعتقد انه وأتباعه بالتأكيد فى الجنة مهما فعلوا ، ولكى تعرف مدى خوف الأنبياء من عذاب الله اقرأ هذه الآيات : « قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » واقرأ أيضا : ١٥/١٠ ، ١٣/٣٩ ، ١٥/٦ ، وفى نفس الوقت فان غير المؤمنين هم الفئة الوحيدة التى تعتقد انها فى امان فى يوم القيامة . « ما نحن لك بمؤمنين » « وقالوا نحن اكثر اموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » اقرأ ١٣٨/٢٦ ، ٣٥/٣٤، ٥٩/٣٧ ، ٣٦/١٨ ، ٥٠/٤١ [ن ص ٥ ب ص ٦] .

المؤمن الحقيقى يكون اكثر خوفا من عقاب الله وكلما يتذكره يسارع الى عمل الصالحات يقول القرآن : « والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، ان عذاب ربهم غير مأمون » ويقول فى سورة المؤمنون : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ... والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون » ولكن رشاد يشجع اتباعه على ارتكاب الآثام طبقا لأسطورته « الأربعين سنة » ويدعى فى نفس الوقت أنهم فى الجنة .

فى أى فئة يمكن أن نضع هذا الرسول : اقرأ سورة الانعام الآيات ١١٢ — ١١٥ لتتعرف على ماهية الرسالة الجديدة والرسول الذى يقوم بها والوحى الذى انزل عليه :

٢ — ان لرشاد مفاهيمه الخاصة عن الله ، وهى مفاهيم تذهب فى مجموعها الى ما يخالف القرآن والاسلام ، فهو يعتقد أن بداخل كل انسان جزءا من روح الله والأكثر من ذلك انه يعتقد أن كل جماد وكل حيوان يمثل جزءا من الله ، وفى ترجمته للقرآن يتعمد الخطأ فى ترجمة الآيات التى تخالف افكاره

وعلى سبيل المثال ، يقول الله تعالى فى سورة الزخرف : « وجعلوا له من عباده جزءا . ان الانسان لكفور مبين » .

ويترجم رشاد هذه الآية كما يلى ليشوه (ليغير) معناها [انهم نصبوا أصناما من بين عباده ، حقا ان الانسان غير مقدر لنفسه] .

انه يعتقد اننا نحتوى على جزء من الله بداخلنا . وعليه ، فان أعمالنا صادرة من الله وليست صادرة منا ، لذا فانه يوضح مفهومه قائلا : « ان الله يفعل كل شيء » وهذا يعنى أن الله مرتكب لخطايانا ومفاسدنا وانحلالنا . ولذا فلماذا يعاقبنا ؟

هذه الفكرة الشيطانية تهدم وتشوه أى علاقة أو رابطة اجتماعية خاصة اذا كانت هذه الرابطة لها اتصال بالعقيدة ، وطبقا للقرآن فان الله لا يفعل كل شيء(١) بل يفعل ما يريده فقط . اقرأ قوله تعالى : « ولكن الله يفعل ما يريد واقرأ ٣/٤٠ ، ١٤/٢٧ ، ٢٢/١٤ ، ١/١٨ ، ١١/١٠٧ ، ٨٥/٦ .

ان الله يرشدنا الى طريقه المستقيم من خـــلال كتبه المنزلة ورســـله الحقيقيين لكن ترك لنا حرية الاختيار ، اذا سلكنا الطريق المستقيم فانه يزيدنا ارشادا ، واذا سلكنا الطريق الآخر فانه يتركنا لغواية الشيطان وأتبـــاعه [ن ص ٦ ب ص ٧] ، يقول الله : « والذين اهتـــدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » ويقول : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » وكذلك يقول الله : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما

---

(١) يريد أحمد صبحى أن يحدد من طلاقة قدرة الله على نحو ما فعل أستاذه رشاد خليفة من قبل والحق أن الله عز وجل يفعل ما يريد على اتساع معنى الارادة من غير أن يحد فعله وارادته حد فالله يفعل ما يشاء وما ذكره ايهام وتضليل ولعب بالألفاظ لا معنى له (المؤلف) .

أصابك من سيئة فمن نفسك » لذا أعطانا الله حرية الاختيار فى أن نؤمن به أو لا نؤمن ، فى أن نطيعه أو نعصيه يقول الله تعالى : « قل آمنوا به أو لا تؤمنوا » « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » وطبقا لحريتنا هذه فلنا الحق فى أن نفعل وأن نختار وأن نرفض وأن نطيع وأن نعصى . ونحن نشعر بحريتنا هذه ونحن نبحث الآن عن هذا الرسول الذى ظهر فى توسان وشوه كلمات الله بحرية اختياره ، اقرأ بعناية آية سورة فصلت « ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم أنه بما تعملون بصير » .

هذا الرسول الذى شوه القرآن واختلق الأكاذيب ونسب كل أفكاره وأعماله الى الله . ما هى حقيقته ؟ هل هو رسول الله بعد محمد ، أم رسول الشيطان مثل العديد من مدعى النبوة الذين سبقوه .

مهما يكن فان الحقيقة انه لا وحى بعد القرآن ، لكن الوحى الشيطانى مستمر . وفى القرآن الاجابة عن استمرار الوحى الشيطانى وعن وجود مدعى النبوة الذين يشوهون كلمات الله ، اقرأ بعناية قوله تعالى : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم » .

ان رسول توسان يكذب فى كل نفس من أنفاسه ، ويحمل الكذب بين جوانحه ، فاسم والده عبد الحليم ولكنه جعله خليفة(١) ، وفى نفس الوقت

---

(١) سبق ان قلنا ان الأوراق الرسمية تثبت أن اسمه الحقيقى هو رشاد عبد الحليم محمد خليفة ويبدو أن أحمد صبحى يدرك ذلك ولا أدرى لماذا اللف والدوران .

أمر اتباعه بأن يحتفظوا بأسماء آبائهم الحقيقيين ، هذا واحد من اختراعاته وتلفيقاته . [ن ص ٧ ب ص ٨] .

دعنا نتعرف على الهه الحقيقى الذى يطيعه ويعبده يقول القرآن عن الشيطان : « انه لكم عدو مبين » « انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » ويقول : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » ويقول : « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان ... الآية » . « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون » وانطلاقا من هذه الآيات فان رشـــاد بأســـطورته [الأربعين سنة] وبوحيه الكاذب يكون رسولا للشيطان .

وفى نفس الوقت فان رشاد يعتقد أن الشيطان اله لهذا العالم وتعود أن يقول ان الله أعطى هـــذه الأرض للشيطان لتكون مملكة له . ونحن نختبر بالشيطان ، وهذه التصورات هى نفسها الموجودة فى المسيحية .

لذا اخطأ ترجمة الفاتحة [الحمد لله رب العالمين] فترجم العالمين الى Univers ان كلمة Univers لا تعنى أكثر من عالم واحد هو العالم المادى بينما يوجد عدة عوالم أخرى فاذا كان الله الها لعالم واحد فمن يكون رب العوالم الأخرى ؟ ان الذين يتكلمون العربية يعرفون أن كلمة عالم تعنى world وجمعها worlds التى تعنى العالمين كما ثبت فى القرآن [الحمـــد لله رب العالمين] ، ولكن رشاد رغم أن لغته الأم هى العربية شوه معنى الفاتحـــة ليجعل لشيطانه نصيبا فى حكم الأرض .

وفى نفس الوقت فهو يقول أن الله يفعل كل شىء وهذا يعنى أنه لا فرق بين الله والشيطان . هذه هى حقيقة رسالة رشاد عبد الحليم .

ان رشاد لم يأت بشيء جديد فان كل افكاره قد قالها قبله المسيحيون والصوفيون وعبدة الشياطين . لقد حذرنا القرآن من الشيطان الذى ينجح فى كل وقت من خلال رسله . اقرأ قوله تعالى : « الم اعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ، ولقد اضل منكم جيلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون » .

واخيرا . هذا سؤال نوجهه الى أتباع رشاد .

او ليس لديكم عقول ؟

الفهرس

الموضوع	الصفحة

كتب للمؤلف

تطلب من مكتبة رشوان للنشر والتوزيع

١ — الاسلام واستمرار المؤامرة — جـ١ — الدفاع عن السنة.
٢ — عقيدتنا وصلتها بالكون والحياة .
٣ — نظرية النبوة فى الاسلام .
٤ — الجانب الالهى فى فكر الامام الغزالى .
٥ — البهائية وسائل وغايات .
٦ — القديانية ومصيرها فى التاريخ .
٧ — الاعتبار ببقاء الجنة والنار .

تحت الطبع

* الاسلام واستمرار المؤامرة ، جـ٢ .

رقم الايداع فى دار الكتب ٢٩٩٨ لسنة ١٩٨٩

مطبعة الفجــر الجديد

٤٤ شارع الكبارى منشية ناصر

مكتبة رشوان

للنشر والتوزيــع